الاحتراق في السياسة والأدب

في عالمي السياسة والأدب اليوم ظاهرة قلما يخطئها الفكر او تحيد عن الخاطر ، لأنها تبرز للعيان مرة إثر مرة خلال هذه الفترة الراهنة من حياتنا السياسية والفكرية في البلاد العربية .

فانت تعرف في السياسة رجلاً او اكثر بزغ نجمه في هذا المضمار منذ فجر حياته ، ثم ارتفع هذا النجم ولمع ، حتى اذا بلغ حداً عالياً في السماء هوى النجم واحترق ، كما يهوي الشهاب الثاقب في الفضاء ويحترق ، ثم يختفي فجأة فلا يعود له اثر ولا يتحدث الناس عنه بشيء . ولو اردت ان تعدد في البلاد العربية الاسماء لبرزت لك الاسماء . وانا لا اشك في انه كما اختفى زعماء على هذه الطريقة العاجلة المفاجئة ، فسيختفي آخرون على الطريقة نفسها دون رحمة ولا هوادة ، وسيلقى الشعب نظراته الحالمة على اسمائهم في النوادي والصحف يطالع آخر اخبارهم الغريبة ، ثم يسرّح النظر يرقب آخرين من الزعماء في حدة وامل احياناً ، وفي هدوء وبرود احياناً اخرى حتى يعرف الزعماء مطالب حياة الشعوب في الآونة الحاضرة ويوفقوا بين رسالاتهم وهذه المطالب ، فيلتقوا آنئذ مع هذه الشعوب في صعيد واحد .

اما اليوم فقد يصل الامر بالناس الى ان ينهوا بانفسهم حياة زعمائهم ، متبرمين . وقد يلقون عليهم استار النسيان الرصين فكأنهم لم يعرفوهم بالأمس ، وترثي انت لحال هؤلاء الزعماء فتتمنى لو انقضى اجلهم من قبل قليلاً ، يوم كانوا يقودون الناس وكانت رسالاتهم منسجمة مع مطالب هؤلاء الناس فيجدون في قيادتهم هدياً وفي اعمالهم بطولة . وتلتفت الى الجمهور لتتعرف الى سبب ما يصنعون اليوم فتجدهم يريدون نوعاً جديداً من القيادة واسلوباً آخر من الزعامة تكون له صلة اكثر بالواقع ونسب اشد للحقيقة ، وبعد اكبر عن التدجيل والتمثيل .

هذا في السياسة ، اما في الادب فانك تعرف ولا ريب رجلاً ذاع اسمه وانتشر وآمن الناس باسلوبه وفكره ، حتى اذا بلغ حداً معيناً جمد في نظرهم فلا هو صاحب وحي ولا هو صاحب فكرة قوية ، واذا هم يصفون اسلوبه بالجَوَف وفكرته بالضَّحل ، واذا شعاع الهدْي السابق يخبو فلا يضيء لاذهانهم فكرة ولا يوضح لابصارهم سبيلاً . وما اكثر ادباء العربية الذين انطمس لذلك ادبهم السابق وكسد انتاجهم الحاضر . وجل ما يقال في هؤلاء المفكرين انهم خدموا الفكر حقبة من الزمن ثم ادركتهم حركة الزمن وسبقتهم فلم يروا الفارق بين الماضي والحاضر ولم يستطيعوا التعبير عن هذا الفارق او عن الطور الذي آلت اليه حياة الناس فانصرف هؤلاء عنه فاحترقوا .

لقد كان القراء في مطلع هذا القرن يكتفون بالاسلوب ، وان لم يشتمل على فكرة . فلما تعمقوا الصلة بالحياة ونفذوا منها الى شيء من جوهرها رأوا عدم الغناء في الاسلوب وحده ، فنشأ عندهم وعي الى الفكرة يبحثون عنها في ادب الاديب وكتابة الكاتب . فلما انتشر هذا الاتجاه عند القراء العرب انحدرت منزلة كتاب الاسلوب وارتفع شأن كتاب الفكرة — اياً كانت . حتى اذا اطلعوا على قدر كاف من الفكر اخذوا من جديد يحاسبون الكاتب على نوع الفكرة التي يدعو اليها وعلى بروز هذه الفكرة في كل ما يكتب .

لقد اصبح مطلبهم في هذه الجهة اشبه بمطلب القراء الافرنج من كتابهم ومفكريهم . ودعم ذلك انتشار القراءة بين طبقات العامة ، وايدوا محاسبة الكتاب على فكرة واحدة ، ولكنهم يريدونها الآن منسجمة مع مصالحهم التي عرفوا وجهها ، فنشأ من ذلك الادب الملتزم الذي يعبر عن مطلب الخير الاكبر للعدد الاكبر من الناس . فلما تخلف بعض الادباء عن ادراك طبيعة هذا المطلب احترقوا عند هؤلاء القراء وانتهت رسالاتهم ، كما وقع اوكاد لعدد من اشهر الكتاب العرب المعاصرين .

ومن الطريف انك تجد هذه المراحل الادبية الثلاث ، الاسلوب ، والأسلوب والفكرة اياً كانت ، والاسلوب والفكرة الصحيحة عند القراء ، متلاحقة في البلاد العربية . فالمملكة السعودية وشمالي افريقيا تميل ميلاً عاماً الى ناحية الاسلوب العربي المتين والديباجة المشرقة . ومع ان الفئات الثلاث تتمثل في الاقطار العربية الاخرى ، الا أنك تجد ثقل القراء في العراق ولبنان قد اخذ ينحاز الى الفئة الثالثة بينا تجد الامر متوسطاً في سوريا والاردن .

ولا ريب ان هذه المرحلة الثالثة هي التي ستبلغها جميع الاقطار العربية ، وان كتابها هم الكتاب الذين يمكن ان يطمعوا في لألاء لأسمائهم لا يخبو له نور قبل ان يسكت صرير اقلامهم .

عمان — **محمد اديب العامري**

أقنعة أمريكية

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

في المخاطرة وحدها حيوية الفكر . هذا ما فاته طيلة حياتي ، ولم اقل الا القليل غيره ... ومما أخشاه هو أن يفرض على الناس نظـــام متصلب ، فتجمد فيهم تلك الصفة الرقيقة: مقدرتهم على ابتكار الآراء الجديدة او اكتشاف النواحي الجديدة في الآراء القديمة، ويستمرون على ذلك قرناً بعد قرن الى ان يبلغ الانسان ومجتمعه مستوى الحشرات من الجمود ... في المخاطرة وحدها حيوية الذهن . [الفيلسوف الفرد نورث وايتهد]

☆

ان امريكا اليوم اسطورة قد تسحر الاجنبي بقدر ما تسحر الامريكي نفسه . هذا التنويع والتباين الهائلان ضمن وحدة شاملة . وهذه المصادر اللامتناهية للثروة ، وهذا المجـــال المتسع ، وهـذه الفورة التي لا تستقر ، وهذه المثالية ، وهذا الرفاه المادي – كلهـا عجيبة في مقاديرها وابعادها . ولعل هذا هو السبب في ميل الامريكيين الى استعمال صيغ المبالغة والتهويل في الكثير من كلامهم. وفيها الاضداد بمثل هذه المقادير وهذه الابعاد ، وهي تتمثل في شدة المثالية وشدة المادية ، في كثرة هيئات الاحسان وكثرة الجرائم ، في الترفع الخلقي و « التطهر » في اوساط الطبقة الوسطى والتردي الخلقي الذي يساوقها ، في عمق الدراسات الاختصـاصية وسطحية بعض المناهج الجامعية ، في تمسك اهل الجنوب الزراعيين بتقاليد الارستقراطيين القديمة ، وانطلاق اهل الشمال الصناعيين في عوالم تتبدل فيها العادات كل اسبوع .

كل ذلك جزء من الاسطورة الامريكية . وعندما يراها الغريب وهي تتحقق يوماً بعد يوم ، فانه يحار في الحكم عليها ، ويكاد يسأل دائماً : الى اين تنطلق هذه القوة الجبارة ؟ الى القمة ام الى الهاوية ؟ ولكن الامريكيين اناس متفائلون ، وليس من العسير ان يتكهن المرء بجوابهم على مثل هذا السؤال .

وغير الامريكي ، حالما يضع قدمه على تربة الولايات المتحدة ، ميال الى مقارنة هذا البلد الجديد بالعالم القديم ، ولعل الامريكي المثقف يوازيه في هذا الميل ، فهو يرى في اوروبا جـــذور التقاليد الاغريقية – المسيحية ، ونموها ، وبلوغ الكثير منهـا حد العفن من النضج . اما هنا فانه يرى هذه التقاليد تبدأ دورة جديدة من الازهار والاثمار ، وفي ذلك سبب لغيرة اوروبا منها وهذه التقاليد نفسها طُعّمت عليها ايضاً فروع من مختلـــف الحضارات العالمية ، وقد لمس ضرورة ذلك الشاعر وُلت وِتمَن حين وقف وقفة النبي في شوارع المدن وحقول الارياف وميادين الحرب قائلاً في نظمه انه يؤمن بالقرآن ايمانه بالانجيل وبالتوراة ايمانه بالمهابها راتا ، وانه يدعو اليه الظافرين والخاسرين على السواء لتكوين عالم جديد . ولما اختلطت اجناس المهاجرين كان لا بد من اختلاط الكثير من عاداتهم ومعتقداتهم ، وقد لجأ جميعهم الى تلك الشطآن هرباً من الجور او الفقر ، ونالوا استقلالهم في ثورة دامية ، واستقرارهم ودستورهم بعد صراع اهلي أريقت فيه دماء عشرات الآلاف ، ووسعوا الرقعة المأهولة بدفـع حدودهم غرباً في عنت ومشقة ، فاستنبتوا الاراضي البكر والقيعان المجدبة ، وشقوا الجبال واستخرجوا ثرواتها الكامنة ، وسخروا الانهر العارمة ، في مدة قصيرة جداً .

وقد رافق ذلك كله بطولة وعسف ، جَلد وظلم ، تنظيم في الاقتصاد واستغلال فيه ، شهوة في الحرية ورغبة في ابقاء الرق وبعد ان كانوا يشعرون بانهم امتداد لاوروبا ، وان تاريخهم امتداد لعصر النهضة ، جعلوا يشعرون بعد خلق اسطورتهم الذهبيـة بأنهم قوم تقطعت الاواصر تدريجياً بينهم وبين العالم القديم ، فقد اخذوا الكثير عنه ، ولكنهم اضافوا الكثير من عندهم . وحتى اللغة التي ورثوها عن الانكليز تبدلت على شفاههم واكتسبت حيوية ونضارة جعلتا الانكليز انفسهم ، رغم ترفعهم عن هذا الوليد العملاق الذي لم يحسن بعد آداب السلوك ، يتطلعون الى الانكليزية الامريكية في كثير من الغيرة والتشوق .

☆

لعل امريكا اقرب ذهنياً الى اللبنانيين والفلسطينيين منها الى سكان البلاد العربية الأخرى . ففي الستين السنة الاخيرة كانت الهجرة من ساحلنا على البحر الابيض المتوسط الى العالم الجديد شيئاً مألوفاً لدى الجميع . لقد سافر الى امريكا قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها نفر كثير من العرب ، توجه منهم عدد غير قليل الى الولايات المتحدة، حيث راحوا يتجرون ببضائعهم يحملونها من بلد الى آخر ، او يفتحـون الحوانيت ودكاكين البقالة ، واستطاع بعضهم ان يجمع ثروة يحق له الفخر بها . وكان من بين هؤلاء المهاجرين كتاب وشعراء حسبهم ان يعرف القارىء انهم « مهجريون » لكي ترسخ اسماؤهم في ذاكرته فقد كان المرء منا يقرنهم بـ « بـــلاد العجائب والغرائب »

و « ناطحات السحاب » ، و « بلاد الله » و « الفرس السانحة » وسرعان ما نشأت كمية وافرة من الادب المهجري [1]، لوحظ انها تختلف اختلافاً بيناً عن الكتابة المعاصرة لها حينئذ ، فصرنا نعتقد ان اتصال الكتّاب هناك بثقافة الغرب الجياشة كان السبب في اختلافهم عن كتابنا في بلادنا ، الذين كانوا ما زالوا يشقون طريقهم في مستنقع فسيح من اللفظ الكلاسيكي العتيق .

وقد اردت حال وصولي الى الولايات المتحدة ان اعرف ما هي المؤثرات الادبية التي تعرض لها هؤلاء الكتاب بالفعل – ان كانت هناك مؤثرات – وكيف استفادوا من احتكاكهم بأشد بلاد العالم حركة وديناميه . ولكن سرعان ما اكتشفت مبلغ الخطأ في تقييمنا لانتاج المهجريين ، ومبلغ ما فاتهم من ادب الغرب . بل انني دهشت حين وجدت ان كل ما كانت تعج به السنوات الستون الاخيرة في امريكا من نشاط ادبي مروا به دون ان يحسوا بوجوده ، فمن الواقعية الاجتماعية التي نادى بها « هاولز » ومن اصرار هنري جيمز على اهمية الرواية التي « تتصيد لون الحياة » ، من نقد فرانك نوريس وشعر املي ديكنسن ، من روايات درايسر وهمنغواي وفوكنر ، من الثورة النقدية والشعرية التي قام بها إليوت وباوند ، من كل ما كانت تمور به المصانع الادبية في امريكا، من كل ذلك تقريباً لم يتعلم المهجريون شيئاً . اذن لم يكن السبب في « الفرق » بين ما يكتبونه وبين ما يكتبه ادباؤنا في بلادنا الا لوعة المهجريين وحنينهم الى اوطانهم . ولن يُعزى هذا الفرق الى مؤثرات المحيط الجديد الذي يبدو انهم عجزوا ذهنياً عن تلمسه . فان كتابتهم على الاجمال مصابة بالميوعة والشفقة على الذات ، بالتصوف الزائف بلون من الانهزام والالتفاف على النفس ، فعجزوا عن ان يصلوا العالم العربي الآخذ بالتيقظ بما في الكتابة باللغة الانكليزية من توثب واثارة وعمق وتجربة . ولم يكن في كل ما كتبوه اشارة الى بعض ما كانت تتمخض عنه الحركات الادبية المحيطة بهم ، وكان علينا ان ننتظر الى ان يظهر بيننا من يطلعنا عليها ويعرفنا بها .

وهل كان هناك من ضير لو حاول المهجريون معرفة ما يجري حولهم ، لايصال بعضه الى اذهان قرائهم ؟ انهم لو فعلوا ذلك لعجلوا بالتغييرات الادبية التي نراها اليوم ولهيأوا لنا فهماً اوضح لمشاكلنا الادبية نفسها . فالتجربة الادبية التي مرت فيها امريكا في الستين السنة الاخيرة قريبة الشبه جداً بما هو اليوم في طور التكوين في الكتابة العربية . فنحن نكاد اليوم نسأل تلك الاسئلة نفسها التي يرددها في امريكا النقاد والشعراء والروائيون عن الحقيقة والمجتمع والجماليات ، ومكان كل منها في الادب . ان قراءنا في ازدياد مطرد ، وها هم يطلبون ادباً جديداً يصور اختباراتهم وبحثهم عن الحرية والسعادة وتحقيق امكانيات النفس ولست ادعي بالطبع ان ظروف بلادنا مثل ظروف الولايات المتحدة ، بيد ان الاساس في ما نطلبه ونبحث عنه هو ما حققه الكتاب الامريكيون بالضبط : ولادة اللغة والشكل من جديد ، وحيوية المضمون الادبي .

*

مما يلفت النظر في المناهج الأدبية للجامعات الامريكية ، هو وجود دورة فيها للكتابة الابداعية Creative Writing واخرى للكتابة العرضية Expository Writing. اما الابداعية فتعنى بالبحث والنقد والتحليل . ولا يقبل في مثل هذه الدورات عادة الا عدد محدود من الطلاب (قد لا يتجاوز الاثني عشر) ، وعلى كل منهم ان يبرهن على ميله القوي الى الكتابة ومقدرته عليها . فالموهبة الفنية لا يمكن خلقها عن هذه الطريقة ، ولكن في الامكان اكتشافها وتنميتها . ولما كانت هذه الدورات لا تحفل الا بمقدرة الطالب على النظرة الاصيلة والاكتشاف الشخصي ، فانه لا يقبل فيها الا من كان قد شرع بممارسة الكتابة فعلاً او يأمل بممارستها جدياً في المستقبل . واساتذة هذه الدورات في الغالب من النقاد الذين احرزوا على شهرة ادبية ، ومعظمهم من اساتذة الادب الانكليزي . ولذا فان لهم تأثيراً مستمراً على الذوق ، اذ ان الكثير من الكتاب والصحفيين الأمريكيين المعاصرين هم من الذين تتلمذوا على هؤلاء النقاد .

وهذا اللون من « الدراسة » هو في الواقع منحى جديد ، يتصل بالاتجاهات التي اوجدها النقاد المحدثون الذين يعمل معظمهم اساتذة في الجامعات . وقد غيّر هؤلاء النقاد موقف الطلاب من الادب بوجه عام . فاكثرهم ، وهم الذين يُسمّون « بالنقاد الجدد » New Critics يتفحصون النصوص تفحصاً ميكروسكوبياً يتشعب الى علوم اللغويات ، والانثروبولوجيا ، والفلسفة ، والتحليل النفسي ، مما يضفي على النص بريقاً جديداً ، او يكتشف فيه اغواراً غير متوقعة من المعاني . وتركيز الهم في النقد على

(١) تشمل هذه التسمية بالطبع الادب العربي الذي كتب في الولايات المتحدة واقطار امريكا الجنوبية ، وهو في الاخيرة اغزر .

هذا النحو في اكثر الجامعات الكبرى يصحح الذوق ويغذي المواهب. ولكن يخشى منه ان يكتسب استقلالاً ذاتياً فيغدو علماً قائماً بنفسه ، ولا يستهدف الا نفسه . ولذا يجب الحذر ، لئلا يحل النقد محل الابداع –بحيث يقرأ الناقد دون المنقود– او ينتهي التوكيد الدقيق على النص الى الفصل بين الفن والفنان. ومن هنا يخشى المرء خطر البيزنطية التي تنسى المتن وتغيب في الشرح وشرح الشرح . غير أن « النقد التاريخي » يغدق على الادب قيمة ليست ميتافيزيقية بحتاً . اذ لا يستطيع الناقد ، اذا شاء تجنب الانحراف ، ان يتغاضى عن ارتباط الابداع بالمجتمع والاستمرار التقليدي . فالمعجزة في الاثر الفني الرائع هي ان ذلك الاثر ينتمي الى زمان ومكان معينين ، ولكنه رغم ذلك فريد ولا سلطة للزمان عليه .

لا شك في ان كلياتنا لم تعط حتى الآن تاريخ النقد وطريقته الحق الكافي. فما زال الادب يُدرّس عندنا على نهج عتيق لا يختلف عن نهج القرون الاولى إلا قليلا. لا بد لنا، سواء أدرسنا الادب العربي ام الآداب الاجنبية ، من الاهتمام على الاخص بالنقد الاوروبي منذ الحركة الرومانسية، حين جعل النقد ينشيء لنفسه اساليب ومصطلحات يعجز النقد الحديث بدونها عن الاستمرار . فهذه اشكالنا الشعرية تتبدل ، وها نحن الآن نكتب الرواية والمسرحية ، فلا غنى لنا في تعليم الادب العربي عن هذه المصطلحات والاساليب. ومن الممتع ان المجلات الادبية العربية أسبق في هذا المضمار من الجامعات نفسها . فقد ظهرت فيها دراسات كثيرة في النقد الحديث لعل اصحابها لم يتح لهم البحث في مثلها في صفوف التدريس .

ولذلك نرجو ان نرى من جامعاتنا اهتماماً بالابداع وبالنقد فتضع للطلاب دورات في الكتابة الابداعية ، والكتابة العرضية ، ودورات اخرى في طرق النقد الحديث ، النصي منها والتاريخي كما تضع دورات في تاريخ النقد الغربي وتطوره . وسوف يقتضي ذلك ترجمة كثيرة ، واجتهاداً في وضع المصطلحات ، واكتشافاً للمواهب الفتية ، وبهذا تساهم الجامعات مساهمة مباشرة في تقويم الذوق وتغذية الابداع الجديد .

*

يردد النقاد الامريكيون نغمة حزينة مفادها ان الرواية اليوم في انحطاط. ويعتقد البعض ان رواية القرن التاسع عشر بلغت بهذا الفن ذروته ، ولكنها فقدت بعد ذلك طاقتها وخطورتها الاجتماعيتين ، لأنها اضحت تركيباً رمزياً شديد التعقيد ، ما الاشخاص فيه إلا رموز لافكار مختلفة ، او تركيباً يراكم فيه المؤلف الاهوال والكوابيس ، كأنها حكاية من حكايات الرعب في لباس عصري. فهي في كلتا الحالتين بعيدة عن مصطرع العيش الحقيقي .

وهناك من يرى ان الرواية الطبيعية – وهي التي تجعل من مصطرع العيش موضوعاً لا ينضب– تكشف عن فقدان الهدف الخلقي (بمعناه الاوسع) عند المؤلف ، لأن البطل كلما كان رجلا عادياً ، لا رجلا افضل واسمى من بقية البشر (كما اقترح ارسطو في بحثه عن ابطال المآسي)، تعجز منظومات المأساة عن البروز ، أو انها لا تكتسب من التركيز والعمق ما يجعل منها مطهراً للنفس من الخوف والشفقة. فالابطال العاديون لايخلقون الصراع العنيف الذي تشمل نتائجه مصير اناس كثيرين ، وما مآسيهم –ان حق لنا تسميتها كذلك– إلا خيبة ضيقة الحدود لا يعم معناها على البشرية جمعاء .

اذن لم يبق للرواية الا التسلية. وهذه توفرها للناس المجلات والصحف والسينما والتلفزيون. وكلما تيسرت عملية البث توصل مادتها الى عدد هائل من الناس(كالسينما والاذاعة والتلفزيون)، تحتم على تلك المادة ان تكون أبسط وأوضح واقل عمقاً مما تكون عليه لو كانت غايتها الاقلية المختارة . وهكذا يتطوح الابداع الى درك التفاهة .

وفي وجهات النظر هذه كثير من الصواب. ولكن ذلك لن يعني احتضار الفن الروائي ، بل قدرته على التسربل في اشكال لا حصر لها تتأرجح بين طرفين من التفاهة والروعة ، وتنحو مناحي تعلو وتهبط قوة وجمالاً، ما دام هذا الفن يرتبط بمكنونات النفس وتصرف الفرد مع الجماعة . فقد تكون الرواية مشحونة بالرموز مثل «موبي دك»او الحوت» لهرمن ملفيل،او بالواقع العاري الأجرد مثل « اختنا كاري » لثيودور درايسر : قد تدعي الاقليمية الضيقة كروايات وليم فوكنر،او عدم ارتباطها بأي وطن كروايات ارنست همنغواي ، ولكنها كلها تجمع بين عناصر المسرحية وبين عناصر القصيدة الطويلة من حيث قوتها العاطفية ، وامكانياتها المأساوية ، بالاضافة الى التنويع الذي لا حد له في التقنية ، فهي تجمع بين البراعة (وتلك مسألة جمالية لا غنى لنا عنها) وبين الضرورة الروحية (وتلك مشكلة انسانية

– البقية في صفحة ٧٣ –

الى جويس الهندية الحمراء

✳

للدكتور عبد السلام العجيلي

•

الرقة ـ سوريا

✳

لف الضباب بثوبه بيداءنا والليل ساكن
وتراءت الاضواء شاحبة اذاب شعاعها بعد المساكن
وحدي مع الليل والبهيم ووحشة الاوهام، لكن
عبرت بوادي التيه من نفسي رؤى فتمزقا
ثوب الضباب عن النجوم النيّرات واشرقا
في ليلي المسكون بالأشباح والأشواكِ
نجمان قد غسلا دجى نفسي ، هما عيناكِ

المقلة الكحلاء في انسانها روت الدجى
احزانها ، والنور حار على حفافي هدبها وتوجا
كم قصة تحكى وكم حلم يبطّنه الشجا
تركت مياسمها على دعج بعينك يا فتاتي
وردات ثغرك فتّحت اكمامها متع الحياة
فلم الأسى ، لن تغرق الدنيا بسيل دموعنا
والحب نور ، فلنبدد ليلها بشموعنا

يا بنتُ ، يا بنتَ المروج الفيح والنار التي
فوق التلاع تشبّ ، والفرسان عبر السهب كالسيل الأتي
النجم يلحظنا بباسم طرفه ، فتلفتي
والنهر تحت جسوره أوما الينا وانثنى
والعابرون بقربنا مدّوا الينا الأعينا
والزيزفونُ غصونَه الخضرَ الرطاب
وغدا سيهجرنا وينـدثر الشباب

وغدا وانت على الضفاف الخضر وحدك يا حبيبه
ستمرّ انسام ، كما مرت يداي ، على ذؤابتك العجيبه
وتطوف من ذاك الغريب بمقلتيك رؤى غريبه :
في الشرق امست داره، والشرق عطر وصحارَى
والشرق ، ذاك الباعث الأنوار ، سال اليوم نارا
يا ليتنا لما تشاكينا فنونا من أسانا
والغاصبين ديارنا ، عجنا على مُضني هوانا ...

الملبوسة

بقلم ابراهيم شكر الله

كانت فاطمة تسير في شارع سليمان باشا وقد اطبقت عليها الوجوه العديدة الهائمة في موج الانوار الملونة والاصوات التي كانت تتجاوب في انغام متنافرة فتبلغ اذنيها في همهمات عديدة متناسقة. وكانت احدى يديها مرتفعة نحو رأسها تسند المشنة الخاوية الا من خرقة سوداء قذرة ويدها الاخرى ثابتة الى جنبها، ورجليها وقد شرع الاضطراب يعيث فيها، وذهنها يستجيب من خلف الحجب الداكنة وسحب الدخان الاسود التي كانت تملأه بما يشبه الخوف والترقب والبهجة والاستسلام.

نعم ! فها هو عشيقها يمسكها من جديد، يلبس جسمها ويشد برجليها من جديد، ويبعث الاضطراب في خطواتها، ويود في عبثه الآثم لو يوقع بها. وهي تمضي اولاً مسرعة في طريقها ولكنه يشدد من قبضاته الصارمة ويبالغ في عبثه المأفون، فتقف وتتمتم بالشكوى الخافتة والتأنيب الخفيف عسى ان ينصرف عنها، ثم تحرك خطواتها بطيئة. تحرك القدم اليمنى قليلاً وعينيها على الارض ثم تتقدم بالاخرى بطيئاً بطيئاً وقد انبسطت اصابع قدميها وامتدت مثل حيوان جريح يتلمس طريقه على الصخر المتزلق. ولكن ركبتيها تضطربان ويغمر فخذيها تعب كبير حاو، فتجلس على الارض وتلقي المشنة الى جانبها وتأخذ وجهها بين يديها وتشرع في البكاء الخفيف والتمتمة « ما تحل عني بأه، هلكتني وموتني وخلتني فرجة اللي يسوى واللي ما يسواش ... حل عني حرام عليك ».

ويلتفت اليها بعض المارة فترتفع اليهم من دموعها باسمة ولكنهم لا يلبثون ان يواصلوا السير وقد علاهم عجب لا يلبث ان يختفي. ثم يأتي بعد قليل الشرطي فينظر الى وجهها الباكي ولباسها الاسود الممزق ومشنتها القذرة ثم يسألها منتهراً :

— مالك يا ولية قاعدة كده ؟.

فتبتسم ابتسامة فيها استعطاف وتقول في صوت متهدل شاحب :

— الاسياد يا فندي ربنا ما يحكم عليك، مغلبني ومودريني المر ..

فينظر اليها متعجباً ثم يصرخ فيها :

— اسياد ايه يا ولية يا مجنونة قومي فزي قبل ما اسوقك على القسم .

ولكنها لا تتحرك بل تستمر وقد علت ابتسامتها تعبيرة خفيفة من القلق والاشفاق وتقول :

— ما تعترضش يا فندي، الاعتراض حرام، دا محمد افندي اللي لابسني شقي ورأسه ناشفة قوي ويحب يكايدني. وما يجيني يستنى اما اكون ماشية ويروح لاويلي رجلي عشان يكفيني على وشي. لكن اصله بأه ابن ناس ومغندر ويحب الدلع وان ما كنتش اهاوده ياخد على خاطره ويوريني المر .

ويحس الشرطي كأنما قد استمع اكثر مما ينبغي لهذا الهذيان على قارعة طريق كبير عامر فيصرخ فيها بصوت قوي :

— قومي يا ولية يا مجنونة يا بنت الكلب، قومي فزي من هنا... قال محمد افندي قال، وبيحب الدلع كمان يا بت الكلب.

فتقوم ذليلة متهالكة وتسير ومشنتها الخاوية على رأسها والافكار الخافتة تتصاعد كالفقاقيع الى سطح وعيها، ثم تختفي ولا تترك غير شعور باهت بالمرارة. لماذا ازور عنها الشرطي وانصرف وهي لم تقص قصتها بعد ؟ لماذا لا يفهم الناس ولا يسمون الى الفهم ؟ هؤلاء الساعون وقد انشغلوا عنها جميعاً، هذه الوجوه العديدة المختلفة المتشابهة الصارمة المطبقة الشفاه المتسارعة بارجلها في الصباح، المنفرجة الشفاه المتشابكة الايدي في المساء. ما الذي يشغلهم عنها جميعاً ؟ ثم اية سعادة هائلة هذه التي تلوح على وجوههم هذه الصارمة في الصباح الباسمة في الليل، اي عوالم تجهلها وصور لم تستطع ان تحلم بها. ان محمد افندي من هؤلاء، محمد افندي هذا الذي اصطفاها من نساء العالم جميعاً من كل النساء العديدين اللواتي يغص بهن العالم، محمد افندي صاحب البزة الانيقة والوجه الابيض الوسيم الممتلىء والطربوش الاحمر الزاهي المنحرف قليلاً على رأسه، محمد افندي هذا الذي يلذ له العبث بها والتندر عليها والضحك منها والذي يحبها رغم كل هذا، يحبها ويملأ جسدها جميعاً بما هو اشق من اليقظة واعمق من النوم، ويشيع بين اعطافها المتفتحة بالنشوة والاسترخاء



والاستسلام وما يشبه الموت .

وهي ماضية في طريقها حتى تبلغ بولاق ثم الحارة الضيقة ثم العطفة المظلمة وقد امتلأت خياشيمها برائحة السمك المقلي وبالغبار الكثيف ، وصعد التعب الى رأسها بظلمة تتواثب بينها الافكار واطياف المشاعر العديدة . وعلى رأس العطفة يصفعها مرأى خدوجة متربعة بجسمها الضخم على الارض وامامها صينية صففت عليها قطع البطاطة المشوية وفي يدها المرتخية الى جانبها منشة من الخوص ، وتحييها فاطنة وهي مسرعة في طريقها « عوافي يا ست خدوجة » . ولكن هذه تستوقفها وتقول لها :

— جدع صغار اسمراني طويل سأل عليكي النهارده يا فاطنه قلنا له ابوه ساكنه هنا وترجع بالليل .

وتسأل فاطنة : — مين الجدع ده ؟ مش زينهم ؟

فترد عليها : — ليه ؟ هو انا تايهة عن زينهم .. لأ دا جدع اسمراني طويل وبشنبات طويله ، سأل عليكي وقال حيرجع تاني .

وتستزيدها فاطنة من الوصف وقد شاع فيها القلق ولكن هذه لا تجد شيئاً آخر تميزه به فتتركها فاطنة والخوف يملأها وتنزل الدرج الى حجرتها الصغيرة وتغلق وراءها الباب المتهالك فيخرج منه صوت مبحوح طويل . ثم تجلس على الارض بعد ان تلقي بالمشنة الى جانب الحائط وتستسلم لاحساس الخوف العذب انها تعرف من هذا الذي سأل عنها ولماذا يبحث عنها بمثل هذا الالحاح انه اخوها مفتاح ، جاء ليقتلها انتقاماً لشرفه وشرف ابيها ، هذا الشرف الذي عبثت به ومزقته فضحكت منهم جميعاً لانهم ازدروها وظنوها بلا جمال ولا قدرة على اجتذاب الرجال وانها لتستعيد هذه اللحظات التي بدأت تحس فيها بمحمد افندي حولها وفيها وتمتلىء بهذا الحب العابث . كانت مستلقية على السطح في ليلة انصبت فيها لوافح الهجير على القرية واحاطت بها ، وارسلت ألسنة النيران تتواثب تحت جلدها فتنسج لها كلاب الجسد المسعورة .

حينما احست به يدب في جسدها ، يغشاها ويملأ جسدها لذة شاملة احاطت الكون كله وضمته في لحظة واحدة غائرة من العناق المجنون . على انها كانت لحظة واحدة ، لحظة خاطفة لم تلبث ان تهاوت وتكسرت وانتثرت على اطراف الجسد ، فحولت رأسها عن السماء ودفنت وجهها بين ذراعيها واخذت تستسلم للسقوط البطيء في الهوة الظلماء التي لا قرار لها .

فلما استيقظت في الصباح احست بالاثم العظيم الذي اقترفته .

فلا شك ان تلك اللذة العنيفة التي دخلت جسمها المغلق المختوم لذة مغتصبة آثمة وولوج في ابواب علم حرام لا يجدر بالبشر .

فاستبد بها الخوف والفرق وكانت لا ترفع عينيها الى عيني ابيها او اخيها زينهم الا وترى فيها نذر الموت وصورة الجسد الممزق بالطعنات . فانطلقت هائمة على وجهها تلح في الهرب من الخوف اللاحق باذيالها حتى بلغت القاهرة التي احست في ضجيجها الالهي ما يستطيع ان يحمي هذا السر الفاضح الصارخ الذي ينطوي عليه جسدها .

وهي لا تستعيد جميع هذا حتى تحس به من جديد يحرك رجليها ويدفعها ويعبث بها ، فتندفع في ارض الغرفة المعتمة تدور فيها دون غاية وهي تهز رأسها في حركة رتيبة وصوتها يهمهم بنغمة العويل والندب ، ووعيها مغمور في خليط من الالوان الصارخة البارقة تتابع كضربات السياط ولكل لون الم‍ه الخاص ولكل الم نشوته الخاصة .

ثم تأخذ تخلع عنها ملابسها قطعة في اثر قطعة ؛ ترميها على الارض حتى لا يبقى سوى جسدها الضاوي الاسمر في عريه الحزين وفي استخذاء وجوده الآثم . ثم تندفع ترقص في تهالك ، وقسمات وجهها تتحرك في الم عظيم ، وتظل حمى خطواتها تزداد ولهيثها يتعالى حتى تسقط على الارض فتتكوم في ركن الغرفة مثل كلب جريح . ثم يرتفع من اعماق لهيثها وارغائها المختلط صوتها يولول :

— سيبني بأه .. سيبني هلكتني وحتموتني مقتولة .. سيبني .. سيبني ..

القاهرة **ابراهيم شكر الله**

حول التجديد في الادب

ريلكه وعزلة المثقفين

بقلم الدكتور عمر حليق

°°°

اشار الدكتور سيد نوفل في «الاهرام» في صدر الحديث عن التجديد في الادب ان الاستعداد الذاتي والجهد الدائب صفتان يجب ان تصاحبا الاديب الممتاز . فالموهوب لا يبلغ العظمة الادبية اعتباطاً وعفواً ، ولا بد ان يدرس في غير ملل ، وان يتفهم المعارف في دقة وان يفكر في نفسه وفي من حوله تفكيراً عميقاً .

ومن الصدف ان اقرأ هذا وفي يدي ترجمة انكليزية جديدة لأشعار مختارة لشاعر تنطبق عليه كل صفات الاستعداد التي اشار اليها الاستاذ نوفل ، واعني به « راينر ماريا ريلكه » احد فطاحل الادب الالماني الحديث ، الذي يشغل انتاجه الادبي اليوم الاوساط الثقافية في الغرب على نحو لم تظفر به الا القلة النادرة من ادباء الجيل .

و « ريلكه » انسان « يدور في حدود البيئة المحيطة به » ويصوغ مواهبه وعبقريته بصبغتها ، ولا يتأثر بجزئية الموضوع وانما يحاول ان يستوعبه استيعاباً ويفيض عليه الكثير من قريحة خصبة وفلسفة مدروسة وتجارب صقلها تفهم دقيق لمعارف القرن العشرين ، وخيال خصب يدور حول الحقائق الانسانية التي تواجه المثقف الممتاز في جيل قلق متوتر الاعصاب مشوش التفكير كجيلنا المعاصر .

وشاعر هذا شأنه جدير بأن يقدم الى قراء العربية .

ودواوين « ريلكه » ليست سجلاً منظوماً «لمعاني مطروحة على الطريق يعرفها العربي والاعجمي » كما قال الجرجاني فاذا كان نظم القصيد عند معظم الشعراء قريحة خصبة ومحصولاً وافراً من ثروة اللغة والتعبير الشعري اللطيف ، فان الشعر عند « ريلكه » صناعة لا تؤمن بالسليقة وحدها وانما تستلزم الدرس والتفكير والاستيعاب الواسع لمقومات الثقافة واحوال المجتمع . والشعر عند « ريلكه » مجهود ثقافي جليل حاول هذا الشاعر ان يفسر فيه الوحدة القاتلة التي تكتنف المثقف في عالم يسير على نظام غير مستتب ، روافعه ابعد ما تكون عن التناسق والتكافل في مسبباتها السياسية والاقتصادية والثقافية — عالم فقد او كاد يفقد معظم العناصر التقليدية الاصيلة التي استطاعت ان تحفظ للمجتمعات التاريخية القديمة فترات طويلة من الاستقرار في حياة الناس العقلية والاجتماعية على نحو ما ينقله الرواة عن العصور الوسطى في اوروبا وفجر الاسلام في الشرق وغير ذلك من فترات في تواريخ المجتمعات الانسانية .

ويؤكد لك « ريلكه » بأن عزلة المثقف في عصور القلق السياسي والضائقات الاقتصادية والتوتر الاجتماعي امر لا سبيل الى تفاديه . وهي نصيب كل من يحتفظ بوعيه الصادق وادراكه الحساس في آفاق من الحياة العامة يسودها التهالك على الراحة المادية والاسراف في المتعة والثرثرة في ثقافة تافهة لا تعالج صميم المشاكل بقدر ما تسعى لان تسلي عن خواطر الناس واشباع رغائبهم في الانسياق مع الشره المادي والغريزة الجامحة على نحو ما توفره له اشرطة للسينما والقصص الحديثة وما يشبه ذلك من بضاعة الادب الشعبي الرائج .

وعزلة المثقف كما يشعر بها « ريلكه » امر لا سبيل الى تفاديه . فهي وليدة ادراك النفس العميقة الحساسة لواقع الحال في حياة الناس وفي التيارات الثقافية التي تسود مجتمعاتهم . وهذه العزلة ظاهرة مشتركة يختبرها المثقفون في الجيل المعاصر مهما تباينت لغاتهم ومقوماتهم الثقافية . فنحن في عصر تقاربت فيه الابعاد الجغرافية وتشابكت المواصلات الفكرية وتواكلت الاحداث السياسية والعوامل الاقتصادية على بعضها البعض فأولدت تأثيراً مشتركاً في الادراك والاحساس والتجربة بين المثقفين فشملتهم هذه « العزلة » التي يصر « ريلكه » على انها نتيجة حتمية تتباين حدتها بتباين التطور الثقافي في مجتمعات القرن العشرين .

وهذا ما يجعل شعر « ريلكه » اليوم موضوع بحث وتعقيب لا في المانيا وحدها وانما في غربي اوروبا والعالم الانجلوسكسوني حيث تزداد عزلة المثقفين بازدياد المؤثرات المادية في حياة الناس لا يهمها العوامل الثقافية والاحداث السياسية والاقتصادية على الكثرة من الناس .

وقد مات « ريلكه » في اعقاب الحرب العالميـــة الاولى وحظه من الشهرة موفور ، ولكن مكانته في الثقافة الغربية لم تتوطد الا في عالم ما بعد الحرب الثانية حين اطلقت حرية التعبير عن مواطنيه الالمان فوجدوا في تراث « ريلكه » تحليلا عميقاً صائباً للازمات الروحية والثقافية التي كانت تحيط بهم ،ووجدوا في حلاوة قصيده ورقة تعبيره وعذوبة اشعاره وبلاغة منطقه ذخيرة تعينهم على احياء الادب الالماني من رقدة سنوات ما بين الحربين .

و « ريلكه » في الادب الالماني المعاصر شخصية يدور حولها جدل عنيف. ولعل صاحبنا ادرك ما سيكون نصيب اشعاره في مستقبل الحياة الادبية. فقد ذكر في كتاب له عن « رودين » .

« ليست الشهرة الا هدوء زوبعات النقد والاطراء التي تدور حول اي اسم جديد ». ومع أن زوبعات النقد والاطراء حول تراث « ريلكه » لم تهدأ بعد ، الا ان صاحبنا قد نال من الشهرة والمكانة ما تستدعي تقديمه الى قراء العربية كعلم من اعلام الادب الغربي الحديث .

والصعوبة في الكتابة عن شاعر اجنبي كون الشعر تعبيراً يستند فيما يستند اليه الى طلاوة التعبير ومتانة التركيب وعذوبة اللفظ ، وهذا كله يتطلب تخصصاً في لغة الشاعر ومقدرة على تعريب جمالها ونقل حلاوتها في امانة ودقة . وكاتب هذه السطور لمن يطمح الى كل ذلك. ولكن من مزايا شاعرية « ريلكه » ان التراث الذي تركه « عالمي » فوق انه ثروة « المانيـــة » قومية . فـاذا عجز الكاتب عن ابراز تراث « ريلكه » في اطاره اللغوي الالماني مثلا فلا اقل من ان يعرف قراء العربية بالعناصر « العالمية » في هذا التراث الفريد .

ومن الادلة على مكانة « ريلكه » في الادب الالماني الحديث من هذا التقريظ الذي حياه به الناقد الالماني المعروف « هانس ايجون هولتهوزن » في دراسة عميقـة عن شعر ريلكه . قال هولتهوزن :

« لقد نجح ريلكه الى درجة لم يسبقه اليها احد في ان يلطف من فظاظة اللغة الالمانية . وان يقربها الى العذوبة دون ان يفقدها طابع الدقة والعمق . فلغة « ريلكه » مثل فريد على رقة الاحساس وحدة الادراك ويقظة الشعور في اطار جميل من الابداع الشعري . وفي حين ان هذا اللون من الابـداع كان يقود غيره من الشعراء الالمان الى التفلسف والامعان فيه على حساب الرقة الشاعرية ، الا ان « ريلكه » نجح في كل ذلك دون ان يطوح بعمق الملاحظة ومتانة التركيب وجلاء الصور الشعرية ووضاحة الخطرات الفلسفية العميقة التي هي طابع اصيل من تراث المانيا الثقافي » .

ومزية « ريلكه » الجوهرية ان شعره ، وعلى الاخص انتاجه في سنواته الاخيرة ، لم يقتصر على معالجة جزئية للحقائق الانسانية التي استرعت انتباهه واثارت يقظته الشاعرية .فمساهمة « ريلكه » الرئيسية في التراث الغربي الحديث هي انشغاله في الاجابة عن هذا السؤال الجوهري الذي كان ولا يزال يشغل افكار المثقفين في الغرب : ما هي حقائق الاشياء التي تكتنف المجتمع المعاصر ؟

ولم يحاول « ريلكه » ان يجد الجواب في هذا او ذاك من المنظمة العقائدية (الايديولوجية) المستحدثة .

ولم يحاول هـــذا الشاعر الفيلسوف ان يناصر الدعوة الى الرجوع الى الفكر الكلاسيكي في قوالبه العتيقة كما يحاول فحل

شعراء الانجلوسكسونية المعاصر « ت . س . اليوت » الذي يطيب له تتبع المعاني وارجاعها الى اصول قديمة .

و « ريلكه » في اكثر قصائده يردد المرة تلو المرة بأن النظرة القديمة الى الحقائق الانسانية المعاصرة . هذه النظرة التي خلقتها لنا الحضارة القديمة — اصبحت الآن غير ذات موضوع — كما يقول علماء القانون . فرجل القرن العشرين يمر في تجارب حقائقها وطبائعها مستحدثة فريدة من حيث انها تختلف عن الحقائق التي مرت بها واختبرتها الاجيال السابقة .

فالمنظمة الفكرية وطبائع المعرفة وعناصر الشعور والاحساس التي اختبرها المثقفون من بناة الحضارات السالفة قد تعدلت ومرت في تطور ثوري كاد يقضي على مغزاها لمثقفي القرن العشرين . حتى المنظمة الدينية نفسها ، وهي تواجه ازمات الفكر وثورة التطور في جيلنا المعاصر ، كادت تفقد في رأي « ريلكه » مؤثراتها التقليدية واهميتها في حياة المجتمع الجديد ، وشاعرنا يعتبر الدين جزءاً اصيلاً من ارث معقد لم يتوصل الورثة بعد الى تحديد موقفهم منه . وهو يعتقد بأن تصفية هذا الارث — والدين جزء جوهري منه — لا بد وان يحدد موقف المثقفين منه نهائياً ، سلباً او ايجاباً . ولذلك فان على حفظة الدين والمؤمنين به ان يستوعبوا من ثقافة الجيل المعاصر اكبر قسط حتى يستطيعوا التأثير في اتجاه الثقافة الجديدة ويساعدوا مثقفي الجيل على تحديد موقفه النهائي من الحياة الدينية .

ويؤكد لك « ريلكه » بان الدعوة الى تمجيد التراث الكلاسيكي مهما تفننت في التعبير وفي البلاغة والحماس فان نجاحها في المراحل النهائية ضئيل محدود . وذلك لأن تراث الاقدمين سجل لتجارب عن حقائق انسانية تختلف في بيئتها ومقوماتها عن طبيعة تجاربنا للحقائق الجديدة التي تجمع الجيل المعاصر في شتى معالمه . والاصرار على استخدام التجارب العتيقة لحل مشكلة مستحدثة عناد لا طائل منه وهو كفيل بأن يخلق ثقافة مشوشة القيم ، واهنة العزم ضعيفة الحول توهم نفسها بأنها قادرة على مواجهة مشاكل العصر الفكرية والعاطفية مستوحية الغذاء لذلك من تراث العصور السالفة ، في حين ان هذا العصر لا يشارك تلك العصور الا في النزر اليسير من التجارب الصادقة لحقائق الحياة الجديدة المعقدة .

والنتيجة ان طبيعة الثقافة الجديدة وما تعكسه من الوان الثورة الفكرية والقلق الاقتصادي والتفكك الاجتماعي وقصور الثقافات العينية — في رأي ريلكه — عن ان تقدم خلال عملية مناسبة لهذه العوامل الثورية الجديدة ، كل هذا « يفرض على المثقف المعاصر العيش في فراغ قاتل والانسياق في حياة لا دستور لها » . وهذا المثقف لا يجد لنفسه نبراساً يسير بوحيه ، نبراساً يرتفع عن جمود المحافظين من دعاة التقيد بتراث الحضارات القديمة ، ولا يخضع لدعاة هذه او تلك من الايديولوجيات .

والا فما تفسير هذه المدارس الفكرية المشوشة كاللاوجودية وما سر هذه الثورة المضطربة على اساليب الشعر والتعبير وفنون التصوير والتلحين التي اصبحت تسود الاوساط الثقافية اليوم في كل مكان . وهل ملأت يا ترى هذه الاتجاهات الجديدة ، وهذه الثورات الفنية المعاصرة الفراغ القاتل التي يواجه مثقف القرن العشرين ؟ الا ترى اكثرهم يقف حائراً ازاء هذا « التجديد » لا يلمس فيه حلاوة الابداع الفني ، ولا يجد فيه التعبير الصحيح للحقائق الانسانية التي تكتنفه .

وقد وصف « ريلكه » نفسه في احدى قصائده بأنه مشرد لقيط تربى ونما في احضان غريبة فلا اهل له ولا مأوى ، فاذا حدث ووجد له بعض ذوي القربى فان العطف والحب الذي يقدمونه له لا يمكن ان يزيل من قلبه الاسى الذي صاحبه في سنوات النشوء والحداثة . فهذا الاسى راسخ في صميمه ، وحب ذوي القربى لا يثمر نفعاً الا اذا توفر للطفل في سنوات الحضانة

والنمو . والمثقف الذي ينمو في مجتمع محطمة اركانه تتجاوب فيه الثورات والتوتر والقلق ، كالمشرد اللقيط لا يمكنه ان يتذوق حب الثقافات القديمة والتعلق بها مهما اشتدت صلة القربى بينها وبين مقوماته الثقافية .

ويقول لك « ريلكه » ان عظمة « هومير » و« شكسبير » و « دانتي » كون اطارهم الفكري مستمداً وحيه من معالم الحقائق الانسانية وطبيعة البيئة والمحيط التي كانت تكتنفهم . وقد كانت تلك المعالم واضحة تعكس مجتمعاً راسخ الاركان . فاذا حدث واعترته ثورة فكرية وقلق فان اسبابهـا محدودة واهدافها بينة ، فاذا شملت الحرب والسياسة ودسائس القصور والعشق والبطولة فانها لم تشمل هذا السيل الجارف من التطورات والتيارات العميقة المتلاحقة المتشعبة التي تكتنف جيلنا في القرن العشرين . فمسؤولية هومير وشكسبير ودانتي وغيرهم من الادباء الخالدين محدودة . فقد خيل لـ « ريلكه » انهم وقد ادركوا ضيق الحدود والمعالم والتجارب التي وفرها لهم مجتمعهم الثقافي فاكتفوا بتحليل انفعالات الفرد ملكا كان ام بطلا ام عاشقـاً ازاء حادثة من الحوادث الفردية . وهذا سر خلود هذه الملاحم القديمة وما شابهها من تراث الادب الخالد وسر تذوق الناس لها في كل جيل وانتفاعهم بها في حدود التجارب العاطفية والفلسفية .

ولكن انفعالات الفرد في جيلنا المعاصر قد تضاعفت وتعقدت وتشعبت اصولها وذيولها وازدادت تأثيراً في امور المعاش وحياة الناس . فاذا لمس الفرد اليوم في الكيان الاقتصادي لمجتمعه تشويشاً فانه مرغم على احتساب العواقب في حياة مطالب العيش المادي فيها متعددة متشعبة متكافلة على الف عامل وعامل من شؤون السياسة والوعي الاجتماعي . وهذا الوعي امعن في الحدة واليقظة من ادراك المجتمعات السالفة ، وهو لا يسمح للفرد ان يقف مكتوف الايدي صامت اللسان يجد العزاء في فنون الشعر وجمال القطعة الادبية وحكمة الاقدمين .

*

و « ريلكه » حين يتعمد ابراز وجه التباين في مقومات الحياة بين الاجيال الماضية وبين الجيل المعاصر يستند الى اعتقاده بأن الثقافة الغربية في وضعها الراهن قد فقدت الاعتماد على العزة الالهية والقضاء والقدر . وان تفكير المثقف الغربي اليوم قد تأثر بالعلوم الطبيعية وعصر الآلة والذرة تأثراً يكتنفه من كل صوب ، فلا مفر له من ان يتساءل عن المسببات المقنعة لكل شيء . فهو لا يقبل اي تعليل او تحليل لاهوتي او وجداني لحدث من الحوادث . وفي التراث الكلاسيكي تعليلات واجوبة شافية للعقد التي واجهت المجتمعات السالفة — اجوبة تستند الى عناصر القضاء والقدر والفلسفة والبلاغة سواء في ميثولوجيـة اليونان والرومان ام في فلسفة القديس اغسطين او في حكم افلاطون وجيته او بلاغة شكسبير ودانتي .

وريلكه لا يرى ان اللاهوت والفلسفة والبلاغة القديمـة بضاعة تفسر تفسيراً شافياً الضائقات الاقتصادية والمشاكل الدولية والازمات الاجتماعية الروحية المعقدة المتلاحقة التي صاحبت ميلاد هذا الجيل . فهي مزيج عجيب من العوامل الحضرية التي تولدت عن تشابك العالم في مواصلاته الجغرافية والفكرية ، وفي سرعة نموه الاقتصادي في جزء ، وبطئه في جزء آخر ، وفي يقظة الوعي في مفاهيم جديدة مستحدثـة لم تكن موضوع بحث او اجتهاد خاص لدى مفكري العصور القديمة .

وهذان التعليلان : اختلاف مقومات الحياة المعاصرة في نواحيها الفكرية والمادية عن مقومات الاجيال الماضية ، وفقدان الاستقرار الروحي وتضاؤل القيم والمؤثرات الدينية في حياة المجتمع الغربي المعاصر — هما المزيتان الرئيسيتان اللتان تجعل لتراث « ريلكه » ومكانته الهامة في حاضر الفكر الغربي ، تراث اختار صناعة الشعر وقيوده الصارمة للتعبير في درر من النظم النادرة الجمال وثروة من اللغة مزيتها التجديد ، وذوق من الشاعرية فريد وعمق في الملاحظة ، ودراسة في غير ملل وتفهم للمعـارف في دقة وتفكير في النفس ومن حولها تفكيراً عميقاً .

نيويورك — عمر حليق

من أيام الرعب

قصة محمد مظلوم

بقلم يوسف الشاروني

°°°

سرقة محمد مظلوم ذات صباح ، وقد اكتشف أمر هذه السرقة عندما عاد من عمله الى غرفته التي يستأجرها بزقاق القطة بمدينة القاهرة فلم يجد نقوده التي ادخرها طوال عشر سنوات من عمله كبنّا بمدينة القاهرة ، وكان يخفيها في صندوق خشبي ذي قفل كبير تحت قطعتين من القماش المتسخ المهلهل . وهكذا وجد محمد مظلوم نفسه – وعلى اثر هذا الاكتشاف – في موقف جديد عليه ان يواجهه . .

ويبدو ان عظيما قد مر موكبه في ذلك اليوم امام الشارع الكبير الذي يطل عليه زقاق القطة ، فخرجت النساء وخرج الاطفال ليشهدوا هذا الموكب ، وازدحمت رأس الزقـــاق بالمتفرجين ، بينما خلت بيوته – اقصد غرفاته – من سكانه . ولا بد ان هذه كانت فرصة اللص ، لا سيما وان محمد مظلوم قد نسي ان يغلق النافذة الوحيدة بغرفته ، وهي قد تعلو عن الارض لكنها لا تعلو عن اللص .

وكان اول ما فعله هو ان قصد المعلم عبد الذي كان يحتل مع زوجه وابنه غرفتين بنفس المنزل ليسأل عما اذا لم يكن قد رأى شخصاً غريباً في الزقاق ذلك اليوم ، لكنه لم يجد احداً ، فذهب الى جارته الست ام مرزوق . ولكنه قبل ان يحدثها لاحظ انها متجهمة الوجه ، فبدا له ان يسألها عن همها قبل ان يشكوا لها همه ، فاخبرته ان الاسطى حسنين اعتدى عليها هذا الصباح بالضرب واللكم لانها منعت عنه ابنها مرزوق الذي كان يعمل في خدمته ، لقلة الأجر وكثرة العمل والضرب . ولما لاحظت تجهمه هي الاخرى سألته بدورها عما به ، فاخبرها بقصة السرقة ؛ وقد بدا شيء من الدهشة على الست ام مرزوق في اول الامر لدى سماعها بأن لدى محمد مظلوم كل ذلك المبلغ ، لكنها كانت تعرف انه شاب مستقيم لا مسؤوليات لديه ، فلا غرابة ان كان قد وفر كل هذا المبلغ ، وقالت لنفسها : « هذا رجل شاطر » وشاركته الهم وهي تحس بالأسف لانها لاتستطيع ان ترد له في مثل هذه الفرصة بعض الجميل الذي اسداه لها من قبل ، (ذلك انه انقذ من الحريق ابنها مرزوق ذات يوم) ومع ذلك فقد سرت عنه بكلمات طيبة ورجت ان يستعيد نقوده قريباً . ووعدته بأن تعاونه في البحث ما استطاعت الى ذلك سبيلا . ثم رجته ان يقابل الاسطى حسنين ويعنفه على مابدر منه تجاهها .

وخرج محمد مظلوم في طريقه الى مركز البوليس ليخبرهم علهم يهتدون الى شيء . وكان يعرف جيداً طريقه الى هناك ، فقد دخله ذات مرة على اثر شجار قام بين عمال البناء وصاحب منزل كان يقام في تلك الضاحية ، كما اتهم مرة اخرى بسرقة بعض ادوات البناء فحبس فيه ثلاثة ايام ثم افرج عنه عندما لم يثبت دليل ضده . فلما وصل الى المركز لمحه احد رجال الشرطة وهو داخل بذقنه التي تنتثر عليها شعرات سوداء لاتستطيل ولا تختفي فسأله عن سبب وجوده ، فلما شرح له الامر نظر اليه في ريبة وامره ان يجلس وينتظر . وكانت العتمة قد اخذت تنتشر على المكان ، والاضواء الصفراء تنشر وهجاً شاحباً في المكان بينما كان محمد مظلوم يرى امامه اقواماً يمرون حليقي الرؤوس مقيدي الايدي وهم يدخلون الى مكان ما والى جانبهم جندي او جنديان .

وحين دخل امام الضابط وجده صغير السن جميل الوجه يصلح ان يكون ابن احلامه التي تبخرت ، وكان الضابط يبدو مؤدباً لطيفاً مبتسما وهو يقرأ شيئاً – يشبه الخطاب – بين يديه لكنه حين رفع وجهه ورأى امامه محمد مظلوم بعرقه ولزوجته ورائحته التي تفوح ، صاح في رجل البوليس الذي اصطحبه : معه وماذا فعل هذا ايضاً؟ فاجابه محمد مظلوم على الفور : سرقوني يا سعادة البك ، سرقوا مني تسعة وعشرين جنيهاً وستين قرشاً .



خرجت اليوم صباحاً من غرفتي ثم عدت لأجد الصندوق مسروقاً كنت انوي الزواج بهذا المبلغ ..

وابتسم الضابط في ارتياب ، وامسك ورقة وقلماً وبدأ يسأله عن اسمه ، وعن عمله وعن عمره وعن عنوانه ، وهو يسجل كل ذلك ، ثم سأله : لماذا تركت النافذة مفتوحة ؟ ولماذا وضعت النقود في صندوق ولم تضعها في البنك او مصلحة البريد؟ ألست انت الذي سرقت مرة ادوات البناء من منزل حمروش بك ؟ ووجد مظلوم نفسه يفسر ويدافع ، حتى سأله الضابط في النهاية قائلاً : ومن تريد ان تتهم ؟

انه لن يتهم احداً من جيرانه منذ عشر سنوات ، منذ عمل بناء بمدينة القاهرة ، وهو يسكن هذا الزقاق . وكثيراً ما نسي نافذة غرفته ــ بل بابها نفسه احياناً ــ مفتوحاً . يخرج مسرعاً وينسى ان يغلقه . هذه عادته . ولم يُسرَق منها شيء . هل يتهم «المعلم سلبه» الذي صاح فيه منذ ايام : سأقطع عيشك ! ان «المعلم سلبه» لا يمكن ان يسرقه بهذه الطريقة ، ولا يقصد الا مجرد دفعه الى زيادة جهده ، او على الاكثر طرده من خدمته . ان شخصاً من خارج الحارة التي يطل عليها الزقاق ، هو الذي سرقه ، سرق جهده ، جهده اليومي . وتلفت الى الضابط يقول :

ــ ربما شخص من خارج الحاره ، كنت أنوي الزواج .

وضاقت عينا الضابط وبدا عليه كأنما يفكر في شيء آخر بعيداً ثم قاطع محمد مظلوم وواصل اسئلته قائلاً :

ــ ومن أين لك بهذا المبلغ كله ؟

وادرك مظلوم في وضوح ما يساور الضابط من شكوك ، وكان عليه ان يدافع من جديد وان يوضح كيف ادخر هذا المبلغ خلال عشر سنوات ، وكتب الضابط بضع كلمات ، ثم امره بالانصراف على الا يغير سكنه الحالي لانه قد يستدعيه في اي وقت .

وحين عاد الى زقاقه احس بحاجة شديدة الى انسان يحدثه ويخبره بما حدث له وبما قد يتخذونه من اجراء آخر ضده . ولكن الوقت كان متأخراً والليلة باردة والجميع قد ناموا .

وفي ليل اليوم التالي طرق الباب فجأة ، واستيقظ محمد مظلوم ينصت في العتمة ، وعاد الطرق شديداً يكاد يحطم الباب ويهز الجدران . وانتابه مزيج من الخوف والتأهب . فمن عساه يأتيه الآن ؟ وامتدت يده تشعل عود الثقاب كأنما ليساعده النور على حدس الطارق . أترى الليل انتصف ام لما ينتصف ؟ وهل يطرق اللصوص الابواب قبل ان يفتحوها ؟ وغادر فراشه

واتجه نحو الباب يصيح في صوت امتزج فيه الحذر بتصنع الشجاعة .

- من يطرق الباب ؟ فاجابه صوت اجش خشخش في عتمة الليل ، افتح يا محمد يا مظلوم .

فسأل من جديد : من يطرق الباب ؟

فلم يجبه الصوت الا : افتح انا اريدك .

وكان البرد شديداً ، فاضطر ان يلتحف غطاءه ، ونسي ان يرتدي مداسه في قدميه ، فاحس بالرطوبة شديدة تكاد تقلص عضلات قدميه . وعندما فتح الباب كانت بطن قدمه اليسرى قد تقلصت تماماً فصرخ متأوهاً وانكفأ عليها يدلكها بشدة حتى يسري الدفء فيها وتعدل عن تقلصها المؤلم . بينما دخل رجلان يرتديان الزي الرسمي لرجال البوليس . وقبل ان يهم باشعال المصباح سمعهما يطلبان منه ان يصحبهما الى مركز البوليس . وكان من الطبيعي ان يتساءل عن سبب استدعائه في مثل هذه اللحظة من الليل ، فاجابه احد الحارسين بانهما لا يعرفان السبب تماماً وان كان يبدو ان له علاقة بموضوع قضيته . فاستأذنهما لحظة لكي يرتدي ما يدفع عنه البرد وما يليق بمقابلة ولاة الأمر فقد كان يحس انه كلما كان اكثر انتظاماً في ملبسه كلما كان اكثر هيبة في مظهره ، فارتدى كل ما لديه تقريباً حتى بدا متكوراً واضخم من حقيقته ، ثم مضى بين حارسيه يسائل نفسه عما يمكن ان يكون قد جد في قضيته . وكان يحك كفه تارة ، ثم يعود يحك ارنبة انفه حيث يحس ان البرد يتراكم كثيفاً . وحين وصل الى مركز البوليس وجد نفسه امام غرفة الضابط التي دخلها من قبل باختياره وارادته ، اما الآن فان يداً تمسكه وصوتاً يأمره بالوقوف ، ثم تعود اليه اليد فتقوده داخل الغرفة ، واذا هو مع مجموعة يكادون يبلغون العشرة يرتدون كلهم مثله العباءة او الجلابية ، وكأن ثمة صلة بينهم ، فهم يعرفون بعضهم بعضاً بغير ان يتعارفوا من قبل . وأمروهم ان يقفوا صفاً واحداً ، فوقف محمد مظلوم بينهم مشدوهاً مما يحدث وان كان قد بدأ يفطن اليه . وفُتح الباب من جديد ودخلت سيدة انيقة الملبس ، ترتدي فراء ابيض ناصعاً وثوباً اسود تحته يبرز تفاصيل جسدها تفوح منها رائحة نفاذة ، تغطي يديها بقفاز من الفرو كذلك ، وقد صبغت شفتيها بلون احمر صارخ بينما كحلت اهدابها واجفانها وارتدت فوق رأسها ما يشبه قبعة مزينة بالريش الاخضر والازرق ، ومن خلفها سار رجل انيق المظهر كبير السن تبدو الصرامة على محياه ، واخذا يتفرسان في صف الجلاليب واحداً واحداً ، ونظرت المرأة مرتين الى محمد مظلوم ثم مالت على اذن الرجل وتبادلت معه اربع كلمات او خمس ولكن الرجل هز رأسه نفياً ، وما لبثا ان تابعا سيرهما حتى انتهيا من فحصهما الدقيق . وقالت السيدة بصوت اجش كأنه صوت رجل : لا اظنه واحداً من هؤلاء . فانحنى الضابط - وهو يقدم لها سيجارة ويقول : سنقبض عليه على كل حال في خلال يومين او ثلاثة ، لا تقلقي كثيراً .

وعندما غادر ثلاثتهم الغرفة ، صدر الامر لمحمد مظلوم وزملائه بالانصراف .

*

وفي صباح اليوم التالي ذهب مظلوم الى البناء الذي كان يعمل فيه ، وكان قد اوشك على الانتهاء ، حتى ان العمال قد يتناولون نصف يومية لان العمل لن يستغرق كثيراً من النهار وان كان قد ترامى الى سمع محمد مظلوم ان لدى «المعلم سلبه» عملاً جديداً يبدؤه بعد غد . وعندما اقبل الظهر كان العمال قد اتموا عملهم فاخذوا يغتسلون ويخلعون ملابس العمل ويرتدون ملابسهم الفضفاضة النظيفة . وفي هذه الاثناء وجد محمد مظلوم انه لا بد ان يفضي لصديقيه عبد الباسط وزيدان بما حدث له بالامس وقبل الامس ، وكان خجلاً ان يفضي لهما بأنه ادخر كل هذا المبلغ لكي يتزوج فقد يضحكان من وسيلته تلك ، ولكنه رآهما ينصتان اليه في اهتمام لا سيما مما حدث له ليلة الامس . وقد قال عبد الباسط بفلسفته المعهودة : على كل حال هذا ليس جديداً يا مظلوم ، فالمعلم سلبه مثلاً يمر علينا لكي يكتشف ان الطوبة هنا ليست في محلها او ان المونة هناك ليست كافية ، وذلك بدلاً من مساعدتنا وارشادنا . وقد طرد زميلنا ابا رواس بحجة من هذه الحجج . فقال زيدان مكملاً : وحين نركب الترام يأتي المفتش لكي يضبط احداً منا بغير تذكرة فتساءل مظلوم قائلاً : طيب وماذا تعتبرني الحكومة الآن ؟ فاجاب عبد الباسط : والله يبدو أنهم يشتبهون فيك . .

وهكذا واصلوا كلامهم وكل منهم يجفف وجهه بمنديله ، وافترقوا على ان يلتقوا صباح اليوم التالي بالمعلم سلبه ليسألوه عن العمل الجديد .

وفي المساء جلس محمد مظلوم في المقهى مع جاريه المعلم عيد والاسطى ابو حنفي وهما يسألانه عن الضجة التي حدثت بزقاقهما بالامس وعن حكاية البوليس معه وكل منهما يقول بدوره : لا

حول ولا قوة الا بالله. ثم يقول المعلم عبد: انا اعرف محامياً ابن حلال نذهب له ان كنت تريد. ويقول الاسطى ابو حنفي: شد حيلك، خليك جدع. لا حول ولا قوة الا بالله! ثم يجذب نفساً من تعميرته! ويصفق ليطلب «ولعة».

وفي الصباح قصد محمد مظلوم الى المعلم سلبه ليرى هل من عمل جديد، وعندما عبر المقهى على رأس الحارة احس ان شخصاً يقترب منه، فالتفت خلفه فلاحظ انه يرتدي جلباباً وفوق الجلباب معطفاً اسود وفي قدميه حذاء اسود ذو رقبة؛ اما الوجه فانه لا يعرف صاحبه. ورأى الرجل يقترب منه ويطلب منه عود ثقاب وقد امسك سيجارة بين اصبعيه بينما امسك علبة سجائر كاملة بالأخرى كأنما يقدم منها لمحمد مظلوم، وكان محمد مظلوم قد تعود من زملائه في العمل الا يمتلكوا علبة سجائر كاملة في اكثر الاحيان بل يمسك الواحد سيجاره ويقدم اخرى بيده لزميله. وقد رفض مظلوم معتذراً عما قدمه اليه الرجل، واخرج علبة ثقابه وهو يرد التحية. ولم يمهله الرجل بل قال له في صراحة: انني اعرفك واعرف اسمك وعنوانك وعملك وشبهتك، واحب ان نتفاهم على الا تتعبني في مهمتي، فلا تحاول ان تتوارى عن ناظري لان ذلك لن يؤدي الا الى زيادة الريبة فيك مما يجعل مصيرك غير مأمون العواقب. وادرك محمد مظلوم الى اي مأزق قد وصل، فهو يحمل الآن معه تهمة خطيرة عرفها الناس ورآهم يتهامسون الآن عليه ويتشاورون قائلين، «هذا هو المسروق، هذا هو المسروق» وكانت العيون والاصابع تطل من الابواب والنوافذ وتشير نحوه ثم تختفي، وهو يترك الرجل ليواصل سيره، والرجل لا يتركه بل يتبعه كظله.

وعندما اقترب من باب المعلم سلبه وجد اطفالاً يلعبون الكرة «الشراب» في الحاره واحدهم يصيح «اولها سنّو». ووجد بينهم خليل ابن المعلم سلبه، فسأله عن ابيه فاخبره بوجوده ومضى الطفل مسرعاً ينادي اباه، وخرج المعلم سلبه وقد فتل شاربيه وحيا محمد مظلوم تحية الصباح، غير انه لم يأذن له بالدخول على غير عادته، فحياه مظلوم ولم يجد بداً من الحديث مباشرة في الموضوع الذي اقبل من اجله، فقال له كيف حال الشغل يا معلمي؟ ولكن المعلم سلبه اجابه: صاحبك زيدان ينتظرك على القهوة على رأس الشارع. وتجهم وجه مظلوم، وقد ادرك ان لا عمل لديه اليوم، ونقوده المدخرة التي كان يلجأ اليها في مثل هذه الاوقات لا وجود لها، فاعاد السؤال على المعلم كأنما ليتأكد من بطالته فقال: يعني لا يوجد شغل يا معلم؟ فاجابه المعلم بنفس الطريقة السابقة، لم يجبه على سؤاله بل همس وهو يتلفت: سمعنا انك واقع مع البوليس في ورطة. فاجابه مظلوم. والله سرقوني يا معلم. ولم يدعه سلبه يتم كلامه بل واصل: ولهذا يا مظلوم يا اخي نحن لا نريد الوقوع في مشاكل فابعد عنا الآن. انت تعرف انك عزيز علينا، لكن البوليس ربما يراقبنا بسببك وانت تعرف اننا نقضي كل ليلة جمعة مع اصحابي في انس وانسجام وربما تحصل كبسة علينا بسببك. اذهب لزيدان لتعرف فيمَ يريدك. وادرك محمد مظلوم ان تهمته تقف الآن حائلاً بينه وبين عمله. فرجع منكسف الخاطر يفكر في اشياء كثيرة، وكان يعود مسرعاً يريد ان يقابل زيدان لكي يعرف فيمَ يريده ولكي يفضي اليه بكل احزانه وهمومه. وكان الجو صحواً في ذلك اليوم ولو ان البرودة ما تزال تنتشر، ووجد صديقه في ركن المقهى يدخن الجوزة ويتحدث مع صاحب المقهى، فلم يكن بها غيرهما في ذلك الوقت من النهار. فالقى التحية ثم جلس، وما لبث زيدان ان صاح طالباً: واحد شاي ميزه (اي بلبن) وادرك اللهفة على وجه مظلوم فقال له: — انا فكرت كثيراً بعد حديثنا امس، وعندي اقتراح ارجو ان تقبله يا مظلوم. — وما هو؟

— ان اسكن معك في غرفتك، حتى تقل مصاريف كل واحد منا قليلاً.

واجتاحت مظلوم موجة من قشعريرة الفرح والمحبة فقال:

— ولكن غرفتي الآن «منداسة» وقد يعود اليها اللصوص بعد انضمامك إلي.

— حسناً، ولكن ما معك قد سرق وليس معي شيء ليسرق فلماذا نخافهم؟ هل تذكر ان عبد الباسط كلمنا يوماً عن تكوين نقابة لنا؟

— بل انا فكرت في تكوين نقابة أخرى، سأضم اليها جارتنا ام مرزوق التي اعتدى عليها الاسطى حسنين بالضرب واللكم، وسأضم اليها زميلنا ابا رواس الذي طرده المعلم سلبه لانه دافع عن كرامته، وسأضم اليها هؤلاء التسعة الذين اوقفوهم في الصف معي اول امس لتحدق فينا تلك السيدة وصديقها، وسأضمك انت اليها واضم عبد الباسط، ما رأيك؟

وقهقه زيدان قهقهة مرتفعة، ونادى الصبي يدفع له النقود، ثم وضع كفه على كتف مظلوم وخرجا من المقهى معاً.

القاهرة — **يوسف الشاروني**

الطيف العائد

✳

لرزوق فرج رزوق

كنا هناكْ
كانت جداولنا الوديعة في الحقولْ
مرحاً واشواقاً ، وكان لها نشيد
سمعته في الأصباح أعشاب السهول
كنا هناك
والنور كان متيماً صباً .. سلي عنه الزهورْ
كم مرة بالأمس قبّلها ، وأنشدها هواه !
كم مرة أغفت ، وأيقظها سناه !
واليوم ، حين نأت خطانا ، ضمّنا نور جديدْ
وامتدت الارض الفسيحة ، وانجلى اليم البعيد
وزها النهارْ
وتأرجت في الدرب أزهارٌ كثار
لكنّ قلبي — فجأةً — يأسى ويغلبه الحنينْ
ويعوده طيف حزين
فلقد تذكر أننا كنا هناك !

✳

الرحلة المنتهية

✳

كان آخر ايام العام غزير المطر

ظلّ المطرْ
يهوي على الأرض القديمة والحجر
كل الصبيحة ، والظهيرة ، والمساءْ..
ظلّ المطر
يهوي ، فينتفض الشجر
هو والعصافير الصغيرة والهواء ..
العام أدرك أنّ رحلته انتهت . أن الضياءْ
سيشع من فجر جديدْ
وسيستريحْ
من كل عبء فوق كاهله الجريح
فتبسمت شفتاه ، وانبثقت بعينيه الدموع
وهوت على الأرض القديمة والحجر !

رزوق فرج رزوق

شدة الحساسية لدى الطفل

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

*

نحن نلاحظ في أغلب الاحيان فرقاً كبيراً في الحساسية بين الناس عموماً وبين الأطفال خصوصاً . وهذا الفرق راجع الى عوامل كثيرة تبدأ بالتأكيد في ايام الحمل الاولى . نشاهد امهات يتعرضن لاضطرابات نفسية شديدة ايام الحمل ، واستمرار الاضطراب النفسي يؤثر حتما في الحالة الجسمية عموماً والحالة العصبية خصوصاً . وبناء على هذه الآثار الجسمية العصبية يحدث تكوين خاص في الجهاز العصبي لدى الطفل وهو في مرحلة الجنين . والحامل بطبيعة حالتها تكون في حالة عصبية غير مستقرة ، فاذا صادفت ظروفاً غير مستقرة فانها تضاعف اضطرابها وتجعلها تقع في سلوك جسمي ونفسي شاذ،واذا ربطنا هذه الحالة باتجاه بعض السيدات في عصرنا هذا الذي يحبذ التخلص من الحمل في كثير من الأحيان فاننا نشاهد الحامل تتعرض الى ثورة ضد حالتها كحامل . و كثيراً ما يكون الحمل غير متوقع وتمر اشهر قبل اكتشاف الحمل،وتعيش الأم في حالة من القلق وعدم الاستقرار وتتدخل العوامل الدينية في كثير من الأحيان لتمنع الأم من القيام بعملية الاجهاض . وهناك ايضاً الشعور بالانانية الذي يدفع الأم الى التخلص من حملها حتى لا تتعرض لمتاعب التربية التي تحرمها من الراحة والحرية ويكلفها مصروفات . كل هذه الاتجاهات الفكرية اصبحت قوية في عصرنا هذا وتعرض الأم الحامل لصراع نفسي شديد يرفع من درجة التوتر ويزيد في اضطرابات الحمل ،ويتعرض الجنين الى حالة تجعله حساساً فيما بعد وتبدو عليه علامات شدة الحساسية في الأيام الأولى بعد الولادة .

وفي مثل هذه الحالة يكون من الصعب تغيير حالة الوليد بطريقة سهلة لأنه يكون في مرحلة صدمة التكيف مع البيئة الطبيعية وتقلباتها الجوية بعدما كان محمياً منها في بطن امه. ولهذا يحسن ان نعتني بموضوع حساسية الطفل من الايام الأولى بعد ظهور علامات الحمل بحيث اننا نضمن للام الحامل جواً نفسياً هادئاً .

وقد بدأنا نرعى الحامل من الناحية الجسمية ببعض المواد الكيميائية مثل الكالسيوم وغيره ، ولكننا لم نتجه بعد الى رعاية الحامل من الناحية النفسية مع انها تكون في حالة نفسية مضطربة ، وكثيراً ما تظهر عليها اوهام ومخاوف تثير انفعالاتها وكثيراً ما تتعرض الى ازمات بكاء اوغيرها من المواقف النفسية الشاذة . ولا ننسَ الخوف الشديد من الوضع سواء كان اول وضع او كان قد سبقه غيره ، ففي اول وضع تكون الحامل متخوفة لانها مقبلة على عملية سمعت عنها اوشاهدتها عند الأخريات وتكون خائفة من آلام لا عهد لها بها . واذا كانت الحامل قد وضعت من قبل فانها تكون ايضاً متخوفة من الآلام كما انها تكون خائفة على وليدها .

وبهذا نثبت ان الحامل تكون بصفة دائمة فريسة لانفعالات حقيقية ووهمية . وبدلاً من ان تسري هذه الاضطرابات الى اعصاب الحامل وبالتالي الى اعصاب الجنين يحسن توجيه الحامل توجيهاً نفسياً يخفف عنها ضغط التقلبات الانفعالية . وانصح في مثل هذه الحالات بأن تقبل الحامل على الاسترخاء الكلي للجسم اي ان تمتد في وضع مريح وترخي كل عضلاتها وتتخذ وضعاً لا يتطلب منها اي مجهود وتقوم في نفس الوقت بعمليات التنفس العميق مع السكوت الوجيز بعد كل عملية تنفس . ويجب ايضاً ان تراعي الأم الحامل انطلاق ملامح وجهها وخصوصاً عضلات العين والخدين ، ويكون ذلك بابتسامة خفيفة . وتكرار هذه الجلسات يضمن راحة الاعصاب وتجديد ترابطها وابعاد التقلصات الناشئة عن الانفعال وتقلب الحالات النفسية .

وبعد الوضع يمكننا ان نقضي على زيادة الحساسية العصبية لدى الطفل بتخفيف صدمة تغيير البيئة ، التي تحدث بخروجه من البطن الى البيئة الخارجية ، ويكون ذلك بعدم تعريضه الى

العلم في مأزق

بقلم توفيق حنا

وهكذا بعد مئات السنين من التقدم انتهى العلم الى هذا المأزق. العلم الذي كان دائماً اداة الحياة والتقدم والسلام اصبح وسيلة من وسائل الحرب والتدمير والخراب، انحرفت الطاقة الذرية الى صنع القنابل الذرية والهيدروجينية والكوبالت وغيرها من هذه الشياطين السوداء. اينشتين ابو الذرة المسؤول الاول، والعلماء في جميع انحاء العالم مسؤولون، كان العلماء انفسهم اول ضحايا هذا الانحراف الانساني للعلم: روزنبرج وزوجته، ثم اخيراً اوبنهايمر، والصيادون اليابانيون المساكين، واهالي ايران قرب سيبريا، واهالي هيروشيما ونجازاكي، هذا الجزء الذي امحى من الوجود الجغرافي والانساني. هؤلاء جميعاً ضحايا هذا الجناح الذي اصاب العلم والعلماء. هل فقد العلم انسانيته! لماذا فكر عالم – لا أدري من هو – في توجيه الطاقة الذرية هذه الوجهة المخربة المدمرة. انا اتهم هذا العالم الاول ومن جاء بعده من العلماء الذين ساروا في طريقه وجعلوا العلم للحرب لا للسلام والانسانية. انا اتهم هؤلاء العلماء بالخيانة. فالعالم رجل شريف، انسان امين، مواطن حر، ويل للانسانية حين يقودها علماء خونة. ويل للانسانية حين يسيطر على عقلها – وهو اشرف جزء منها – غريزة عمياء كل همها الانتصار، والانتصار السريع، والانتصار على أي صورة وبأي وسيلة. لم اكن أظن ان الأنسانية بعد هذا التقدم في طريق الرقي والحرية والرخاء يمكن ان تنحط الى هذا الدرك من التفكير ومن السلوك!

ازمة اخلاق! ازمة علم! ازمة فلسفة! ازمة دين!

اكاد اقرر – للخروج من هذه المشكلة الفلسفية – اننا

الضوء الشديد والأصوات العنيفة وكذلك حفظه من الحر والبرد وضمان الجو الدافىء المقارب لحرارة الجسم.

ويجب ان نمتنع عن عادة دغدغة (زغزغة) الطفل لاضحاكه لان استجابة الضحك لا تكون دائماً معبرة عن الفرح والسرور عند الطفل كما هو الشأن عند الكبير. فالضحك عند الطفل يكون مجرد استجابة تشبه البكاء تماماً. والدغدغة تكون عبارة عن منبه شديد يعرض الجسم كله الى تقلصات، ونشاهد بالفعل الجسم كله ينكمش ليعبر عن مقاومة ضد هذه المداعبة الضارة.

وهناك مواقف اخطر من هذه: اذ تُقبل بعض الامهات الى لمس الأعضاء التناسلية لدى الطفل، وبعضهن يستغربن ظاهرة الانتصاب عند الطفل الصغير في السنوات الاولى من حياته ويقبلن على تنبيه العضو التناسلي، فزيادة على الاضرار الخاصة بشدة الحساسية التي تحدث عنها، هناك اخطار نفسية اخرى تنتج عن هذه الاتجاهات في المداعبة: وذلك لان الحساسية الجنسية اقوى انواع الحساسيات والمفروض انها تظهر لتربط اعضاء الجسم فيما بينها كما انها تربط بين الجسم والنفس وتربط الفرد بالمجتمع، ويكون من الخطر استعجال ظهورها وتأكيد اتجاهها نحو الأم. فذلك يحدث تعلقاً شاذاً بين الام وابنهـا ويعوق الابن بعد نموه ونضجه عن الاتصال الطبيعي بالناس عموماً والمرأة خصوصاً، وتؤدي به هذه الحال الى الانطواء على النفس وتجعله يخاف من المجتمع ويصاب بداء الخجل ويكون في نفس الوقت معرضاً لأزمات انفعالية حادة مع شدة العاطفة المكبوتة.

ونلاحظ ايضاً ان الطفل يتأثر تأثراً واضحاً بسلوك الأم العام، فان كانت الام عصبية فان الطفل يأخذ منها جزءاً كبيراً من حساسيتها ويقلدها في مواقفها وتظهر عليه نفس الانفعالات التي تظهر عليها. واثبت التحليل النفسي ان الكثيرين من الاشخاص الذي يشكون من حزن لا شعوري يرجع اصله الى حزن الام الذي كان يستولي عليها وحين كان ابنها او ابنتها طفلاً.

كما اننا نشاهد اغلب الاطفال الذين مات لهم اخ وهم صغار يصابون بنوع من الحساسية الزائدة لأن موت الأخ يؤثر اثراً خطيراً في حالة الام النفسية وتنعكس هذه الحالة بما فيها من انفعالات الحزن الشديدة على باقي الاطفال، ولهذا يحسن ان يبعد الاطفال عن الأم ان كانت معرضة لأي انفعال حتى لا يتأثر الاطفال بتلك الحالة ويكون من الصعب بعد ذلك تخليصهم منها.

القاهرة — ابو مدين الشافعي

نعيش في عصر العلماء الصبيان وان عصر العلماء الاساتذة قد انتهى. انتهى عصر نيوتن وكوبرنيك ولابلاس ولافوازيه وباستور وكوري وفلمنج وغيرهم من العلماء الانسانيين الاخلاقيين.

كان العلم دائماً يعمل في ايمان وفي ثقة وفي صبر على تقدم الناس ورفاهيتهم وتخفيف آلامهم.

ايمكن ان يحطم العلم بقسوة وبعنف كل ما قدمه للانسان من خير! هل العلم ملك لأحد؟ هل العالم الحق ملك لوطن معين؟ انا اقولها بأعلى صوت، لا، حتى يسمعني من يعمل في مصانع الاسلحة في كل انحاء العالم. ايمكن ان نستعمل العلم ضد الناس وضد انفسنا! ايمكن ان اضع بنقودي سماً اقدمه لصديقي وهو يشرب الشاي معي!

كم اتألم لموت الصيادين اليابانيين، وكم أتألم وانا اذكر ضياع هيروشيما ونجازاكي، وكم اتألم وانا اقرأ في الجرائد مع كل صباح آثار الاشعاع الذري على الناس! ؤكم اضحك وانا ارى الساسة الطيبين يحاولون حـــل مشاكلهم بالمؤتمرات! ان المسألة لم تعد مسألة الساسة بل مسألتي انا ومسألتك انت. لقد اصبحت المسألة مسألة كل انسان على ظهر هذا الكوكب المسكين! ولم تعد المسألة في يد العلمـــاء الذين باعوا انفسهم للشيطان، الذين باعوا انسانيتهم وعلمهم لتجار الحروب. لم تعد المسألة في يد الساسة ولا في يد العلماء. ان علم القرن العشرين في مأزق. واجب الناس اذن، كل الناس في جميع انحاء العالم ان يشعروا بهذه الخيانة، خيانة العلم والعلماء لرسالة الانسانية والتقدم والخير. واجب الناس ان يعلنوا انهم ضد استعمال الطاقة الذرية للحرب وان يطلبوا فوراً توجيه هذه الطاقة - التي لا يمكن ان تكون ملكاً لاحد - الى السلام والخير والانسانية وعندما يرتفع صوت الناس في كل ركن من اركان العلم سيشعر الظالمون مدى ظلمهم ومقدار جريمتهم واذا اراد الناس اراد الله فصوت الناس هو صوت الله وسيكون في مقدمة الناس هذا البعض القليل من العلماء الذين اخلصوا لرسالة العلم والذين كانوا امناء لرسالة الانسانية. ففي مصانع قليلة في انحاء العالم يعمل علماء في سبيل الانسانية وقد كتب على ابواب مصانعهم: «هنا تستخدم الطاقة الذرية للسلام».

ان العالم مهدد بخراب، فواجب على سكان هذا العالم ان يكونوا معاً صوتاً واحداً مدوياً ضد العلماء الخونة وضد تجار الحرب.

انا ادعو البخلاء والجبناء، انا ادعو كل انسان يحب الحياة ويريد الحياة لمن يحب، انا ادعو كل من يحب حيواناً او زهرة انا ادعو كل انسان، كل انسان ان يكون هذا الصوت الصارخ المدوي ضد العلم الخائن وضد العلماء الخونة وضد الساسة الحمقى المجانين وضد الحكومات التي تسعى في طفولة عابثة شيطانيـة وفي جبن وفي خوف نحو الحرب، او تسعى للسلم عن طريق سخيف تركته لنا الامبراطورية الرومانية التي ذهبت الا وهو الاستعداد للحرب. ان الذين قالوا Si vis pacem para bellum (اذا اردت السلم فاستعد للحرب) قوم ارادوا ان يحافظوا على امبراطورية ضخمة كانوا يشعرون انها ذاهبة. ان الغاية النبيلة تستلزم بالضرورة وسائل نبيلة وان الطريق النظيف يؤدي بالضرورة الى اهداف نظيفة.

فمن اراد السلام حقاً عليه ان يستعد للسلام بالسلام وبالخير وبالانسانية. السلام غاية ووسيلة. هنا اذكر غاندي، البطل القديس. هنا اذكر المصريين الذين استغلوا العلم واستغلوا وقت الفراغ فبنوا هرماً باقياً خالداً.

اين الفلاسفة، اين الحكماء، اين الشعراء! انا لا اسمع الا صوت تفجير القنبلة الذرية في سيبيريا وفي التركستان وفي المحيط الهادىء، انا لا اسمع الا البكاء والعويل والآلام والاحزان في اليابان وفي ايران وفي غيرهما، انا لا اسمع الادوي المصانع - وكأنها حيوان خرافي - وهي تدور في ضجة مخيفة وهي تنتج للخراب وللدمار وللشيطان. ثم اسمع اصواتاً تافهة لبعض الساسة الحمقى الاغبياء يتكلمون ويرغون دون ان يخلصوا النية والعمل للوصول الى حل سليم صحيح نظيف. ان كل مظاهر النشاط الانساني في مأزق العلم والفن والفلسفة والموسيقى والاخلاق، بل ان الانسان من حيث هو كذلك في مأزق.

انا ادعو الناس، فليس امامي الا الناس، انا وانت، الناس جميعـــاً على هذه الارض التي يحاول بعض أفرادها تدميرها وتحطيمها وكأنها لعبة في يد طفل وقد ضاق بها. او تمثال جميل في يد جاهل لا يحب الجمال ولا يفهم الفن، يهم بالقائه من نافذة طابق عال في ناطحة سحـــاب، اني اتجه بهذه الكلمات التي لا املك غيرها، الى الناس، كل الناس، اني اتجه بهذا النداء الى جميع افراد الانسانية وانا احذرهم وانـذرهم:

احترسوا، السائق تحت التمرين.

عزة الزيتون - مصر

توفيق حنا

رباعيات جديدة لعمر الخيام

مترجمة عن الايطالية

بقلم عيسى الناعوري

✳

هذه ثماني رباعيات جديدة لعمر الخيام ، وردت في طبعة للرباعيات أخرجها المستشرق الانجليزي ارثر جون اربري عام ١٩٤٩ ، وهو استاذ في جامعة كمبردج ، عن مخطوطة قديمة لدى احد هواة جمع الكتب واسمه تشستر بيتي ، والمخطوطة تحتوي على ١٧٢ رباعية ، وقد كتبها في مدينة نيسابور ، مسقط رأس الشاعر الخيام ، رجل اسمه محمد القوام ، في سنة ٦٥٨ ﻫ او ١٢٥٩–٦٠ م ، أي بعد نحو قرن واحد من وفاة الشاعر .

وقد علقت على هذه المجموعة التي نشرها المستشرق الانجليزي ، مجلة الشرق الحديث Oriente Moderno الايطالية التي تصدر عن معهد الشرق Instituto Per l'Oriente في روما ، في عددها الصادر في شهر نيسان من هذا العام ١٩٥٤ تحت عنوان «مخطوطتان قديمتان لرباعيات الخيام يكتشفهما ا. ج. اربري » والتعليق بقلم المستشرق الايطالي اسكندر باوزاني Alessandro Bausani ، وقد ترجم هذه الرباعيات الثماني الجديدة الى الايطالية ، وقال عنها إنها « كانت مجهولة تماماً قبل اكتشاف اربري » وها نحن ننقلها الآن الى العربية عن ترجمته الايطالية :

الى متى يظل جبينك متغضناً بالافكار الحزينة ؟
ولم يحدث قط ان استطاع احد ان يهتدي بالحزن الى طريق القرية
إن حياتي وحياتك خارجتان عن مقدرتنا
فألقِ اتكالك على الاقدار ، فذلك خير للانسان العاقل.

✡

لقد كنا ماءً مخزوناً في الأصلاب
ولكن نار الشهوة جاءت بنا جُدُداً الى الدنيا
وستحمل الرياح غداً ذرّات غبارنا بعيداً
فلنقضِ بالشراب هاتين البرهتين اللتين نحياهما

✡

نحن نعيش بين الخمور والصواحب، وانتم في الاديرة والمعابد
نحن اهل الجحيم ، وأنتم ابناء الفردوس
لكن ما ذنبنا في هذا منذ ابتداء الزمان ؟
فهكذا رسمنا الرسام على لوحة الاقدار !

✡

سعيد هو ذلك الذي يحيا في العالم حراً
حراً وراضياً دائماً بما وهبه الله
والذي يستطيع ان ينتزع من نفحة الحياة هذه نفعاً وغبطة
فيحيا للحرية السعيدة ، والحب الساذج والخمرة الصافية

ليس من الحكمة ان يُبهض المرء نفسه بالهموم والآلام
فما يمكن ان يطلب المرء من الاقدار غير نصيبه الخاص
وما سُطّر لك في لوحة الأقدار قبل ابتداء الزمان
هو وحده نصيبك ، بغير نقص او زيادة

✡

لو استطاعت يدي ان تصل الى دفتر الاقدار
لأعدت كتابته من جديد بحسب رغباتي
فنفيت الآلام كلها من العالم
ورفعت رأسي بسرور حتى يلامس السماء

✡

اشرب الخمر ، فهي التي تجعلك تنسى نفسك
وهي التي تملأ بالدم قلب عدوّك الخبيث
وما الذي يمكنك ان تجنيه من الزهد
غير ان تفجع قلبك بالتفكير في النهاية المحتومة لكل شيء؟

✡

أنت الخالق ، وهكذا قد خلقتني :
مجنوناً بحب الخمر والأغاني الحلوة
وما دمتَ قد كوّنتني كذلك قبل ابتداء الزمان
فلأي علّة إذن ستزجّ بي في الجحيم ؟

عصا جدي

بقلم ثريا ملحس

°°°

وأنا الهث مزّعت الصفحات ونثرتها في غرفتي ، ودُق بابي دقات خفيفة كأن الهواء المتسلل من نافذتي حرك اوصال الباب السقيمة. لا أنتظر احداً ، ولمَ انتظر؟ وددت لو اعيد جميع القصاصات الى صفحات، ولكنني تذكرت صوت جدّي الذي زجرني وصوت ابي الذي ورث عن جدي ذلك الصوت المخيف ، ورفعت يدي الى اذنيّ ، تباً، تباً لجدي وابي ، لا أُريد ان اذكرهما ، لا اريد ان اذكر ماضيّ في ذلك البيت الرهيب . كان يمشي متوكئاً على عصا تشبه الافعى طالما ارعبني منظر تلك العصا فكنت اخالها حية تسعى. ووقفت اصرخ في وجه جدي ، واندفعت ارفع على رأسه عصاه ، فيبست يدي ، يبست يدي لا لأني كنت جباناً خنوعاً بل لأني رأيته لحماً مهترئاً وعظاماً بالية .

وسألت نفسي وأنى له قوة في اللسان ؟

لم اكن صغيراً ، ولم اكن جاهلا . اما تقاليد اهلي فحكمت علي ان اظل صغيراً ، وحكمت علي ان اظل جاهلا، اقل معرفة من جدي واقل معرفة من ابي مع ان بيني وبينها سفراً طويلا من العرفان .

ضاقت الدنيا في عيني وضاقت حياتي في نفسي ، وتمنيت لو اقطع كل صلة بيني وبين اهلي ، لامني حي ، وعلمني ان احمل المعاول . لم اكن فلاحاً اجيد الزرع ولم اكن حفاراً للقبور اجيد الحفر . وانطلقت الى حقلنا الذي لم اره مثمراً منذ فتحت عيني على نور، وجدت فيه الاشواك والاعشاب، وبينها زرع يبدو خيرّاً، لكنه هزيل مريض ، وبينا كنت اتجول بالمعول رأيت عصا جدي تنهال على ظهري وتحطم المعول في يدي ، يسقط المعول على قدمي فيفقدني قدماً .

تباً لجدي وتباً لابي الذي ورث كل شيء بشع عن جدي.

من تشويه جسدي ورثت قوة خارقة ، قوة ان وصفتها تعجز القنبلة الهيدروجينية عن الاتيان بمثلها إتحت قدمي الواحدة دعست جميع الصخور السوداء والبيضاء ، طحنتها طحناً حتى اصبحت طيعة لدنة ، ومشيت اعرج ، اترنح ذات اليمين وذات الشمال، اكره ان يراني انسان يظن ان عرجي ضعف، يثير الشفقة والحنان، ورحت اختفي عن كل بشريّ فدم لئيم لا يرى حُسنا إلا في مساوقة ازياء الطبيعة المنظورة، ولم يدر ان في وسع كل انسان ان يخلق كائناً يجعله مثاله الاعلى، وقد يكون ذلك الكائن دون عينين ، دون اذنين، دون فم، دون لسان، دون انف. وهل يضيرني ان افقد قدماً واحداً ؟ لو خلق الناس جميعاً عرجاً ، لاصبح العرج طبيعياً .

ولو حاول كل بشري ان يحمل المعول كما حملته لما بقي لانسان واحد قدمان . وابتعدت عن تلك الديار ، ولم تبتعد عني الاشباح الماضية والذكريات القاسية ، اصبحت ملازمتي كأنها الظل الذي لا يبتعد قليلا الا ليلتصق بي ويذوب .

تباً لجدي وتباً لابي الذي ورث كل شيء عن جدي .

وهذه القصاصات الصغيرة تحمل احرفاً من حروفي، وهذه الغرفة الحقيرة تثور في وجهي ، لم تخلق لي ولم اخلق لها، وعبثاً حاولت ان اهدىء روعي ، ان اهدىء اعصابي الثائرة، واعظم انتصار لي ان خلعت جذوري بالمعول الذي قطع قدمي ، ودفنت كل جذوري في الحقل الذي اطعمني ثمراً عفناً ، وخدرني دهراً الى ان بعثت مرة من جديد .



وعندما بعثت لم أطق ان اتناول الثمر لانني غصصت به ، واحسست ان الاهل والحقل والاثمار متآزرة ضدي تريد ان تخنقني ، فاختفيت من تلك الاراضي .

وماذا يقول جدي ؟ وماذا يقول ابي ؟؟

ليتنا ما ربيناه وما أطعمناه وما كسوناه ! كأنني وددت ان اجيء الى عالم كعالم جدي وابي ، وكأنني وددت ان اعيش بين الحقول المريضة ، وكأنني طلبت المأوى .

وتفتحت عيناي على الطبيعة ، على خفايا الطبيعة ، لم اجد فرقاً بين السوسن والورود ، وبين الزرازير والشواهين. لم اجد فرقاً بين لون وآخر ، بين شكل وآخر ، بين جسم وآخر .

لماذا يقيم البشر تلك السدود وتلك الفروق ؟

لماذا علمني جدي انني من طبقة ارستقراطية ترث عن الجدو الاب؟

لماذا علمني جدي وابي اننا اثرياء ، وانا ثري. ان ظللت عبداً لما ورثت المال كله عنها ؟

لماذا علمني جدي وابي ان الطبيعة نفسها لا ترضى المساواة بين كائن وكائن ؟

لماذا علمني جدي وابي ان الحرية ضرب من الوهم والجنون، وان الانسان مخلوق مقيد ، عبد لمن يعطيه الحياة ، عبد لمن يطعمه ويكسوه ، عبد لمن يعلمه ؟

تباً لجدي وتباً لابي الذي ورث كل شيء عن جدي .

والآن . الآن انا حر من كل قيد ، ليس هنا اعظم من هذه الحرية الروحية . وليس هناك اقدس من هذه الحرية النفسية التي تخلق من الحروف كائنات على اجمل هيئة واجمل صورة .

انا حر الآن ، حر لانني استطيع ان لا ارى عرجي . هكذا امشي ارأيت كيف امشي ؟ أدق بالعصا على الارض ، عصاي التي صنعتها بيدي وانا اجتاز البحار والصخور والرمال. ارفع قدمي ، قلت كن فكانت قدم.

ترى وماذا افعل بتلك القصاصات ، هذه الوريقات التي مزعتها ، إن قلت كوني ، ترى هل تكون ؟

هل يسيئني ان لا يلتف حولي عظماء القوم ؟

هل يسيئني ان لا يلتف حولي الاصدقاء يهللون لي ويكبرون؟

هل يسيئني ان اكون فقيراً ، لا أجد وسادة تريح ليلي ؟

هل يسيئني ان يومىء الي الناس عندما انهض اليهم : هذا اعرج هذا.. أعرج.. او آخر يقول : هذا عاقّ.. هذا عاق..

وفي تلك الليلة العاصفة اردت ان امشي، أدرب قدمي على الركض اسابق البرق والرعد ، وركضت ، كدت أهوي على قدمي الثانية اقطعها حتى ترتفع ساقايَ معاً في الهواء واطير ، اطير مع البرق والرعد ، لولا صوت جدي الاجش وصوت ابي الذي ورثه عن جدي .

سمعت في هذه المرة قهقهات ، فاسرعت الى غرفتي الحقيرة مبللاً بالامطار ، وانبريت اخلع ثوباً ثوباً ، اعصر كل ثوب وألمّ قطرات المطر في وعاء مهجور في زاوية من زوايا غرفتي المظلمة ومن القطرات تتعالى حكايات كنت اسمعها بالأمس من جدي، حكايات ملأى بالحقد والحسد والتنافس والتباغض والرياء والنفاق قال كان ما كان هؤلاء فقراء هكذا خلقوا وهكذا يموتون !

هؤلاء جهلاء هكذا خلقوا وهكذا يموتون !

وهؤلاء من مذهب غير مذهبنا هكذا يموتون وهكذا يحرقون!

واضرب قطرات المطر بكفيّ اضربها بثيابي المتجعدة . وتتعالى ثرثرات من جدي يكملها ابي ، وارفع قدمي الوحيدة وبكل ما اوتيت من عزم وقوة انهال ضرباً على الوعاء، على حوافي الوعاء. وينفجر من قدمي دماء، وتتمزق قدمي ، وتقطع قدمي الثانية وها أنا دون قدمين .

تباً لجدي ، وتباً لابي الذي ورث كل شيء عن جدي .

غداً عندما أمشي في طريقي ، وغيري يمشي في الطريق يقول : هذا احمق ، لِمَ لم يسكت مثل ما سكت غيره من الناس ؟

لِمَ لم يعش مثل ما عاش غيره من الناس ؟

غداً عندما يراني الناس طائراً يقولون :

لم تعجبه الارض ، فاعتزل في السماء.

كان متكبراً لا تطأ قدماه الارض، فمشى يتخطى الهواء.

كان شاعراً ، يصف الوهم، حتى اذلّه الوهم واسقمه السهاد.

غداً عندما يفيق واحد من الناس يقول : كان صادقاً، حراً مخلصاً ، مجاهداً ، معذباً .

حتى الشمعة لم استطع ان أجدها. كنت بالأمس قد وضعتها هنا ، هنا على الارض . مددت يدي ابحث عنها، وبأناملي رحت اتقرى الارض، كنست كل قصاصات اوراقي، جدلتها، صرخت فيها كوني ، فكانت صفحات .

سمعت لأول مرة لهاثاً ضعيفاً .

عرفت لأول مرة ان يد المنون قد خطفت جدّي وابي .

ثريا ملحس

الشك !

مهداة الى امرأة عاشقة ...

*

كان الدجى أسود من لعنة ، من صرخة حاقدة في الصدور !
وكان طول الدرب، طول الأسى، طول اكتآبات شبابي النضير
وكانت السحب تغطي السما   كأنها اكفان ميت فقير
وكنت امشي متخماً بالردى   كدودة تزحف بين القبور

*

وكنت في فكري، في أعيني   كنت أمامي في الفضاء الكبير
امرأة عريانة ، ترتمي   فوق سرير خشبي صغير
سمعت وحدي خلف سور الدجى، خلف سكون الكائنات المثير
رجفتها ، رجفة صفصافة   تهزها ريح مساء مطير
حتى تعرت كل اغصانها   من عزة النور، ومجد العبير
فارتعشت كل معاني الورى   ساقطة تحت حذائي الحقير
وانهار في سمعي صدى معبد   يهوي على الارض حزين المصير
وعانقتني نقمة لم تطف   يوماً بأعماق إله صغير !
وانبعثت ناري مسعورة   تأكل في صدري حتى الضمير
لكنني بالحقد أطفأتها   أطفأتها بالاحتقار الكبير
فأي انثى ، أي مخلوقة في الارض تستأهل هذا الشعور؟!

القاهرة   **محمد الفيتوري**
عضو رابطة النهر الخالد

مذهب كورت لفين

بقلم عبد الغفار مكاوي

°°°

هل حاولت مرة ان تعبر عن سلوكك بلغة علمية ؟ لا شك انك قد واجهت هذه التجربة في حياتك فقابلتك عقبات منها ان لغة علم النفس لم تصل الى المستوى الذي يتفق عليه العلماء جميعاً ، بل انها لتتعدد بتعدد المدارس السيكلوجية ، واحياناً بتعدد العلماء انفسهم . ولو امكن الاتفاق على مصطلحات علم النفس ، كما إتفق علماء الفيزياء والرياضيات فيما بينهم لزالت هذه الحدود المصطنعة بين المدارس النفسية ، ولاستطعنا معاً ان نتدارس ظواهر سلوكنا وحياتنا الشعورية فيفهم احدنا عن الآخر .

هذا هو نفسه ما طاف بذهن العالم الالماني كورت لفين . اراد ان يصل بعلم النفس الى المستوى العلمي الدقيق ، وان يصوغ قضاياه صياغة رياضية محددة . كانت العلوم الفيزيائية هي مثله الاعلى .

لكل علم من العلوم مجموعة من التصورات يبني بها نظرياته وفروضه وقوانينه . وترتبط هذه التصورات بمجالها الذي استخدمت فيه ، وتظل تحمل معها مضموناتها ودلالاتها الاولى فهل من خطر اذا انتقلت الى مجال آخر ؟ أهناك ما يضيرنا اذا نقلنا مجموعة من التصورات التي ترد في علم الفيزياء كالقوة ، والطاقة ، والمادة ، والمجال الى العلوم الانسانية ؟ هل تضيف اليها شيئاً من روح العلم التجريبي ام تفسدها وتجني عليها ؟

هذا ما سوف أحاول الاجابة عنه بدراسة مذهب من اشهر المذاهب السيكلوجية المعاصرة ، وهو المعروف (بعلم النفس الطوبولوجي) .

لنضرب مثالاً بسيطاً يوضح طريقة لفين ومبادئه المنهجية التي يدافع عنها . طفل يلعب في طرف غرفته ، فيرى في طرفها الآخر وعاءً مملوءاً بقطع الحلوى . نعبر عن هذه الواقعة بلغتنا المألوفة فنقول ان هذه الحلوى تغريه على ان يتناول منها ما يشاء

ولكن هناك اعتبارات اخرى . هناك ذكرى تؤلمه وتمنعه من ان يمد يده الى الوعاء . قد تكون امه قد عاقبته على تناول شيء دون استئذان . وقد يكون اصابه المرض من الافراط من هذه الحلوى التي تحبها نفسه . هذا الى صعوبات اخرى تفرضها البيئة نفسها : فالوعاء موضوع فوق الرف ، والرف اعلى من ان تصل اليه يداه الصغيرتان ، ولو حرك كرسياً ليقف عليه لسبب من الضوضاء ما يلفت انتباه الابوين اليه ، وثمة ممر يستطيع من يقف فيه ان يلاحظ عن كثب ما يدور في الحجرة ، ولا بد له ان يعبر هذا الممر . هذه كلها (حواجز) تقف في طريقه . والحجرة بهذا تنقسم الى منطقتين لكل منها دلالتها النفسية على الموقف الراهن . لكن الطفل يخطو برفق الى الباب المفتوح ، بتملكه شعور بالخوف من ان تلحظه عين ، كما يدفعه اغراء اقوى بأن يفوز بالحلوى ، فاذا ما عبر الممر اصبح من العسير عليه ان يتراجع . لم يزل يسيطر عليه الخوف من غضب الوالدين او من عقابها ، او من صعوبة الوصول الى الحلوى دون اثارة ضوضاء . لكن هذه المنطقة النفسية الجديدة التي يجد نفسه فيها ، وقربة من الهدف ، يضاعفان من تصميمه ، ويجذبانه اليه . ونتيجة هذا ان يسرع في حركته ، حتى ترغمه صعوبة الوصول الى الحلوى على التردد قليلاً . واخيراً يمد يده اليها فيلتقطها .

السلوك في هذا الموقف كما رأينا ينطوي على جملة عوامل متداخلة ، وقوى متفاعلة ، وكلها يستمد دلالته من الطفل نفسه . ولو كنا بصدد طفل آخر ، له ماض مختلف ، وتاريخ من المخاوف والمشاعر والذكريات لتغيرت نظرته الى الموقف بكليته . ولو كان اكبر منه سناً لما واجهته نفس الصعوبات التي واجهت طفلنا ، ولو بقيت المسافات والابعاد من ناحيتيها المادية والجغرافية كما هي عليه ، ولو كان الطفل حاذقاً في التسلق او لو كان حافي القدمين ، لوجب علينا ان نعيد توزيع القوى

النفسية في الموقف .

كل هذه التغيرات على اختلافها تؤثر على البناء النفسي للمجال وتتطلب اعادة توزيع القوى ، (والموجهات) التي يزخر بها .

يقول لفين انه لكي يتيسر لنا ان نفهم السلوك النفسي (س) ونتنبأ به فان علينا ان نحدد لكل حادثة نفسية على اختلاف نوعها (من عواطف ، وتعبيرات ، وافعال ، وافكار ..الخ) بناء المجال في مجموعه في تلك اللحظة نفسها ، اعني ان نحدد حالة الشخص (ش) ، والبيئة النفسية (ب) في ذلك الحين ، ومن ثم ينتهي الى قضية هامة مفادها ان السلوك يعتمد اعتماداً وظيفياً على الحالة النفسية التي يوجد فيها الشخص والبيئة في وقت معين ؛ فكلاهما عرضة للتغير ، وكلاهما يؤثر في صاحبه بالتبادل ، ثم يضع هذه القضية في صورة رياضية على النحو التالي :

س = د (ش + ب)

اي ان السلوك هو دالة الشخص والبيئة ، اللذين يتألف منهما الموقف ككل ، في لحظة معينة .

هل هذه الصياغة الرمزية تكشف لنا عن حقيقة جديدة ؟

هل يمكن ان يقال ان هذه الطريقة تؤدي بنا الى نظرية مجالية بالمعنى الصحيح ؟

ان مجرد اضافة الرموز الرياضية الى علم النفس لا يجعل منه علماً رياضياً ، فالتعبير عن الوحدات النفسية والخصائص الكيفية المختلفة بمثل هذه الطريقة لا يعدو ان يكون اختصاراً للغة المألوفة . من السهل ان نستخدم الترقيم الرياضي ، ولكن من العسير ان نعرف كيف نستفيد به .

وهنا احب ان اورد مثالاً جميلاً ذكره العالم الرياضي الانجليزي (إدنجتون) [1] . فقد تناول قصيدة شعرية من قصائد (رانكين) عن مجموعة (أغان وخرافات) وعبر عن مفرداتها بالرموز الرياضية . فماذا حدث ؟

لنجعل الرمز (س) يدل على الجمال ، والرمز (خ) على الخلق الكريم ، والرمز (ز) على البخت والنصيب . ولنجعل من (ل) رمزاً يدل على الحب .

اذن فان (ل) هي الدالة الرياضية لكل من س ، خ ، ز .

فاذا حسبنا حساب التكامل للرمز (ل) بالنسبة للرمزين (ن) ، (غ) وهما يدلان على الزمن والاغراء على الترتيب

(1) Eddington, A. S. The Philos. of Physical science. New-York, Macmillan, 1939. p. 137 - 138.

كان من السهل ان نكون على يقين من اتمام الزواج ، وهو برهان متين كما ترى .

وهكذا حولنا القصيدة الشعرية الى معادلة تكاملية على هذا النحو : ج (الزواج = (س ، خ ، ز) ن غ .

ومن الواضح ان المعادلة التي وضعها لفين للقانون النفسي السابق في نفس مستوى المثال الشعري !

مفتاح مذهب لفين في فهمنا لـ(نظرية المجال) التي ينادي بها ، ولطبيعة هذا المجال النفسي ، ومدى مشابهته للمجال الفيزيائي .

طبيعة المجال

المجال النفسي هو فكرة مكانية يتم السلوك فيها . والمكان هو مجموع او نظام متكامل نعبر فيه عن العلاقات الموضوعية وما يجري بينها من تفاعل وتشابك . وهذا المجموع من الناحية العامة قد يكون متصلاً او منفصلاً ، والاوضاع فيه يحددها الاتجاه والمسافة كما يحدث في الهندسة الاقليدية ، او تحددها الارتباطات والعلاقات بين العوامل المختلفة ، كما يحدث في المكان الطوبولوجي . وعلم الهندسة هو الذي يعنى بجميع البناءات الممكنة التي تتعلق بالمكان ، ومنذ ان نشر (ريمان) العالم الرياضي الالماني ، بحثه عن الفروض التي تنبني عليها الهندسة اصبح من الممكن ان يتألف المكان من اية ابعاد او خصائص ما دامت هذه متماسكة من الوجهة المنطقية . واهم ما يعنينا من هذا البحث ان خصائص المكان تعتمد على ديناميكية العمليات التي تتم في داخله . ومن ثم امكن ان يكون المجال الكهربي ـ المغناطيسي ومجال الجاذبية ، هذه العلاقة القائمة بين خصائص المجال وبين العمليات الديناميكية التي تتم فيه هي اهم ما تتميز به الفيزياء الحديثة ، لفين وتلامذته ، ومن اشهرهم عالم النفس الاجتماعي ج . ف . براون ، قد حاولوا ايجاد مثل هذه العلاقة بين الخصائص المكانية للمجال النفسي وبين العمليات النفسية الديناميكية التي تتم فيه [1] .

الابحاث النفسية المختلفة في تاريخ علم النفس قد كشفت عن امكان تفسير السلوك تفسيراً بيولوجياً ، فسيولوجياً ، او كيميائياً ، او فيزيائياً ، او نفسياً ، او اجتماعياً ، اوحتى تفسيراً اخلاقياً ، فلا عجب ان نرى لفين واتباعه يحاولون تفسيره على اساس رياضي هندسي يسترشد بالمنهج الفرضي ـ الاستنباطي .

(1) I. F. Brown; Topology and hodological space. in : « Psychological theory », edited by Melvin H. Marx. New-York, The Macmillan Comp. p. 233 - 256.

وخير ما يوصف به السلوك – في مذهب لفين – انه يتم في مجال نفسي . وانه نشاط متكامل هادف ، فاذا قلنا مثـلا (الفأر جوعان ، وهو يحاول ان يصل الى قطعة الجبن) او قلنا (انا احاول ان احل مسألة حسابية) امكننا ان نمثل لذلك بما نسميه بالموجهات Vectors في داخل المجال . فالمجال النفسي اذن مكان يمكن ان يتم فيه النشاط النفسي ، والنقط التي توجد فيه لكل منها اتجاه ووزن . فاذا قلنا ان سلوك الكائن الحي سلوك موجه نحو هدف ، او بعيداً عن هدف ، استطعنا ان نقول ايضاً ان القوة التي تكمن وراء هذا السلوك ذات وزن واتجاه . وسوف نمثل لهذا الهدف بنقطة في المجال ، وللقوة بخط موجه ، فان قلنا مثلاً ان ثمة فأراً (او رجلا) يحاول ان يهتدي الى قطعة الجبن في المتاهة (او يحاول ان يجد الحل لمسألة حسابية) كان علينا ان نمثل لكل من الكائن الحي والهدف بنقطة في المجال . اما القوة التي تحرك هذين الضربين من السلوك فهي تمثل وزناً او ثقلا موجهاً . قيمة هذه الموجهات تتوقف على موضعها من المجال . كلما اوشك الكائن الحي ان ينال الهدف ازداد سلوكه اندفاعاً اي ازداد ثقل الموجه ووزنه ، ولكن هذا الوزن لا يمكن قياسه او تحديده ، وفي هذا يختلف المجال النفسي عن المجـال الفيزيائي ، ومن ثم قلنا ان المكان النفسي مكان طوبولوجي ، اي لا يمكن اخضاعه للمقاييس .

تبين مما سبق ان لفين كان يلتمس المنهج الصالح لتمثيل السمات النفسية العديدة والتعبير عما بينها من فروق كيفية ، ومن تشابك وتفاعل . مثل هذا المنهج محتاج الى لغة محددة تعين على التعبير عن الحقائق المعروفة كما تمكن من الكشف عن علاقات مجهولة . ومن الانصاف ان نقول ان مبدأ التجانس في تمثيل المجال النفسي وفي توزيع القوى المتفاعلة فيه من اهم الاهداف التي كان يسعى اليها لفين . فعلم النفس في حاجة الى تصورات يمكن تطبيقها على جميع فروعه بالتساوي . ينبغي ان تكون نفس التصورات صالحة للاستعمال في مشكلات الحياة العاطفية كما تكون صالحة لمشكلات السلوك ، للاطفال والبالغـين والمعمرين ، للحيوانات ، والآدميين ، للاصحاء والمرضى ، وان تطبق على الشخصية والبيئة جميعاً .

من اجل هذا اتجه لفين الى الاستفادة من (الطوبولوجيا) وهي شكل من اشكال التحليل الرياضي تقدم تقدماً ملحوظاً في خلال القرن الاخير . وهي تشمل على دراسة ما يمكن ان نسميه بالخصائص الاولية للاشكال الهندسية ، التي تتبقى بعد أن تعدّل هيئتها بأساليب متعددة من الثني ، والمد ، والضغط ، الخ . ويعرّفها العالم الرياضي كر كجارتو بأنها : «هي هذا الفرع من الهندسة الذي يبحث في خصائص الاشكال التي لا تقبل التغيير مهما أجرينا عليها من التعديل والتبديل . هذه الخصائص ذات طبيعة كيفية ، هي علاقات الترابط والوضع » . فالطوبولوجيا تتناول المظاهر التي لا تقبل القياس من المكان . وبخاصـة الارتباطات الممكنة بين المناطق المكانية المختلفة . وواضح فائدة هذا النوع من الهندسة للنظريات النفسية الحديثة مثل نظرية الجشطلت – ونظرية المجال – والتكامل . فليس من الغريب ان يتجه اليه لفين وأتباعه ليكشف عما يستطيع ان يؤديه لعلم النفس من فائدة . « إن المسألة الحاسمة – كما يقول لفين – هي ما اذا كانت العلاقات التي يتميز بها المكان في العلم الرياضي تصلح لأن تطبق على الوقائع النفسية . واذا كان من الممكن الربط بين العمليات النفسية والعمليات الرياضية » .

ولنحاول ان نبين بالأمثلة كيف يمكن تحقيق الترابط بين الوقائع النفسية وبين التصورات الطوبولوجية . فلنتخيل شخصاً وجد في ملعب من الملاعب الرياضية ، في حفلة عامة . فان كانت جميع الابواب موصدة ، قلنا ان حركاته او « نقلته الفيزيائية » تتم داخل منطقة محدودة . والمنطقة الى ذلك مقسمة الى منطقتين مترابطتين يفصل بينهما حاجز . فاذا تحرك هذا الشخص بوحي من نفسه او من غيره قلنا ان اتجاه حركته يمثله الموجّه (مَ) وهو قوة تتحرك نحو الهدف (هـ) . اما اذا وجد في الملعب باب مفتوح فقد استطاع صاحبنـــا ان يغادره ، واعتبر المجال مفتوحاً .

هذا مثال بسيط من أمثلة الفعل السلوكي . يصلح للكلام عن السلوك الحيواني . اما النشاط الانساني والاجتماعي فهو أشد تعقيداً .

لنفترض ان سلوك شخص معين يتجه نحو الوصول الى هدف اجتماعي ما ، كأن ينتمي الى جماعة او يندمج في حزب او منتدى . وقد يكون الهدف هو حل مسألة رياضية (انظر الشكلين ١ و٢) عندئذ يظهر في المجال ما نسميه « بالحواجز » او « الاسوار » – وهي تتميز بأنها تعوق الحركة الحرة للكائن الحي – وانه حين يعبرها تتغير نفسيته ، ويكتسب وعياً شعورياً جديداً . فصاحبنا الذي استطاع ان يكون عضواً في هيئة

اجتماعية يتغير سلوكه بعد ان اكتسب هذه العلاقة الجديدة . وزميله الذي وفق الى حل نظرية فيثاغورس او مسألة حسابية قد اكتسب معرفة جديدة ، وصارت لشعوره بنية جديدة . ونستطيع ان نطبق هذه الفكرة على نطاق اوسع. أفراد جماعة معينة تضمهم منطقة محدودة، وتحيط بها حواجز وأسوار معينة قد تكون هذه الحواجز هي العادات ، او التراث الحضاري ، او الاديان ، او الاوطان ، او الطبقة الاجتماعية (كالحواجز القائمة بين الطبقة العاملة وبين الطبقة البرجوازية او الرأسمالية) الخ. وقد يزداد حظك وحظي من التكامل النفسي والاجتماعي كلما خرجنا عن دائرة نفوسنا ، الى مناطق نفسية اوسع، وقد تتسع هذه المناطق حتى تتلاشى حدودها ؛ او تصبح ولا حدود لها الا الجنس الانساني بأسره .

يلاحظ قبل توجيه النقد الى نظرية المجال او الى قيمة التمثيلات الطوبولوجية للعمليات النفسية انه كان يلتزم عدة مبادىء منهجية نوجزها فيما يلي[1] :

اولاً : مبدأ التعين: يقرر هذا المبدأ ان «كل ما هو واقعي فهو ما يحدث أثراً » . اي انه لا مجـــال للاشارة الى ميول مجردة . فالآثار والنتائج لا تتخلف الا عن شيء له وجـود واقعي متعين .

ثانياً : مبدأ الزمن الحاضر :[2] وهو نتيجة للمبدأ الذي قبله فهو يقرر انه لا الزمن الماضي ولا الزمن المستقبل بقادرين على ان يؤثرا على الموقف في لحظته الراهنة . ذلك ان المجال النفسي في اللحظة الحاضرة هو الذي يؤثر على مجرى الاحداث فيه . واذا ما تأثر شخص من الاشخاص بافكار تتعلق بمستقبله وبآماله ومطامحه واهدافه ، او المت به ذكرى من ذكريات ماضيه ، فلا غنى عن تمثيل هذه الافكار والذكريات في الموقف المباشر، في اللحظة الحاضرة . اي ان الماضي والمستقبل ، ما لم يكن لهما تأثير على الحاضر ، فلا قيمة لهما .

ثالثاً : مفهوم فكرة العلية : يفرق لفين بـين نوعين من التصورات المتعلقة بمبدأ العلية ، بين تصورات ترتيبية او نهجية وبين اخرى تاريخية او تاريخية جغرافية . وتوضيح معناهما في الاجابة على هذا السؤال : « لماذا ؟ » فالعلية المنهجية تجيب على هذا السؤال : « لم كان الموقف المعين م (وهو يشتمل عـلى شخص معين ش ، في بيئة معينة ب) يُظهرنا على هذه الحادثة المشاهدة دون سواها ؟ » اما العلية التاريخية فتجيب على هـذا السؤال : « لم كانت للموقف الراهن هذه الخصائص بعينها ؟ » ولا بد للاجابة عليه من الاشارة الى سلسلة الاسباب والمسببات والعلاقات التي تربط بينها والتي ادت الى توزيع القوى في المجال على نحو من الانحاء . فاذا حدث ان احتميت بسور من الحجارة اتقي به الريح العاصفة والمطر المنهمر وسألت نفسي : لمَ لم يبتل جسدي ؟ لكانت الاجابة عن هذا السؤال في الاشارة الى الموقف المباشر ، اعني انها ستتضمن عوامل مختلفة منها ارتفـاع السور وعرضه بالنسبة الى سرعة الريح وغزارة المطر . فاذا بحثت عن العلية التاريخية او الجغرافية لكان علي ان اشير الى العوامل التي تسببت في بناء هذا السور في مكانه ، وربما الى الترميم الذي يجري فيه علم النفس في حاجة الى كلا النوعين من انواع العلية. وتشتد هذه الحاجة على وجه الخصوص في علم النفس التكويني ، وعلم النفس المرضي ، وفي تطـور الميول والاتجاهــات لدى الافراد والجماعات .

ولكن ما هو مدى الاتفاق بين مفهوم كلمات كالمجـال ، والعلية ، والطاقة ، والقوة . الخ... عند لفين وبينها في الفيزياء

(1) Smith, J. V. : The explanation of human behaviour. P. 141 - 157 London, Constable & Com. 1951.

(2) Lewin, K. : Principles of Topological Psychology. P. 4, 33, 34, 82. Mcgraw-Hill, New York & London, 1936.

الحديثة ؟ وما قيمة هذه الطريقة الهندسية التي سار عليها لفين بالنسبة لعلم النفس ؟

ولنبدأ بفكرة العلية . لا تتفق هذه الفكرة كما فهمها لفين مع نظيرتها في الفيزياء الحديثة ، فقد تقدم ان العلية بنوعيها المنهجي والتاريخي تجيب على السؤال « لماذا ؟ » ولكنها لا تجيب عن السؤال « كيف » ؟ وهذا ما يختلف اختلافاً تاماً مع ما جرت به العادة في النظرية الفيزيائية — ذلك ان الاجابة عن الـ « لماذا » ، فوق انها تحمل طابعاً ميتافيزيقياً ، فانها تفترض ضرورة وجود قوة ديناميكية للاجابة عليها . وهكذا نرى التفسير الديناميكي للقوى النفسية في تضاعيف مذهب لفين بعد ان وجد ما يبرره .

ويستبعد لفين العلية التاريخية من مذهبه . وقد تبين من قبل كيف انه يعتمد في تحديد المجال على اللحظة الراهنة وحدها فليس للاسباب الماضية أية اعتبار ما لم يكن لها تأثير على المجال في اللحظة الحاضرة ، وليس في هذه النظرة ما يتفق مع الاستعمال الفيزيائي المتفق عليه . مثال ذلك ان معادلة فيزيائية معينة قد تخلو من كل تاريخ ينصرف الى الماضي ، ولكنها تشتمل على ثوابت معينة لا سبيل الى معرفتها الا عن طريق التجربة السابقة . فمثلاً المعادلة ف = ١/٢ ح ن ٢ * حيث تساوي (ح) ثابت الجاذبية تطبق في لحظة معينة ، ولكن تطبيق المعادلة لا بد من ان يسبقه تحديد ثابت الجاذبية (ح) في مكان محدد ، حيث الجاذبية (ح) تختلف من مكان لآخر فوق سطح الارض . وإذن فلا يمكن القول بأن هذه المعادلة قد الغت التاريخ من حسابها ، اذ ان ثابت الجاذبية لا يمكن معرفة قيمته الا بالاشارة الى موقف سابق ، اي الى تجربة سابقة مكنتنا من معرفة قيمة الجاذبية في مكان معين [1] .

ويتبع هذا كله ان نعيد النظر في ما يقوله لفين عن تحديد المجال في لحظة معينة ، انه يقول ان نظرية المجال النفسية تذهب الى ان كل تغير (س) في نقطة ما (س١) يتوقف فحسب على الموقف ككل في لحظة معينة (م١) . وهو قول صحيح من الوجهة النظرية ، ولكنه من الناحية العملية لا يمكن ان يتحقق الا اذا اعتبرنا الظروف التي احاطت بالموقف في لحظة سابقة (م٢) على لحظة التطبيق ، وذلك لكي يتيسر تحديد قيمة الثوابت المختلفة الداخلة في الموقف .

المجال النفسي يغفل التاريخ من حسابه ، اي ان تمثيل مجال الحياة يجب ان يحسب حساب الحاضر وحده ، وهذه نظرة واقعية سليمة ، تعتبر ان الواقع وحده هو الذي ينتج الأثر . ولكنها مغايرة للمجال في الفيزياء الحديثة . فالمجال في نظرية النسبية مجال استاتيكي يتزامن فيه كل من الحاضر والماضي والمستقبل وتتحد الظواهر المكانية والزمانية اتحاداً تاماً بحيث يتلاشى الزمان والمكان كلاهما ويصير منهما وحدة الزمان — مكان . ونتيجة هذا ان تصبح فكرة المجال فكرة استاتيكية اولاً . فالحركة مثلاً لم تعد شيئاً يتغير في مكان ذي ثلاثة ابعاد ، بل اصبحت شيئاً يوجد في متصل زماني — مكاني ذي اربعة ابعاد ، بكل خصائصه الزمانية والمكانية ، فالماضي ، والحاضر ، والمستقبل لهذه الحركة تتزامن معاً في مجال استاتيكي . ونتيجة هذا ان يتحرك الجزء في شكل منحنى ، في مكان ذي اربعة ابعاد .

يبدو أن فهم لفين لنظرية المجال يطابق ما كانت عليه في الفيزياء التقليدية في مرحلتها الاخيرة ، حيث كان للخصائص الديناميكية للمجال — ولها وحدها — الدور الاساسي في وصف الظواهر المشاهدة . يضاف الى ذلك ان لفين يذهب الى ان الاحداث السيكلوجية في المجال يجب بالضرورة ان تنتج عن التفاعل الديناميكي بين العوامل والقوى النفسية فيه . غير ان هذه ضرورة نظرية بحتة ، ينقضها ما للمجال في نظرية النسبية من طابع استاتيكي ثابت .

إن تصور المجال على هذا النحو ، ومحاولة تمثيل الوقائع النفسية في حركة تفاعلها ، ليتفق مع الصورة العامة للفيزياء عند نيوتن . ولكنه يتعارض تعارضاً تاماً مع الفيزياء الحديثة [1] .

ولننظر آخر الامر الى مذهبه « بمَ هو مذهب » [2] . هو مذهب غرضي في جوهره . للحيوانات ، والاطفال ، والبالغين حاجات ومطالب ودوافع ، ويرتبط بهذه الحوافز كلها اتجاه معين . ومن هذا التسليم بغرضية السلوك ، ادرك لفين ما يمكن ان يدخل في تركيب الفعل السلوكي الواحد من متغيرات لا حصر لها . كما فطن الى مقدار تعقد العلاقات القائمة بين العوامل

* المسافة = ١/٢ العجلة × مربع الزمن .

(1) Ivan D. London; Psychologist's misuse of the auxiliary concepts of physics and mathematics. P. 271 in « Psychological Review ». Vol. 51, no.5. Sept. 1944.

(1) London, J. D; Op. Cit., P. 290 (2) Smith, I.V. The explanation of human behaviour P. 164-167.

التي يتألف منها الموقف النفسي في لحظة من الزمان .

والحقيقة انها محاولة يقصر عنها المنهج الذي اختاره لفين ، ويعجز الاسلوب الرياضي الذي اتخذه عن تحقيقه . . . دوافع شعورية ، توترات نفسية ، تغيرات سريعة نابعة من الذاكرة ، إدراك للسمات النفسية والفيزيائية التي يتصف بها الموقف ككل ، كل هذه وغيرها مما يقصد من ادائه منهج يقيد ذاته بحدود مبدأي « الزمن الحاضر » و« التعين » اللذين سبق الحديث عنهما . هذا الى ان اكثر العوامل والمتغيرات النفسية التي يمثلها لفين في المجال يمكن الاحاطة بها عن طريق اخرى ، وبشكل مباشر ، قد يكون ذلك عن طريق الاستبطان ، او بالاستعانة بتجارب الآخرين وخبراتهم ، وقد تنتج عن البحوث النفسية التجريبية ، او بطريقة سلوكية بحتة .

ان الموقف النفساني اكثر تعقيداً مما نظن ، وان المنحنى الرياضي التجريدي عاجز عن النفاذ الى اعماق التجربة الانسانية ، او الالمام بدقائقها وغوامضها . فالتمثيل الصحيح التام ، ولو لموقف نفسي واحد ، لا بد ان يفترض من قبل معرفة بجميع القوانين السيكلوجية ، وحلاً لجميع المشكلات النفسية . وان التمثيل الكامل للموقف النفسي — كما يقول لفين نفسه — يعني ان مهمة علم النفس قد انتهت .

إننا لا نكاد نقرأ كتاب لفين الرئيسي «مبادىء علم النفس الطوبولوجي » حتى تواجهنا اشكال ورسوم غريبة حقاً ، وقد نزداد شوقاً الى الثمرة التي سنجنيها من تطبيق هذا الفرع من العلم الرياضي على علم النفس . فاذا بحثنا عن عملية نفسية تمثلت فيها الوقائع النفسية في صورة رياضية ، او عن عملية رياضية تمكننا من اكتشاف حقيقة ذات دلالة نفسية كانت مجهولة عنا ، لأدركنا اليأس ، ولن يخفف من حدة هذا الشعور اليائس ما نلاقيه من اصطلاحات رياضية كثيرة ، فسوف نجد انفسنا على اية حال هائمين في ضباب من التصورات المجردة تختنق الحقائق النفسية الحية في عتمته .

وقد تكون لهذه الاشكال قيمتها ، ولكنها قيمة تصويرية فحسب . وهي لا تضيف جديداً الى الحقائق التي كنا نعلمها من قبل وانما تعبر عنها بطريقة اخرى .

الحق ان من السهل ان نتنبأ بالسلوك اذا ما تأملنا بعض الاشكال التي تراها في نهاية هذا المقال [1] فالطفل في الشكل ٣ سيدرك الهدف . والطفل في الشكل التالي (رقم ٤) سيتردد قليلاً في سلوكه ، وستتملكه الحيرة الى اية وجهة يتجه ، فكلتاهما تشده اليها وتغريه .

وفي الشكل الاخير (رقم ٥) سينسحب من الموقف بكليته وهذه الاشكال كما ترى لم تعرفنا بحقيقة مجهولة ، ولم تساعدنا على استنباط قانون جديد . والموقف بكليته موقف جامد ، معزول عن النشاط النفسي الذي عاناه في الماضي منفصل عن الفاعلية التي يمكن ان تتم فيه في المستقبل . ان تقديم الهيكل الرياضي المجرد للواقع الحي يجعلنا نعود فنسأل : ماذا افدنا من جديد ؟

ونلخص ما سلف من ملاحظات نقدية فيما يلي :

١ — اغفل لفين او كاد مشاكل الدوافع الفطرية في السلوك .

٢ — لم تنته محاولاته لوضع لغة سيكلوجية اصطلاحية الى شيء جديد .

٣ — لم يتوسع في الكلام عن العلاقات الوظيفية التي توجد بين العوامل المختلفة في المجال النفسي . وهو الهدف من منهجه الذي يتصف بالديناميكية .

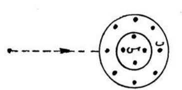
٤ — كان الهدف الأول من هذا المنهج ان يعيننا على التنبؤ بالسلوك . ولكن هذه القيمة التنبئية قد تلاشت ، لمجرد انها لا تحتاج منا الى اي جهد لاستخلاصها . قد يرجع هذا الى اننا حين ندرس الاشكال الطوبولوجية ، لا نلمس فيها عملية ديناميكية بالمعنى المعروف . لذلك كانت القوانين النفسية التي انتهى اليها لفين — برغم ما تكلف لها من جهد — لاتخرج عن كونها تعميمات لقضايا من السهل ان نفهمها حين يعبر عنها بلغتنا المألوفة ودون حاجة الى الاغراب بالرمز او الشكل .

٥ — لقد افرط لفين في الكلام عن « النظرية » و« المنهج » على حساب « التجربة » و « الواقع » ، وكان الاولى به ان يلائم بينهما .

ومهما يكن من شيء فلا يجب ان ينسينا هذا النقد اهمية المخاطرة المنهجية التي قام بها لفين . اراد ان يربط بين علم النفس الناشىء ، وبين العلوم الفيزيائية والرياضية النامية المتطورة . وحاول شيئاً لم يلتفت اليه غيره من المشتغلين بعلم النفس ، فان لم يكن قد انتهى الى نتيجة حاسمة فلا يمكن ان يغض هذا من قيمة الجهد الذي بذله . ليس النجاح في ذاته هو الهدف ، فربما كانت المحاولة وحدها هي الغاية ، وهي الجزاء .

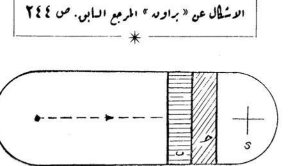
(1) After Lewin, K. « A dynamic theory of Personality, New York & London. Megrawhill. 1953.

الاشكال عن « براون » المرجع السابق. ص ٢٤٤



(شكل ١)

هذا الشكل يوضح بطريقة طوبولوجية كيفية بلوغ هدف اجتماعي . يتمثل فيه احد الافراد ، الذي يسعى الى ان يكون عضواً في جماعة – لذلك جعل موضعه من المكان خارج المنطقة التي تتألف منها هذه الجماعة. وكل من الرمز ب س يمثلان معاً افراد هذه الهيئة– «أ» يحاول ان يجتاز المنطقتين ب س . ويتحتم عليه ان يجتاز المنطقة ب قبل ان يصير من الاعضاء العاملين في س . اعني انه يجب ان يعبر حواجز المنطقتين ب س على السواء .

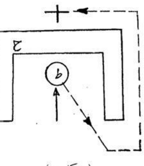


(شكل ٢)

وهذا الشكل يمثل الموقف النفسي عند حل مشكلة . فاذا حاولت مثلاً ان تحل نظرية فيثاغورس كان عليك ان تجتـاز المنطقتين ب ح لكي تصل الى الهدف . وليس كل انسان بقـادر على ان يحقق هذه « النقلة » بسهولة . وفي هذا تختلف قوتك في علم الهندسة عن غيرك .

(شكل ٥)

الطفل في هذا الشكل يحاول ان يصل الى شيء (ه) وراء الحاجز (ح) ولكنه بعد ان يكرر المحاولة ويصده الحاجز يكتسب قوة سلبية أو ما نسميه بالاتزان السلبي ، مما يؤدي بالطفل الى ان ينسحب بكليته من الموقف.

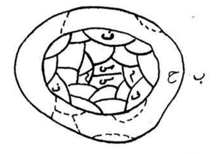


(شكل ٣)

يمثل هذا الشكل المجال النفسي لطفل صغـير يريد ان يصل الى شيء وراء الحاجز. وكلما اشتد اغراؤه له كلما تعذر عليه ان يدور حول الحاجز (ح) في سهولة – يستطيع طفل آخر يكبره في السن ان يستبصر بالموقف ككل وان يعرف السلوك الذي يلفه .

(شكل ٤)

اما هذا الطفل فانه يقف . بين قوتين كل منها تجذبه اليها ؛ بين اللعب بالكرة او الانطلاق في رحلة مع رفاقه الى الريف – سنسمي كلا من هاتين القوتين بالاتزان Valence وسنقول انه في الحالين اتزان موجب .



(شكل ٦) ←

يمثل هذا الشكل طريقة لفين في تصوير المناطق المختلفـة للشخصية . فالشخص عنده هو عبارة عن منطقة مترابطة ، يفصلها عن البيئـة منحنى جوردان (وهو منحنى لا يتقاطع مع نفسه) س تمثل المنطقة الشخصية الداخلية ، ف الاجزاء الفرعية لهـا ، م الاجزاء الرئيسية من (س). اما (ب) فتمثل البيئة. ح المنطقة الحسية الحركية.

ولا يتسنى المناطق الداخلية من الشخص (س) ان تؤثر على البيئة الا عن طريق هذه المنطقة (ح) . ويراد بهذا كله ان يصور جانبين من جوانب التطور: «أ» تزايد درجة التفاضل مع الكبر في السن «ب» تغير البناء الداخلي للشخصية مع التوتر النفسي او الإحباط.

عبد الغفار مطاوي — القاهرة

الوداع

✳

لكمال نشأت

من رابطة النهر الخالد

القاهرة

✳

أنين طويلْ
حزين ، تردده الباخره
وهذى الجموع ، وصرخاتها :
« وداعا ، وداعا
الى الملتقى
ولا تنسنا في ضجيج الحياه
وراء البحار »
وهذا النهار
وانفاسه المثقلات الحنين
وعنف الطنين
وهرولة تلك الراحلين
وانتِ ، وأدمعك الثائره
وآلامنا ، والمنى ، والمصير
وقبلتنا ، في العناق الاخير
ودمعتك البضة الساعره
على شفتي ، جمرة حائره
شريط سريع من الذكريات
من الذكريات
تواكب في لحظة عابره !
« وداعا ، وداعا
الى الملتقى
ولا تنسنا في ضجيج الحياه
وراء البحار »
ومات النهارْ
فما عدت ألمح بين الجموعْ
خلال الدموع
سوى شبح في اسوداد المساء
كطهر الشموع
وشجو الرحيل
أنين طويل
حزين ، تردده الباخره

ظلال المغيب

بقلم محمد ابراهيم الشوش

ooo

كانت الشمس قد مالت نحو الغروب ، ونحن ما زلنا في جلستنا تلك نرقب في سكون خطواتها الثقيلة وهي تبتعد في تؤدة نحو تلك المقبرة المنفردة. اما اكبرهما فقد بدأت خطوط بيضاء من الشيب تعلو رأسه رغم انه لم يتعد العقد الرابع من عمره . اما رفيقه احمد فشاب صغير في حوالى السادسة عشرة من عمره ، كنا نعرفه منذ زمن الدراسة .

والتفت الينا صديقنا وقال: « الم أقل لكما انها سيقبلان ؟ فهذا عهدهما منذ زمن بعيد » وصمتنا طويلا ننتظر منه ان يبدأ القصة ... ولكنه بقي مدة طويلة يحدق في الافق البعيد ... ثم التفت الينا فجأة وقال كأنما يحدث نفسه: «انها قصة من قصص القدر هذا العملاق الجبار الذي ينسج حياتنا نسجاً محكماً فيه شيء من الغموض احياناً ومن القسوة والظلم في اكثر الاحايين. اترون تلك المقبرة المنفردة ؟ انها ترقد هناك ... اليس غريباً ان يكون موتها سبباً للسعادة التي تمنتها . كانت تعلم ان كل شيء في هذه الحياة له ثمن ، اما هي فقد دفعت هذا الثمن دون ان تدري ، ولو قدر لها ان تراه حينئذ وقد اندفع الى ذراعي والده الذي احاطه في قوة وعنف ، ولو قدر لها ان تحس ما يختلج في ذلك القلب الصغير ، الذي احس بالدفء والطمأنينة لأول مرة في حياته لعرفت انها لم تعش عبثاً وانها لم تمت عبثاً كذلك» ونظرنا اليه ليكمل القصة ، فراح يحدق في القبور الممتدة امام منزله وظلال المغيب القاتمة تنشر عليها الرهبة والهدوء ، ثم اعتدل في جلسته وقال :

« الواقع اننا اخطأنا جميعاً حين ظننا ان احمد كان سعيداً في المدرسة ، فما كان يجب ان نقيس الاشياء بظواهرها. وقد كان يعيش عيشة يسيرة هنية ، اذا كان اليسر والهناء يقاسان بالراحة المادية ، فقد كان في وسعه ان يلبس جيداً وان يأكل جيداً فوالده وان كان عاملا الا انه كان رئيساً للصناع ، وكان هذا يثير في نفسه غبطة وسعادة . ثم ان اندماجه في حياته المدرسية ، لم يترك له فراغاً كبيراً للتفكير في شؤون نفسه. ولكن شيئاً ما كان يملأ الجو ضباباً امام عينيه الصافيتين . شيئاً كان يدفعه الى التأمل والتفكير حين يخلو الى نفسه . كان يعيش يومه بين زملائه مرحاً لاهياً حتى اذا عاد الى فراشه انتقل الى التفكير في منزله البعيد وانتابته الهواجس والاوهام ، والله وحده يعلم كم يضم ذلك العنبر الطويل من عيون قلقة تحدق في الظلام ، وتفكر في مشاكل لم تخلق لهذه القلوب البريئة ، وما اكثر ما تخفي هذه الوجوه - التي تبدو مرحة - قصة بؤس وحرمان تحاول جاهدة ان تخفيها وراء قناع يتمزق عنها ، عندما يقبل الليل ، ويختفي صدى الاحاديث الماجنة الضاحكة .

ولكن شيئاً ما،كان يجثم في خاطر احمد تلك الليلة ، وراح يعزو ذلك الى مبالغته في التفكير ، ومبالغته في الاحساس الخاطىء بأن والده يكرهه ويكره والدته . كل الذي حدث ان والده كان يدمن السكر ، ولا يحلو له العيش دون ان ينكد عليها البيت بسبابه المقذع الجارح ، ويحدث نفسه المضطربة بأنها فورات لا بد ان تنتهي ... ولكن متى ؟ ...

وحاول ان يطرد هذه الافكار المظلمة فلم يقدر. احس بأن كابوساً يجثم على صدره فلم يستطع منه فكاكا .

وكانت تتراءى له صورة والده في حالة سكر مروع يستنزل

قصة

اللعنات والسخط على امـه ، وتجسمت امامه صورة وجه ابيه القاسي حتى كادت تملأ عليه الفراغ ، وكاد يستغيث لولا ان صورة امه الوادعة كما رآها آخر مرة كانت تبتسم له . ويستمرىء هذه الصورة التي تملأ قلبه ، امناً وراحة وان كانت تزيده ألماً ، ولا يملك الا ان يستسلم لذكرياته العديدة ، فتبدو له صورتها وهي تتضرع الى الله في صمت عميق ، ويدرك محاولتها العنيدة لكي لا يراهـا الا وهي مبتسمة ، تلك الابتسامة التي كان يحس فيها بالشحوب والالم ثم يتذكر جلوسهـا الساعات الطوال امام موقد النـار تعد اللحم لاصدقائه السكارى الذين يضحكون في انانية مقيتة ، وتذكر جلسته الى جانبها وهي تحاول جاهدة ان تتغلب على النعاس الذي يستولي على عينيها الكليلتين – واصرارهـا على ان ينصرف – هو الى فراشه لكي لا يراه والده فيغضب.

وما كانت تريد له ان يصحو فيسمع صراخ والده وشتائمه التي كان يرسلها بلا مبرر . ولكنه مع ذلك كان يسمع كل كلمة . وكانك تنفذ الى احشائه كالسهام المسمومة وتثير كيانه فينتفض كالمحموم في سريره. وكان يودع دموعه المنهمرة تساؤله . لماذا يقابل احسانها دائماً بالشر ؟ ويقابل عملها بالاضطهـاد والشتائم .. اذا كان هذا شأن الزواج فلعنة الله على الزواج .

وكانت الثورة تجتاح كيانه ، ولكم ودّ لو انشب اظفاره في عنق والده.. لقد كان هذا الرجل يقتل في نفسه احساسه بالعطف الابوي .. ولكنه كان يخشى ان يزيد آلام امه ، التي كانت تضع له المعاذير فلا يزيده هذا الا احساساً بضعفها المهين وكان يحس احياناً انه متهور وان والدته تفهم اكثر منه .

كان يعرف ان والده يجهد نفسه اكثر مما يجب ، حتى اذا مـا عاد الى منزله .. خيل اليه ارهاقه انه يحارب في زوجته وابنه عدواً له . كان يحس بضغط الحياة المادية عليـه .. والتي تجبره على التزلف لرؤسائه والعمل الدائب الذي لا رحمة فيه .. ولكن الا يفعل كل هذا من اجلها ؟ . اليس ابنه اذن اولى الناس بان يغفر له اخطاءه. وهكـذا راحت الهواجس والافكار المظلمة تملأ رأسه الصغير وهو يحاول ان يفلسفها بتفكيره البسيط فلا يجد لها مكاناً بين كل هذه القصص التي كان يدمن قراءتها كل يوم . وحين بلغ هـذا القدر من التفكير في حـال امـه شعر بان رأسه المحموم يكاد ينفجر . فهناك امر آخر كان يقلق مضجعه ، كان



يشفق على والدته اذ كان يعرف انها تنتظر جنيناً . وكان قد سمع كثيراً كيف تعسرت ولادته هو . كان يتمنى ان يكون الى جانبها . اذ كان يدرك تماماً ان والده مشغول عنها باللعب مع اصدقائه ، وكيف يظهر قلقاً عليها ، وما المراة في نظر مجتمعه ؟ أليست شيئاً بسيطاً يمكن ان يستبدل به غيره دون اسف كبير ؟ واحس بقلبه يفيض مرارة على والده وعلى المجتمع ويستخيل سخطه الى قلق وفوز حين يذكر امه وهي تعاني آلام الوضع. ولو قدر له في تلك الساعة ان يستكشف الغيب لعلم ان الشمعة التي اضاءت طويلاً رغم العاصفة قد آن لها ان تخمد بعد ان استحالت الى نور ، وان الشجرة التي امتدت جذورها في اعماقه وكيانه قد آن لها ان ترجع الى التراب ، ولعلم ان التي كان يقلقه امرها قد استنفدت حظها من الحياة واستراحت الى الابد .

ولو انك سألت احمد وهو يحملق في الوجوه الكثيرة التي اكتظت بها الدار لما عرف كيف يجيبك . كل شيء بالنسبة اليه ان تفكيره وشعوره قد اصيبا بالشلل والعقم . وحتى تلك التنهدات كانت تصدر منه دون وعي .

وبدأ القلق النفسي يسيطر على كيانه . وخيل اليه ان البراهين قد تجمعت لادانة والده بقتل امه . بل انه اخذ يقتنع فعلا بان والده تسبب في ذلك . واخذت كل الآلام التي مرت به والتي اضاف اليها الكثير من خياله ، تجسم هذه الفكرة الغريبة في مخيلته حتى اصبحت في رأيه حقيقة ثابتة . وبلغت به الحال انه كان يتخيل والده وحشاً يريد ان يفتك به . فيصرخ صرخة عالية ولا يهدأ الا بعد ان يتجمع عليه بعض افراد الاسرة متسائلين في قلق وخوف . واصيب بما يشبه الرعب الدائم ، وخيل اليه ان والده يتتبعه بعيون حاقدة . واصيب بانهيار عصبي .

وزايلته الغيبوبة قليلاً واراد والده ان يلمس جبهته ليحس اثر الحمى فيه ولكن احس تحت تأثير الحمى الشديدة والهواجس التي ملأت قلبه خوفاً ورهبة . ما كاد يثبت نظراته في هذا الوجه الذي يقترب منه حتى تتابعت صور الجريمة ، والقتل ، والكراهية امام عينيه وما كاد والده يمد يده نحوه حتى قفز هذا من سريره . وهو يصرخ من الفزع والرعب .

ومن يومها اصبح والده يتحاشى رؤيته . ولكن النظرة المنكسرة التي احسها احمد في تلك الليلة الحت على مخيلته ولم يعد يرى والده كثيراً ، ولكنه احس من نظرات اقربائه انه ارتكب ذنباً عظيما . وبدأ يراجع نفسه وتفكيره وما اسرع ما تنهار الآراء التي نريد لها ان تنهار ، وما اسرع ما تتجمع عندما نبدي الرغبة في ذلك .

واحس ذات ليلة انه يريد شيئاً من الخارج ، وكانت الحمى ما تزال تبدو في مشيته المتعثرة . ووقف عند الباب يسترد انفاسه قليلاً حين رأى امراً هاله ، وجعله يقف لحظة لا يدري ما يفعل رأى والده في الركن من الحجرة يستند الى دولاب صغير كانت امه تضع فيه ملابسها ، وهو يبكي في حرقة والم ، واراد ان يرجع الى حجرته ، ولكن احساساً ما دفعه الى الامام وتحرك نحو والده في خطواته المتعثرة ، وما كاد يبلغ منتصف الحجرة حتى احس به والده ، وتلاقت نظراتهما وبقيا هكذا لحظة ، ثم احس بأن ذراعي والده ينفرجان وبحركة لاشعورية وجد نفسه قد ارتمى في أحضان والده يحاول ان يدفن رأسه المحموم في صدره . نعم لقد جمع بينهما الموت .

ترى ماذا كان يحدث لو قدر لها ان ترى منظر الحنان الابوي يحيط عشها الذي بنته بتضحياتها ودموعها ، ولكن من يدري لعلها دفعت موتها ثمناً لهذا الحنان ، وضريبة لهذه الواسطة القوية .

ونظرنا جميعاً وكان الظلام قد بدأ يرسل في الافق خطوطاً سوداء ... وكانا قد ابتعدا عن المقبرة ... وتشابكت ايديهما واختفيا كظلين اكسبهما المكان رهبة وهدوءاً ...

كلية الخرطوم الجامعية — **محمد ابراهيم الشوش**

المغامرة الخارقة

التي وقعت لفلاديمير مايا كوفسكي
في الريف صيفاً

✳

للشاعر الروسي الاستقبالي
فلاديمير مايا كوفسكي V. Maïakovski

•

ترجمة جلال فاروق الشريف
دمشق

✳

عن كتاب مايا كوفسكي شعر ونثر
لايلزا تريوله

•

بوشكينو Pouchkino جبل ا كولا Akoula فيلا رومیانتزوف Roumiantzov ۲۷ فرسخاً بطريق سكة حديد ياروسلاف Yaroslav

بمائة شمس من الشموس التهب المغرب ،
الصيف يتدحرج في عباب تموز
والحر ،
يلقي الجميع على الظهور في الماء لاحراك بهم
كان ذلك في الريف .
ظهر بوشكينو يحمل
حدبة جبل آ كولا ،
بينا ، في الاسفل
تعقد احدى القرى
قشرة سقوفها .
خلف تلك القرية —
ثغرة
فيها الشمس ، دوماً
دون ان تخلف ، تسقط
بتؤدة وجلال
غير انها في الصباح ،
ايضاً ،
تصعد
كي تغرق العالم بالحمرة .
يوماً اثر يوم
اخذ هذا
يثير غضبي
على نحو فظيع .
اخيراً عندما تولاني غضب عظيم ،
حتى اربدّ ما حول كل شيء ذعراً ،
صحت في وجه الشمس :
« اهبطي !
كفاك تجولاً في كل سعير ! »

صحت :
« ايتها الكسلى !
انت تسترخين في الغيوم ،
انظري الي ، الا فلتمطر السماء ،
ولتهب الرياح ،
فالعرق يتصبب مني فوق لوحات اعلاناتي »
صحت :
« قفي لحظة !
القي بسمعك الي ، ياجبين الذهب ،
لمْ ، بدلاً
من ان تغربي في مكان ما ،
لا تنزلين
وتؤدين لي زيارة قصيرة ؟ »
يا للكارثة ، ماذا فعلت !
في هذا هلاكي !
نحوي ،
بمحض رغبتها ،
الشمس
اخذت تسير في الحقول ،
مبعدة خطواتها عن اشعتها .
كتمت خوفي ،
وتراجعت خطوة الى الوراء .
وصلت عيناها الى الحديقة ،
ثم اجتازتاها .
من خلال النوافذ ،
من خلال الابواب ،
ومن خلال كل فتحة
دخلت كتلة الشمس

وتهاوت ،
واسترجعت انفاسها ،
وبصوت منخفض :
« منذ الخليقة
تعود نيراني
للمرة الاولى .
هل ناديتني ؟
اريد شاياً
اريد ، حلوى ، ايها الشاعر ! »
دامع العين ،
– فالحر اورثني الجنون –
اريتها السماور :
« حسناً
اجلسي ، يا كوكبي الحبيب ! »
ما الذي جعلني اتفوه
بالاهانات –
مضطرباً ،
جلست في زاوية من المقعد ،
خشية ان يفسد هذا ايضاً .
غير انه سال من الشمس
ضياء صاف غريب –
بعد قليل
دون تكلف
شرعنا في الحديث .
قلت هذا
وقلت ذاك ، وكيف
ان « روستا » تنهشني نهشاً ،
فقالت الشمس :

« لا تعبأ
بهذا ،
لا تعقد الامور !
هل تظن
ان من السهل علي
ان ارسل بريقي ؟
حاول ذلك قليلاً !
غير انا قطعنا عهداً بذلك ،
وشرعنا فيه ،
وها نحن نرسل بريقنا بكل قوانا ! »
على هذا النحو ثرثرنا
حتى حل الليل .
صفحاً ، حتى قبيل الليل .
كيف يجرؤ المرء على التحدث هنا
عن الظلمة
ليس بيننا تكلف ،
نحن في صفاء .
بعد قليل
بمودة
ربت على كتفها .
والشمس ، هي ، قالت :
« هناك انت ، وانا ،
هناك ، يا صاح ، نحن الاثنين !

فلنصعد ، ايها الشاعر
الى ارتفاع النسور ،
ولنغن
في اغبرار العالم .
سأصب فيه انا ، شمسي الخاصة بي ،
وانت تصب فيه شمسك –
شعراً . »
جدار الظلال ،
سجن الليالي ،
تهاوى تحت قصف مدفع
الشموس المزدوج ،
مزيج من الشعر والضياء –
ارسلا الضياء ما استطعتما !
اذا تعب الآخر
وفي الليل
اراد الهجوع
كاليربوع الاحمق ،
عندها اكون انا ،
الذي نهضت فجأة ، قداشرقت بدوري،
فترن من جديد اجراس النهار .
أن المع دوماً ،
ان المع في مكان ،
ان المع حتى نهاية الدهر –
دون خلق المعاذير !
هذا هو شعاري انا ،
وشعار الشمس .

الرواية الانجليزية المعاصرة

بقلم فرجينيا وولف

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

°°

مهما استقصينا الرواية الحديثة، تعذر علينا ألا نعد الممارسة الجديدة لهذا الفن تقدماً وتحسناً بالقياس الى الرواية القديمة. يسعنا القول بان فلدنغ وجين اوستن احسنا العمل، بما اوتيا من ادوات بسيطة ومواد بدائية، ولو ان جين اوستن سبقت فلدنغ في براعة الاداء وجودة النتاج ولكن علينا ان نقابل بين فرصها وفرصنا نحن !. تمتاز خيرة كتبها بجو غريب من السذاجة، الا ان التماثل بين الادب وصناعة السيارات لا يكاد يحمل معنى الا في الوهلة الاولى. ومن المشكوك فيه ما اذا كنا تعلمنا شيئاً في صناعة الادب مثل ما تعلمنا في صناعة الادوات في مجرى هذه السنين الطوال.

لم يتيسر لنا أن نكتب بصورة افضل، وباسلوب اجمل. وكل ما يمكن قوله هو اننا حافظنا على تيار الحركة وواكبناها في سيرها، فحيناً نتوجه الى هذه الوجهة، وحيناً الى تلك، غير ان سياق حركتنا يدور على نفسه، وهذا ما نشاهده اذا ارتفعنا ارتفاعاً معقولاً عن واقع حياتنا. وليس بنا حاجة ان نحلق اعلى مما ينبغي لرؤية مانرغب في رؤيته. ثم دعنا نهبط الى السهول، فنمتزج بالجماهير، لنقف على حقيقتهم، مع الغشاوة التي تصيب اعيننا، فننظر الى الوراء بحسد، ننظر الى هؤلاء المحاربين السعداء الذين ربحوا المعارك، فكانت اعمالهم تعبق باريج الكمال، حتى اننا لا نقدر على الامتناع عن الهمس، بان تلك المعارك لم تكن شديدة الوطأة كما هي الحال معنا.

ومن هنا كان واجب المؤرخ في الادب ان يقرر، وعليه ان يقول فيما اذا كنا في بداية عصر عظيم من عصور الرواية النثرية، او اذا كنا في وسطه او نهايته. لاننا لا نلمح الا اشياء باهتة يسيرة في هذه السهول المترامية الاطراف. نحن نعرف بعض النوازع الشرسة، والكثير من عرفان الجميل، توحي الينا بما نقوم بادائه، وان طرقاً معينة تبدو كأنها تقودنا الى ارض خصبة، كثيرة الخير والثمار، واخرى الى الصحراء بما فيها من قحط وحرمان وغبار. ومن اجل هذا يليق بنا ان ندرس هذه الطرق قبل ان نتخذها سبلاً. فنزاعنا ليس مع الكتب الكلاسيكية اذن، اذا ما نحن تكلمنا عن شجارنا مع ولز وبنيت وغالزوورذي. ولكن ذلك يعود الى وجودهم (في الجسد) فيجعل هذا الامر لمؤلفاتهم طابعها الحي المنتفض، مع ما يتصل بذلك من شوائب تحدث يومياً، وهذا هو الذي يحملنا على اختيار ما نشاء بحرية تامة.

ومن الحق كذلك ان نشكر لهؤلاء المؤلفين لما طوقونا به من الوف النعم، وان نحتفظ بشكرنا غير المحدود لهاردي وكونراد، وبدرجة اقل لهدسون مؤلف (الارض القرمزية) و(المساكن الخضر) و(جرى قديماً وحدث بعيداً). ان ويلز وبنيت وغالزوورذي اثاروا كثيراً من الآمال كما خيبوها باستمرار، حتى ان عرفاننا لجميلهم يأخذ شكل شكر لهم، اذا بينوا لنا ما كان يسعهم فعله لو تدبروا الامر جلياً. وهذا ما لا يمكننا الخوض فيه، ولعل ذلك عائد الى تهيبنا وعدم رغبتنا فليس يمكن لعبارة منفردة ان تحمل تهمة ضد هذه الكمية الكبيرة من المؤلفات التي تتضمن مميزات معجبة وعلى العكس.

واذا ما حاولنا صياغة المعنى المطلوب في كلمة، فينبغي لنا ان نقول إن هؤلاء الكتاب الثلاثة (ماديون) وهم اذ يخيبون ظننا، انما يفعلون ذلك، لانهم لا يعنون بالروح بل بالجسد، وهذا ما يجعلهم يتركوننا، ونحن نشعر بان الرواية الانجليزية لا بد لها ان توليهم ظهرها بأدب، وتسير حتى الى الصحراء، من اجل خلاص روحها. وطبيعي ان كلمة واحدة لا تصيب ثلاثة اهداف منفصلة في وقت واحد. وفي حالة ويلز تسقط الكلمة على بعد شاسع من الهدف بعد ان يطيش سهمها. ومع ذلك فانها – في ظننا – تشير الى ذلك المزيج المميت في عبقريته، الذي يبدو في هذا الصلصال الذي اختلط بصفاء إلهامه.

ولعل بنيت هو اسوأ الثلاثة حظاً، في الوقت الذي يبدو فيه احسنهم صناعة. فهو متمكن من تأليف كتاب بحذق ومهارة، تجعلان معظم النقاد المدققين عاجزين عن رؤية الشقوق التي ينفذ منها الانحلال فيتغلغل في كيانه الادبي ومن ثم يقضي على الهواء النقي في داخل هذا الكيان. ومع هذا، فاذا كانت الحياة ترفض ان تعيش هناك، فكيف يمكن اجتياز مثل هذا الخطر ؟ وما هي الحجج التي يستند اليها مؤلف قصة (الزوجات

العجائز) وجورج كانون وادوين كليهانكر في ادعائهم بانهم تخطوه؟

يعيش اشخاص (بنيت) حياة وفيرة ، غير متوقعة ، ولكن علينا ان نسأل : كيف يفعلون ذلك ؟ ومن اجل أي شيء يعيشون ؟ انهم يبدون لنا وقد تركوا خيالاتهم البديعة الرائعة في (المدن الخمس) ليمضوا اوقاتهم في عربات الدرجة الاولى ، بين الوسائد الناعمة الوثـــيرة ، يدقون الاجراس والازرار بغير عد ، ويظهر المصير الذي يتوجهون اليه بمثابة خلود طافح بالبشر والنعمة ،في أعظم فندق من فنادق (برايتون).

يكاد الحق يجانبنا اذا قلنا ان ويلز مادي ، بمعنى انه يسر كثيراً بمتانة كيانه (الادبي). فذهنه ، في سخاء عواطفه ، لا يبيح له بتجميد الاشياء على صورة معينة . هو مادي ، بسبب طيبة قلبه ؛ ذلك بانه اخذ على عاتقه القيام بما كان ينبغي لموظفي الحكومة القيام به ، وفي مغالاة افكاره وحقائقه ، لا يسعه ان يدرك فظاظة الكائنات البشرية وغلظتها ، اذ انه ينسى التفكير في اهمية ذلك ، ومع هذا ، فليس من نقد اشد تدميراً لارضه وسمائه من كونها مسكنين لاشخاص رواياته من اضراب جون وبيتر . أليس اتضاع طبائعهم سبباً لتلويث المؤسسات والافكار التي قدمها لهم سخاء مبدعهم ؟

اننا نحترم انسانية غالزورذي واصالته ، ولكنا لن نجد ما نبحث عنه في صفحات كتبه. واذا اسرعنا ودمغنا هذه الكتب كلها بطابع المادية ، فاننا نعني بذلك ، ان هؤلاء المؤلفين يكتبون عن اشياء لا اهمية لها وهم يصرفون مهارة هائلة وعملاً مضنياً لجعل الشيء التافه الوقتي مهماً باقياً على الايام .

علينا الاعتراف بتشددنا ، بالاضافة الى اننا نجد من المتعذر تبرير ضجرنا عن طريق تفسير ما نحن متشددون فيه .نحن نضع سؤالنا بصورة مختلفة ، على حسب الاحوال المتباينة ، فيعود هذا السؤال من جديد كلما انهينا رواية مثلاً ، بعد ان نكون قد تنفسنا الصعداء . وصيغة هذا السؤال هي : هـل تستحق الرواية كل هذا العناء وهذا النصب ؟ ما هي فكرتها ؟ ايمكن ان يكون الامر عائداً الى بعض الانحرافات التي تميل اليهـــا الروح الانسانية من وقت الى آخر ، فجاء المستر بنيت ليصطاد الحياة ، في الجانب الخاطىء ؟

اما الحياة فانها تفر هاربة ، وماذا يستحق الامر اذا انتفت الحياة.صحيح ان استعمالنا لكلمة (الحياة) اعتراف بالغموض. ولكننا لا نكاد نحسن وضع القضية اذا تكلمنا على الواقع كما يحلو للنقاد ان يفعلوا.ومع الاقرار بان الغموض يعتري كل نقد يتعرض للروايات ، دعنا نجازف بوضع فكرة مؤداها ؛ ان شكل الرواية المتداولة حالياً يبعدنا عن الهدف الذي نسعى اليه جاهدين .

ومها نسمي هذا الشيء سواء أكان حياة ام روحاً امحقيقة ام واقعاً ، هذا الشيء الرئيسي يبتعد عنا ويرفض ان يُحصر فيما نقدمه له من اردية وملابس غير لائقة . ومع ذلك نستمر في وضع الاثنين والثلاثين فصلا بضمير حي وتحفظ دقيق ، وذلك على وفق خطة تنقطع تدريجياً عن مشابهة الرؤيا التي في اذهاننا. وعلى هذا فالجهد الشاق الذي يبذل لاثبات وتماسك الرواية وبمماثلتها للحياة ، هذا الجهد لا يذهب هباء منثوراً ، بل يساء استعماله الى حد يجعل ضوء الادراك خافتاً ، وفي احيان كثيرة يمحوه محواً .

ومن هنا لا يبدو الكاتب مصفداً بارادته الحرة ، بل بقوة عاتية غير عاقلة تأمر له ؛ ذلك بأن وضع العقدة والتمكن من المهزلة والمأساة ، والحب والامتاع ، والجو الذي يجعل الرواية ممكنة الحدوث من غير خلل ولا تكلف،حتى اذا نفخ(الكاتب) الحياة في (الاشخاص) وجدوا انفسهم احياء ينبضون بالحركة والقوة ويرتدون ملابسهم وفـق الطراز الحديث ، فيطاع الجبار ، ويتغير اسلوب الرواية . ولكن كلما مضى الوقت نشعر بشك وقتي احياناً،ونحس بانتفاضة ثورية حين تملأ الصفحات بالطريقة الاعتيادية ، فنتساءل قائلين : هل تشبه الحياة هذا الامر ؟ وهل يجب ان تكون الروايات هكذا ؟

انظر الى داخل الحياة ، فهي ستبدو لك جد بعيـدة عن هذه المشابهة . ثم اختبر عقلية اعتيادية في يوم من هذه الايام . فالذهن يتسلم الوف الانطباعات ؛ انطباعات تافهة ، خيالية ، عابرة ، زائلة ، لطيفة لطف الحرير ، متينة متانة الفولاذ . إنها تأتي من كل فج وصوب ، في مناظر متعاقبة لا تنقطع، مناظر لذرات لا عد لها ولا حصر ، وحال وصولها ترتدي اشكال الحياة في صورها المتنوعة اليومية . فتتغير اللهجة عما كانت عليه من قبل ، فهنا (في هذا الوقت) وليس هناك (في الماضي). اقول : هنا تبرزّ اللحظة المهمة ، فاذا كان الكاتب رجلاً حراً، يكتب ما يريد بمحض اختياره ، واذا كان في وسعه ان يسند نتاجه الى شعوره الذاتي ، وليس الى ما تعاوف عليه المجتمع (من تقاليد) ولا ما له صلة بالحب والمأساة بالطريقة التقليدية ،

(عندئذ تكون الأصالة ميزة الكاتب حقاً) ... لان الحياة ليست سلسلة من المصابيح المنظمة تنظيماً دقيقاً، بل الحياة هالة مضيئة وهي تشبه ستاراً نصف شفاف يحيط بنـــا من بداية شعورنا بالوجود الى خاتمته .

اليس واجب الروائي يقتضيه اذن ان ينقل الينا هذه الروح المجهولة المتنوعة، بما فيها من نواقص ومعايب وارتباك وتعقيد، وبما فيها من امتزاج بينها وبين ما هو غريب شاذ. نحن لا نسعى من اجل الشجاعة والاخلاص ، ان ما نقترحه هو ان يكون موضوع الرواية ارفع شأناً من هذه الروايات التي تريدنا التقاليد الاعتراف بقدرها.

وعلى هذه الشاكلة نجدّ لتحديد الميزة التي يتصف بها بعض الكتاب المحدثين ، ومن اشهرهم جيمس جويس ، ثم التفريق بين هذه الميزة وما قام به اسلاف هؤلاء الكتاب . لا ريب في ان الكتاب الجدد يحاولون التقرب من الحياة ويثابرون في عملهم مخلصين لها، مسايرين بدقة للمصالح التي تحركهم، الى حد انهم، في عملهم هذا، يرفضون معظم التقاليد التي يترسم الروائي اثرها عادة.

دعنا نسجل اثر الذرات التي تتساقط على الذهن في طريق تساقطها ، ثم دعنا نتعقب آثار النماذج ، التي تبدو في مظاهرها منفصلة ، متقطعة الاوصال ، لا يربطها رابط من الانسجام ، وذلك فيما يحدثه المنظر او الواقعة من اثر في الشعور. دعنا نتسلم الحياة في وفرتها وليس في عظم(من يحياها) بل في اسلوبها المعتاد.

وكل من قرأ كتاب (صورة لفنان شاب) او ما يبشر به المؤلف المهم (يوليس) الذي نشر في The Little Review * يمكنه ان يفهم طبيعة ماينوي جويس القيام به . اما ما يخصنا — في هذا الشأن — فالاولى بنا التريث قبل التوكيد (على ما نريده) لأن ما في يدنا لا يعدو نتفاً من هذا النتاج ، ولكن غاية هذه المجموعة تدل على منتهى الاخلاص ، والنتيجة مهما كانت عسيرة الفهم او غير مفرحة حين الحكم عليها ، اقول : هذه النتيجة مهمة من غير شك .

يعد جويس روحانياً اذا قيس الى هؤلاء الكتاب الذين سميناهم (ماديين) . فهو يعنى — مع ما يكلفه ذلك من باهظ الثمن — بتلك الاشعاعات المنبثقة من الشعـــلة الداخلية (في سريرة الانسان) فتوصل رسائلها الى الوجود الواعي من خلال العقل — ومن اجل المحافظة على هذه العناية يرفض كل ما يبدو عرضاً سائباً بكل شجاعة ، سواء أكان من وجهة الانسجام او الاحتمال ، ام اي من هذه الركائز التي تسند التصور والخيال من جيل الى جيل ، فتجعل القارىء يتخيل ما يراد منه تخيله من غير ان يرى الشيء المطلوب او يمسه .

ولنضرب لذلك مثلاً المنظر في المقبرة ببهائه وكآبته ، وانتفاء التناسق فيه ، وومضات بريقه الفجائي ، يأخذ هذا المنظر طريقه الى الذهن بصورة عفوية سريعة ، الى حد ان القراءة الاولى تدفعنا الى عد الكتاب طرفة ممتازة . فاذا اردنا الحياة نفسها — كما هي — وجدناها هنا . ولا ريب في اننا سنتعثر في مسعانا ، اذا نحن حاولنا ان نقول ماذا نريد غير ذلك . ومع ذلك ، فان كتاباً في مثل هذه الاصالة يخفق ان هو قوبل بامثلة رفيعة من اضراب (الشباب) و (امين كاستربرج) . يخيب هذا الكتاب في ذلك ، لوهن العقلية المتغلغلة فيه من وجهة النظر المقارنة . وهذا ما ينبغي لنا قوله بكل سذاجة تاركين الامر عند هذا الحد .

ثم انه من المحتمل ان نمضي قدماً قليلاً ، ونعجب مما اذا لم يكن شعورنا بالوجود مربوطاً بضيق في المكان ، اكثر من ارتباطه بالسعة والحرية ، مع بعض التحديدات التي يفرضها الذهن والاسلوب . وهنا يخطر على بالنا هذا السؤال: هل يحدد الاسلوب القوة المبدعة ؟ هل يعود شعورنا بعـدم الشعور او الشهامة الى الاسلوب ، فيجعلنا نركز اهتمامنا في ذاتنا ، مع ما في هذه الذات من اهتزازات وشكوك ، غير انها لا تتمكن من ابداع ما هو خارج نطاقها ؟ وهل ما يوضع من توكيد على الفجور يدفع بنا الى العزلة والانزواء ؟ او ان محاولة الاصالة تسهل للمعاصرين الشعور بما يعوزهم ، من غير ان يكون في وسعهم تسمية ما يقدمونه ؟

وعلى كل فان الابتعاد عن تجربة (الاساليب) يحسب خطأ فادحاً فكل اسلوب مصيب اذا عبر عما نريد التعبير عنه ، ان نحن كنا كتاباً ، وكذلك فانه ينال الهدف اذا اطلعنا — نحن القراء — على ما يقصده . وهذا الاسلوب له الفضل في اعدادنا لما يعرف بالحياة في معانيها الواسعة ، اليس قراءة (يوليس) تجعلنا نهتز لعدم العثور على وجوه اخرى من الحيـاة في (ترستزام شاندي) و (بندنيس) بل وتجاهلها ايضاً ، وهذا هو الذي يقنعنا ليس بفقدان هذه الوجوه من الحياة حسب ، بل يحملنـا على البحث عن اشياء مهمة اخرى .

* كتب هذا المقال في وقت نشر (يوليس) بصورة متسلسلة في المجلة الانف ذكرها .

وكيفما كانت الحال، فان المشكلة التي تواجه الروائي، في الوقت الحاضر، هي في احداث الوسائل التي تمكنه من حرية الاختيار وحسن الانتقاء. فعليه ان يتمسك بالجرأة ليقول ما يشاء، وعلى هذه الجرأة يستند كيانه الادبي. ولا شك في ان المحدثين معنيون بالنواحي المظلمة من علم النفس. وهنا يختلف التوكيد بعض الاختلاف فيشمل شيئاً كان تجاهله امراً لائقاً، فيه كثير من حسن الادب والحشمة. وفي حال تطفل علم النفس، يغدو خط العمل الجديد ضرورياً، مع عسر ادراكه.

لعل المحدثين لا يشعرون بتلك الحالة التي وصفها تشيخوف وطوّرها في قصته القصيرة (غوسيف). ومؤداها: ان بعض الجنود الروس ينامون على ظهر سفينة في طريقهم الى روسيا. يقدم لنا المؤلف بعض النتف من كلام هؤلاء الجنود وافكارهم، ثم يموت احدهم فيرمى به في البحر، ويستمر الكلام بين الآخرين لمدة. وبعدها يموت غوسيف نفسه، فيبدو كأنه (كومة جزَر او فجل) ثم يرمى هو ايضاً في البحر. واذن فوضع التوكيد في الاماكن غير المتوقعة يكاد يستل منه اهميته، ثم ان العيون بعد ان تعتاد الغبش، وتتمكن من التعرف على اشكال الاشياء ومضامينها، ترى كيف ان القصة وافية بالمرام، وكيف انها عميقة ومخلصة للفكرة التي اختارها تشيخوف من هنا وهنـــا فوحدها في نسيج منسجم جديد.

ومع هذا، فجدير بنا الا نتورط في القول بان هذا (هزلي) وذاك (تراجيدي). كما اننا لسنا متيقنين من شمول هذه القصص او اقتصارها على بعض الاشياء، فالقصص القصار وجيزة جازمة لا تدع مجالاً لهذا اليقين.

إن اي ملاحظة مهما كانت يسيرة المأخذ تخص الرواية الانجليزية الحديثة لا يمكن تجنب ذكر التأثير الروسي فيها. ومتى ما جاء ذكر الروس، اصبح من العبث الكتابة عن اي رواية غير روايتهم.

فنحن اذا اردنا ان نفهم قلب الانسان وروحه، فاين يمكن ان نجد ذلك العمق (الذي يتمثل في الرواية الروسية) والذي لا يمكن ان يقاس اليه شيء آخر؟ اما اذا كنا مرضى من (ماديتنا) فلنوجه اهتمامنا الى اقل الروائيين الروس اهمية فحسب إذ أن كلاً منهم يحمل احتراماً خاصاً للروح الانسانية. ولسان حال الجميع يقول: «تعلموا كيف تتقربون من الشعب.. ولكن اجعلوا هذه المشاركة اثيرة لدى القلب، ولا تجعلوها تجول في نطاق العقل، ولو ان هذا سهل المنال يسير البلوغ، لان القلب وحده يحملكم على الشعور بحب الشعب». ذلك باننا نجد في كل كاتب روسي عظيم معنى من معاني القداسة وصورة من صور السمو.

اذا كانت القداسة تعني مشاركة الآخرين في آلامهم وحبهم وما يساور نفوسهم من مطامح وآمال، وبـــذا يمكن سد احتياجاتهم الروحية. فقداستهم تواجهنا بشعور خاص يجعلنا نحس بتفاهة اشهر رواياتنا وسخافتها وعبثها وخداعها.

تمتاز العقلية الروسية بعمقها وخصبها وعطفها وشمولها وربما بكآبتها ايضاً. فالشعور العميق الشامل يشككنا في الحياة فنتركها جميعاً بعد انهاء القصة، يفعم قلوبنا اليأس العميـق، ويظل آخذاً بمشاعرنا من غير ان نهتدي الى شيء.

لا شك في ان هؤلاء الكتاب ينظرون الى ابعد مما ننظر، وربما هم محقون في ذلك، فنحن تعيقنا اشياء تحول بيننا وبين الادراك النير الواعي. ولعلنا ننظر شيئاً فاتهم النظر اليـه، واذن لماذا نخرج هذا الصوت الذي هو دليل الانتفـــاض والاعتراض، في مثل هذا الحزن وهـــذا البؤس؟ فصوت الاعتراض هذا هو صوت حضارة قديمة اخرى، ويبدو انه انتج فينا غريزة الاستمتاع والكفاح، بدلاً من التألم والفهم. ذلك بان الرواية الانكليزية من (ستيرن) الى (ميريديث) تشهد على مرحنا الطبيعي، بما يعتمل في نفوسنـــا من فكاهات ومهازل، وبتهم بشعورنا بجمال الطبيعة، في مغاليات العقل، وانسجام الجسم.

ولكن اي مقابلة بين الروايتين يعد خطأ فاحشاً، الا اذا اردنا ان نغرق في سيل من الاحتمالات غير المحدودة؛ هـذه الاحتمالات التي يتصف بها الفن الحديث، وهذا يذكرنا بانه ليس لهذا الافق من تخوم، وان كل وسيلة، او طريقة محتملة الا الاستخفاف بالحق والتظاهر بالباطل «فليس من موضوع يمكن ان يعد للرواية» اذ ان كل شيء هو موضوع صالح للرواية كل شعور وكل فكرة وكل ميزة من ميزات العقل والروح؛ اذ لا يجانب الادراك السليم الرواية ابداً.

واذا تصورنا فن الرواية كما نريده ان يحيا في وسطنا، فليس من سبيل سوى تحطيمه وتمزيقه، في الوقت الذي نكبر شأنه ونشغف به حباً لانه بهذه الوسيلة وحدها يمكن تجديد شبابه وتعزيز سلطانه ونفوذه.

بعقوبة ـ العراق — يوسف عبد المسيح ثروة

المرحوم

بقلم محمد حاج حسين

لا بد من الطلاق .. وتنهد ، ونفث دخان لفيفته بعصبية ، واستتلى سعد قائلاً: اذا كان الزواج نصف السعادة ، فالطلاق نصفها الآخر .

وقلت له : أمسك عليك زوجك يا صديقي.

وسلط علي نظراته الشاوية ودمدم : لو تجرعت العذاب ، الذي أتجرعه كل يوم ، لأشرت علي بالخلاص من هذه الزيجة المنكودة .

— أفتر حبك لزوجك ؟ .

— لا زلت أهيم بها حباً .. ومع هذا سأتخلص منها .

— عجيب..وأطرق ساهماً ترين عليه كآبة خرساء،وزفر، ثم قال : أمن المعقول ان يقر الزوج حب امرأته لرجل آخر ، أمام ملء سمعه وبصره ... إسمع مأساتي : عندما انتقلت الى حلب ، سكنت شقة جميلة ، وملأتها بالأثاث البديع ، لتستقبل المرأة التي ستشاركني حياتي .. فلقد ضقت ذرعاً بحياة العزوبية وعزمت على الزواج ، لانشد الاستقرار ، الذي كنت أتلهف عليه ، لم تكن في ذهني ، امرأة معينة ، وكنت انتظر الظروف المؤاتية ، لتهدي الي الزوجة الوفية ، التي تشرب من كأسي . وخرجت ذات أصيل من داري ، واذا بغادة ، ربانة الاهاب، تخرج من الشقة ، التي تقابل مسكني ، وتأملتها ، وسرعان ما سبحت الخالق ، الذي ابدع هذه الفتنة .. لقد كانت في حدود العشرين تزهو بانوثة ناعمة ، وجاذبية داعية ، وتتيه بلون خمري شعاع ، تتألق بوجهها المنضور عينان سوداوان واسعتان ، تنطلق اهدابها الوطفاء لترسم ظلالاً راقصة على خدها الرفاف ، ونظرت الي بضع ثوان ، اخترقت في اثنائها سهامها الحادة قلبي الغض ، وهبطت السلم على استحياء ورقة وانحدرت وراءها اتأمل هذا الشعر الغزير الذي يتوج رأسها باكليل من السواد الحريري .



وجلست مع اصحابي في المقهى ، موزع الخاطر ، زائغ النظرات ، استعيد في ذاكرتي صورتها اللماحة وجسدها الاملود وجفاني النوم ، ولما اويت الى سريري سلخت الليل احلم بها.. انه الحب من النظرة الاولى ، ذلك العشق ، الذي لا يرحم.

رحت اتتبع نبأ غادتي ، حتى عرفت عنها كل شيء ، فهي ابنة احد التجار الاثرياء تزوجت ومكثت مع زوجها عامين ، خلف لها طفلاً ثم مات.. واخيراً استطعت ان اتعرف الى ابيها بحكم الجوار وصرت اتردد على منزلهم ، وفي كل مرة اتلهف على مجالسة فاتنتي السمراء حتى اتاحت لي الظروف هذه الامنية.. فالتهب حبي وشعرت ان حياتي ستكون مقفرة اذا لم تؤنسها هذه السمراء ...

كان حديثها جذاباً تنطلق نبراته الى اعماقي فتغسلها من كل وضر وتسمو بي الى السماء ..

وبعد شهر فاتحتها بحبي .. وقلت لها بلهجة تتعثر بشتى الانفعالات : احبك يا ليلى وارجو ان تقبليني زوجاً .

وتخضب محياها بحمرة مونقة وتمتمت: إني أيم منذ سنة، ودموعي لم تجف بعد على زوجي .

— هل تستطيعين ان تردي زوجك الراحل الى الحياة مرة اخرى اذا اعتصمت بالحزن، فالحياة افضل من الموت .

— ولكن طفلي الصغير ...

وقاطعتها قائلاً : سأكون له اباً ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى نبيل .

وما زلت بها ، حتى وافقت على الزواج مني ..

وطرت الى دمشق لأنبىء اهلي باعتزامي الزواج ، وهللوا طرباً ، ولما عرفت امي ان زوجتي التي انتقيتها أيم ، ثارت بوجهي ، وصرخت : ان العذارى يملأن الدنيا ..

— انها ملاك طاهر يا اماه ، واحبها حباً ملك علي عواطفي فلا مناص لي من الزواج منها .

— لن اوافق على هذا الزواج .

— ارحميني يا امي .

— لن ابارك هذا الزواج .

وتضافرت اسرتي مع امي ، على مقاومتي ، واصبحت نهباً مقسماً بين حبي ورغبات اهلي ، وخرجت

من هـذه الأزمة بانتصار الحب .. وبنيت بليلى ، ويا ليتني أصخت لنصحهم .

بدأ عذابي في الليلة الاولى لزواجنا . فما ان احتوتنا حجرة النوم ، حتى وجدتها ساهمة محزونة ، فدنوت منها أبغي تقبيلها فدفعتني عنها بلطف ، وقلت : ماذا دهاك يا حبيبتي ؟

وانحدرت دموعها ، ووقفت مشدوهاً وقلت : ما هذا البكاء ؟

وتتابعت جهشاتها ، وصحت محنقاً : اريد تفسيراً لهذا البكاء .

ورفعت الي عينين معذبتين وقالت : أرجوك ان تدعني هذه الليلة وحدي ، واستبد بي الغيظ وانفجرت صائحاً : اريد تفسيراً لهذه الرغبة الظالمة ..

وقالت بلهجة حزينة : ان هذه الليلة تذكرني بالمرحوم زوجي فتحي ..

واختنقت الكلمات في صدرها ، وانكبت عـلى السرير تولول وتنادي المرحوم بأرق العبارات .

وانسحبت لا ألوي على شيء ، وقد تمثل لي شبح المرحوم يهيم في ارجـــاء الغرفه يسخر مني ، واحسست ان هذا الشبح البغيض سيكون حـــاجزاً بيني وبين زوجي التي احبها من صميمي .

وتلاحقت الايام سريعة ، وخيل إلي ان شبح الزوج الميت لن يعكر صفو حياتي ، فزوجي لم تشر اليه طيلة شهر العسل فجذلت وانصرفت اليها اوفر لها كل هناء ، حتى امسح من ذاكرتها ذكرى ذلك الزوج الراحل ، ولكن حدسي كان كاذباً فلم نعد من رحلتنا في شهر العسل ونستقر في بيتنا وقد انضم الينا طفل زوجتي الذي كنت ادلله واعطف عليه كأب رحيم ، حتى انطلق شبح المرحوم في حياتنا يعكرها ، فاذا تناولنا طعامنا كانت ليلى تقول : المرحوم يحب هذه الاكلة ، المرحوم لا يحبها ، وعندما أشتري لها ثوباً جديداً تتأمله بسرعة ثم تقول : كان ذوق المرحوم في انتقاء الثياب احسن من ذوقك .

فاتألم وأئد غضبي حتى لا ازيد الحالة توتراً ، ولم يفد صمتي ، بل كانت تذكر المرحوم ، في كل مناسبة ، حتى عددت ذات يوم عدد المرات التي ذكرته بها فاذا بهـــا عشرون . وبدأت اتألم من هذا الغريم الميت ، حتى اصبحت اهرب من البيت ، كيلا يرن في مسمعي ذكره البغيض وجسّم لي الخيال وجوده في بيتي ، فكنت افيق في جوف الليل احياناً لاتوسل اليه ان يبتعد عني .

حدثتني عن حبها العظيم له ، وكيف تم زواجها منـــه ، وبالغت في ذكر السعادة التي كانت تهيمن عليها ، وحملت على الموت لانه خطفه منها في ميعة شبابه ، وبكت ، وبكيت معها ، واسلمت امري للقدر ، يتلاعب بي كيف يشاء .

وجاءتني ، ذات يوم ، تلطم خدها وتقول : اتدري ياسعد انني اخطأت في الزواج منك ؟

— هذه نغمة جديدة . — لكنها الحقيقة .

— هل اوحى بها اليك المرحوم ؟.

— لقد رأيت فيما يرى النائم ، ليلة امس ، زوجي المرحوم يخطر في اجمل منظر ، ونظر إلي شزراً ثم قال : أهكذا تخونينني يا ليلى بالزواج من رجل آخر ؟ فبكيت وتمتمت : معاذ الله ان اخونك .

ومسني مساً رفيقاً ، تداعى له كياني ثم قال : كان يجب ان لا تتزوجي ، حتى الفـــاك في السماء بريئة من كل دنس ، فاعتذرت اليـــه ، وقلت له ، رغم زواجي لا تزال روحي تعانقك وتهيم بك ، فزوى مـــا بين حاجبيه ، وغادرني متميزاً من الغيظ .

ومنذ هذه الحادثة ، لم ترقأ لها دمعة ، واصبحت بمناسبة وغير مناسبة تردد امامي ان ضميرها يؤنبها ، لانهـــا خانت المرحوم فتحي .

وقلت لها اخيراً ، يجب ان تختاري يا ليلى بيني وبين المرحوم ان حياتي اصبحت لا تطاق .. فارحميني ، وانقذيني من هذا الشبح اللعين الذي يسيطر عليك .. فلا اريدك بعد الآن ان تذكريه امامي .

وتنهدت قائلة : اتغار من شبح ؟.

— أجل .. — هذا لا يجوز .

— اني اكره المرحوم ، واستنزل عليه اللعنة ..

ونفرت مني محتجة باكية .

ورغم هذه الغضبة الشديدة ، لم تكف عن ذكر المرحوم . حتى صارت حياتي معها لا تطاق .

لا تلمني . اذا عزمت على الطلاق من زوجتي التي احبها .. فهي لسوء حظي تحب غيري وتعبد زوجها الاول . فلم احتمل جحيم الغيرة ! . سأتخلص منها لارتاح من شبح المرحوم الذي يترع حياتي بالوساوس الدامية .

اللاذقية — محمد حاج حسين

مع القضية الفلسطينية

•

مهداة الى ابناء هذا الجيل العربي الصاعد

✳

لاسماعيل عامود

•

السلمية ـ سوريا

✳

.. حتى الصّغار

في حارتي السوداء

في موج ادّكار ..

وتودُّ .. لو تعلو الجدار

أسرارها .. خلف الجدار

نامت .. « كأهل الكهف »

نوم .. كَمَنْ فقد الديار

.. ولا ديارْ ..

✳

الشمس ، تسطع

لا غطاء ، على الرؤوس ، ولا ستار

والنّـقع ، يحمله الهواء

إلى الخيام

مدى النهار

يذري سموم « الداء » في صدر الصغار

والليل يقسمُ :

ـ « لن أكفّ قساوتي

لا ، لن تنام عواصفي

حتى ، انهيار »

والجوع ، يالجوع ، يفتك بالجموع

من الصغار .. من الكبار

..والخبزُ ، يُعطى ، كيف يعطى

بالعيار

في مؤسسة الديارْ

بلا ضمير ، بلا فخار

والاثرياء ببلدتي البكماء ما فيهمْ

يتجمّلون ويرفلون

بكل وجه مستعار .

والنازحون [١] بحارتي السوداء

ضنّ بهم إزارٌ [٢]

✳

.. وتمر شرذمة من « الاسعاف »

تكتبُ في قرار

الحالة العجفاء ، يا طول القرارْ [٣]

وتوزع الأمل المرجّى :

ـ « سوف يُنظر بالقضية

سوف يقرأها ، الكبار

.. وسنخفر الوعد الذي فينا

على الدنيا ، شعار »

✳

هذا الشعارْ

فانه قول ، مثار

يا الكبار الصُّمّ

لا يدرون ان الأمر عار

ـ الموتة الاولى لهمْ

وغدٌ لنا فيه انتصار

في جحفلٍ حمل اليقين

وشد للأمر الأزار [٤]

✳

.. حتى الصغار ..

في حارتي السوداء ، وعدٌ وانتظار

وتود ، لو تعلو الجدار !!

آمالها ، خلف الجدار ،

تبني ، وتبني ، فوق رابية مزار

.. في الجولة الأخرى

سنقتحم كل نار

في زند ابنائي الصغار

عصف الدمار !!

يطوي ، ويطوي كل دار

من دور اعدائي الصغار

وعلى البحارْ ، سفنٌ محملة شنار

تطوي البحار ..

يا بئس مَنْ تطوي

البحار ...

(١) هذه الكلمة هي التعبير الحسن للحالة .. لان هؤلاء لم يلجأوا ـ كما استهم الجامعة العربية ـ الينا ، بل نزحوا عن ديارهم الى اديار شقيقة عربية .

(٢) إزار : كل ما سترك ، الملحفة ، ـ ولا أقصد هنا .. العفاف ـ .

(٣) ـ قرار : ج قرارات ..تكتب على قرطاس ...

(٤) الأزار : ج مآزر

النزعة الرمزية في الفكر الاوروبي

بقلم عواد مجيد الاعظمي
ليسانسيه شرف بالعلوم الاجتماعية

°°°

في الوقت الذي بدأ نجم الحركة « الرومانسية » بالأفول – في نهاية العقد السادس من القرن التاسع عشر . بدأت تبزغ نزعات جديدة في سماء الفكر الاوروبي ، وتشق طريقها لتنال مركزها اللائق . والرومانسية في تأكيدها على الوجدان ، والشعور والعاطفة ، قادها الى الخوض في مجاهل عميقة فيما وراء الشعور ، وهي بعملها هذا اخذت تقضي على نفسها بنفسها ، بل هي في اعماق ذاتها كانت تحمل بذرة تلاشيها ، وتواريها ، وخلق نزعات جديدة منبعثة عنها. والواقع : « ان كل نوع من انواع الادب يشتمل على بذور حياته ، وموته . وان الادب الرمزي اخذ عن الرومانتيكي ما رأى فيه ضرورة حياته ، ونبذ النواحي المبتذلة التي كانت تدعو الى موت ذاك الادب » . فكما انه لم يدر في خلد اصحاب النزعة « العقلية الكلاسيكية » ان الثورة الفرنسية – التي حملوا لواءها – ستحطم صنم العقل ، وتحل محله الوجدان ، والعاطفة ، والخيال المتمثلة « فكانت الرومانسية بهذا رد فعل للعقلية الكلاسيكية في القرنين السابع عشر والثامن عشر » وكذلك يمكن القول بانه لم يدر في خلد الزعماء الرومانسيين ان الاغراق الشديد في الشعور والعاطفة ، والخيال ، والذاتية ، وسبر مجاهل نفسية بعيدة الغور ، ستحطم خصائص الرومانسية وتحل محلها خصائص نزعات جديدة « كالبرناسية » و « الرمزية » . وبهذا اصبحت البرناسية والرمزية رد فعل للرومانسية : « وهكذا يصبح القول حقاً بأن تأريخ الفن يحتوي على تيار مستمر من ردود فعل ، من رومانسية ، الى برناسية ، فرمزية .. »

والرمزية اسم اطلق على مجموعة كبيرة من الشعراء الفرنسيين وغيرهم من الاجانب كتبوا في حدود سنة ١٨٨٠–١٨٨٨» .

اما البحث في المؤثرات الاساسية التي خلقت الجو ، ومهدت السبيل لسيادة النزعة الرمزية في الفكر الاوربي ، فتتمثل في تيارات عديدة ، نفسية ، ودينية وفلسفية ، كانت جميعها تعبيراً قوياً عما كان ينتاب القرن التاسع عشر من هزات عنيفة ، وصراع شديد بين مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية ..

اما التأثير النفسي « السيكلوجي » فيظهر في البحوث التي قام بها نفر من العلماء ، فكان لها الاثر العميق في خلق النزعة الرمزية ، واعطائها بعض خصائصها المهمة ، وقد تركزت البحوث النفسية في هذه الفترة الزمنية بدراسة مجاهل النفس الانسانية ، والنزول الى اعماق اللاشعور. « فهذا « فرويد » نفسه راح يوجد لكل مجال من مجالات التحليل النفسي بظواهره ، وعملياته ، ووظائفه مصطلحات مختلفة اكثر دلالة واكثر تعبيراً ، كالابدال ، والتصعيد ، والتمثيل ، والاقتران وخاصة في المجال المرضي ، للاستدلال بالاعراض ، والتي كلها تتضمن معنى الرمز » .

واما « سانت بوف » ١٨٠٤–١٨٩٦ فقد ادخل مذهب التحليل النفسي في الأدب « Introspective School » ولم يكتف بفهم الادب من البيئة او من العوامل الاخرى بل اراد ان تكون صلة الادب بين الكتاب انفسهم وبين امزجتهم وخواصهم النفسية والعقلية . « ونجد من ناحية اخرى ان نظريات المحللين النفسانيين بينما لا تشك بوجود العقل ، فانها تدلل بوضوح على اعتماد عناصره العقلية « Rational » على عناصره اللاعقلية . اما الحوادث الشعورية فهي انعكاسات مشوهة للرغبات اللاشعورية والمنبهات التي تدفعنا للعمل ، وان ما نشعر به ، وما نفكر به ونفعله لا يتعين من قبلنا انما تعينه لنا قوى دفينة موجودة بين

طيات شخصيتنا ، ولا يمكن اكتشاف نشوئها ولا السيطرة على ما تفعله فينا » .

وقد خلقت هذه البحوث السيكلوجية فكرة « اللاوعي » فكانت من أهم خصائص النزعة الرمزية . وقد ظهرت فكرة « اللاوعي » هذه في كتب وابحاث عديدة منها : « كتاب فلسفة اللاوعي » للالماني « هارتمن » . وكتاب « الحلم » للعلامة « فرويد » وكما ذكرها الاديب الامريكي « ادغار بو » في اشعاره في « اللاوعي » . وقد كانت دعوة « ادغار بو » تتمثل بالانعتاق من الواقعية والايجابية ، وبذلك خلق عند الرمزيين فكرة « الغيبية » .

وهكذا غدا مذهب التحليل النفسي بخصائصه وميزاته ينبوعاً دفاقاً يزود الرمزية بتعابير عميقة عن مجاهل النفس الانسانية ، وخلجات اللاشعور ومكبوتات العقل الباطن . واذا كان مذهب التحليل النفسي قد مكن الرمزية من التعبير عن المجهول ، والغيبية ، والحلم ، واللاوعي ، فقد اسبغت البحوث الدينية التي انتعشت في منتصف القرن التاسع عشر على الرمزية الالهام الروحي ، والصوفية العميقة ، والاوهام البعيدة .

وقد تمثل نشاط البحوث الدينية ، في المؤلفات العديدة التي ظهرت في مختلف حقول الدين كما هو واضح في :

– البحوث الميثولوجية : وتظهر في مؤلفات « نالس برنار » في « معجم الميثولوجيا الكونية » و « جاكوبي » في كتاب « الميثولوجية اليونانية والرومانية » و « فوري » في « تأريخ الاديان اليونانية القديمة » .

– البحث في منشأ الاديان : – اليهودية والمسيحية – وتظهر في مؤلفات « آرنست رينان » ١٨٤٨ في « تأريخ المسيحية » و « ستراوس » ١٨٣٥ في « حياة يسوع » .

– نقل الاداب الهندية ، والمبادىء الدينية البوذية ، وتظهر في مؤلفات « بورنوف » ١٨٤٥ في « توطئة للتاريخ البوذي » و « بافي » الذي ترجم الملاحم الهندية الشهيرة « المها بها رتا » .

– الاتجاه الروحي الفلسفي : وكان ذلك بتأثير البوذية الهندية وعلى اثرها نشأت نظرية « الوهم البوذي » وقد جعل « شوبنهور » منها عماد فلسفته حتى اطلق على ذلك « وهم شوبنهور » .

اما التأثير الفلسفي في النزعة الرمزية فيتجلى في خلق المثال المطلق ، والميتافيزيقية فيها ، وذلك على اثر البحوث الفلسفية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما هو عند « ادوارد فون هارتمان » ١٨٤٢ – ١٩٠٦ وفي فلسفته يجمع بين « ارادة شوبنهور » و « مثال » هيجل في « مطلق » متجانس لاشعوري ، ويظهر في كتابه « اللاشعوري » فالحياة تكشف لنا عن لاشعور عاقل مريد برشده « المثال المجلي » . وكذلك يظهر التأثير الفلسفي عند « ماخ » ١٨٣٨ – ١٩١٦ وفلسفته ليست بالمادية ، فانه صريح كل الصراحة في رفضه الاخذ بالمذهب المادي ، لان الاجسام في نظره ليست سوى صور رمزية للفكر تلخص ما نعرفه عن الاشياء بطريق خبراتنا الكثيرة المعقدة » .

والواقع – انه حدث امتزاج كلي ، وتداخل عميق في الفكر الاوربي في اواخر القرن التاسع عشر بين الاتجاهات النفسية ، والدينية ، والفلسفية ، فولدت بذلك عصارة جديدة بعثت في الرمزية قوة الخلق والابداع والسيادة . ويمكن ان نطلق على هذا الوليد المتداخل من هذه القوى الثلاث بـ « الميتافيزيقي – النفسي » فالميتافيزيقيا تحمل في طياتها اتجاهات فلسفية ودينية ، وان هذه الاتجاهات اصطبغت بصبغة نفسية عميقة . ونرى هذا واضحاً عند « لوتزي » ١٨١٧ – ١٨٨١ ويستند الى طموح النفس الى الكمال فيقول بوجود روح اعظم وشخص متاز منا وهو الذي رتب الكل تبعاً للخير في قوله : « ان الوجود الحق الذي هو موجود والذي يجب ان يوجد ليس المادة – وليس من باب اولى المثال المجلي ، ولكنه الله الروح الحي الشخصي وعالم الارواح الشخصية التي خلقها ، وذلك هو مكان الخير بالذات وسائر الخيرات » . اما « فخنر » ١٨٠١ – ١٨٨٧ فانه يذهب في كتابه « زندافستا » او امور السماء وما بعد الموت الى ان الميتافيزيقيا علم حق يقوم على حاجة فينا للايمان بمبدأ عدل وخير . العالم وجدان واحد هو وجدان الله ، وكل وجدان مع تميزه من غيره من الظواهر فهو مظهر من الوجدان الكلي . ولكن شهرة فخنر قائمة على انه مؤسس « علم النفس الفيزيقي » ويعرفه بأنه مذهب مضبوط في العلاقات بين النفس والجسم وبصفة عامة بين العالم الفيزيقي والعالم النفسي . واجمالاً فهذه القوى الثلاث – النفسية ، والدينية ، والفلسفية ، وتداخلها مع بعضها – قد خلقت الجو ، ومهدت السبيل الى خلق النزعة الرمزية ، هذا اذا اضفنا اموراً اخرى ساعدت على تكوين الرمزية بموجب رأي « برونتيير » في كتابه « تطور الشعر الغنائي » لاصبح الجو كاملاً ، والطريق ممهداً الان تصوغ الرمزية

نزعتها من قالبها الاخير ، وهذه الامور هي :

– ازاهر الشر . لشارل بودلير .

– ترجمة القصة الروسية من قبل « E. M.De bogue ١٨٨٤ » لتولستوي ودستويفسكي » .

– ريشارد فجنر – في الموسيقى ، وفي الالهام الروحي – والانعتاق من المادة .

– ادب ادغار بو ، القصصي الامريكي ، خلال القرن التاسع عشر ، ويتميز بالانعتاق من الواقعية والايجاب ، كما يتميز بالمبدأ الشعري وقد خلق عند الرمزيين فكرة « الغيبية » كما ذكرنا .

– تأثير الادب الشمالي : اذ ان البلاد الشماليـــة المغمورة بالضباب ، كانت بطبيعة الاقليم تنتج ادباً بعيداً عن الواقع الموضوعي الواضح . وتواضع الشعراء الشماليون على ان يكون للشعر اتجاهان ، بلوغ الفكر المجرد « الميتافيزيكي » والانطواء على ناحية « اللاوعي » في الذات الانسانية ، وعلاقـــة الفرد بالكون ظهرت عند « كانت » و « هيجل » و « سويدنبرغ » و « شوبنهور » .

وعليه والحالة هذه – فالرمزية خلقت في جو معقد مشبع بالفكر ، مليء بالنزعات وغزير بالآراء ، فكانت اسماً بذاتها وحركة قائمة بنفسها ، جمعت خصائص وصفات ميزتها تمام التمييز عن باقي النزعات الادبية والفلسفية التي سادت الفكر الاوربي . فلا غرو ان تكون الرمزية في اصل حركتها ثورة على « الطبيعية » وعلى « البرناسية » في آن واحد . غير انه يجب ان لا يغرب عن بالنا ، ان الانتقال من البرناسية الى الرمزية لم يكن فجائياً بقدر ما كانت هناك فترة انتقال ، وقد مثل « فرلين ١٨٤٤ – ١٨٩٦ » فترة الانتقال هذه ، فقد اتبع النهج الذي اختطه جماعة البرناس من عناية بالاخراج ، وتصوير العالم الخارجي في لوحات شعرية جامدة ، وكثيراً مـــا اطلقوا عليه اسم « بودلير البرناسي » .

فمن كل ما مر ذكره ، من بواعث نشوء الرمزية ، وفي اسس تكوينها ، والجو الذي خلقت فيه يمكن ان نقول ان الرمزية اتصفت وتميزت : بالحلم ، والمجهول ، والغيبية ، واللاوعي ، والالهام الروحي ، والصوفية العميقة ، والاوهام البعيدة ، والميتافيزيقية النفسية ، وهذه الميزات جميعها قد تمثلت على ايدي قادة وزعماء عديدين ، نخص بالذكر منهم الشاعر الفرنسي « شارل بودلير » ١٨٢١ – ١٨٦٧ « فقد وضع بودلير الكثير من اسس الرمزية واهدافها » .

والواقع ان « بودلير » قد جمع في شعره الرمزي عصارة الفكر الاوربي ، من فترة ما قبل المسيحية ، حتى الفترة التي عاش فيها الشاعر في القرن التاسع عشر وما تمخض عنه هذا القرن من خضم في مختلف النزعات والميول والمذاهب الادبية والفلسفية والنفسية . « فشعر بودلير يعبر لك عن حالة نفسية سادت العصور التي اهتزت بشيء من روعة الخيال ، كالعصر الذي سبق المسيحية مباشرة ، والعصر الذي تلا المسيحية فوراً ، وكالعصر الذي نهضت فيه اوربا بعد فترة العصور الوسطى وأخيراً كالقرن التاسع عشر الذي عاش فيه الشاعر ، هذه الحالة النفسية التي تختلط فيها اللذائذ الحسية عند الانسان بميل قوي ملح عند هذا الانسان نفسه ان يحلل عواطفه وخواطره تحليلاً نقدياً يشيع فيـــه شيء من اللغة الصوفية » .

وبودلير اول من جعل الشعر الفرنسي يلعب دوره الفلسفي الميتافيزيكي » . وكان بودلير يؤمن بأن الشعر الحق قائم على الجمال الجديد الطريف ، وإنه من ثمرات العمل الوئيد ، والتأمـل والصياغة » ولكن بودلـير رأى ان الشعر الحقيقي هو الشعر الذي يسبر اغوار النفس ، وينزل الى اعماق المجهول حيث فيه الطهر والجمال والالوهية ، والحقيقة ان بودلير جعل من الصوفية التي كانت تعني سمو الذات الانسانية للاندماج بالذات الالهية . جعلها تعني نزول الذات الى اعماق نفسها فيما وراء المجهول وتتصل هناك « بعوالم مجهولة مسحها الله بالجمال » وهكذا يجب ان نفرق بين « الصوفية الرومانسية » في المعنى الاول و « الصوفية الرمزية » في المعنى الثاني . « فقد انطوى بودلير على اعماق نفسه فرأى فيها أجواء خاصة وعوالم ما عنت لسواه ، وهكذا اصبح الفن في نظره تعبيراً مباشراً عن الحياة الداخلية العميقة بكل ما فيهـا من احساسات ومشاعر » . « فيأوي بودلير الى الدين ، ويلقى في الغفران ارتياحاً فينصرف عن الخطيئة الكريهة وتحلم ذاته بآفاق بعيدة ، بعوالم مجهولة مسحها الله بالجمال » .

وشعر بودلير يعتمد قبل كل شيء على الموسيقى والايحاء ، يكتنفه الشعور بالحرمان ، والظمأ المحرق ، والتشوق الى المجهول في صور قاسية تبعث على العجب في ندم وتقريع للنفس . وهو يكتب شعره نتيجة نفس مريضة مرهقة ، وحس مرهق ، وسأم موحش ، ويأس مرير . والحلم عند بودلير هو الحقيقة الموجودة ففي قوله : « كل ما في الارض مشكوك بوجوده ، والحلم

وحده هو الحقيقة الحق » .

ومن زعماء الرمزية ، وقادتها ايضاً « ملارميه » ١٨٤٢ — ١٨٩٨ — وقد تأثر ملارميه بالفلاسفة المثاليين من الالمان. امثال « فختي » و « هيجل » . كما انه اتصل بفلسفة القديس توما ، وكانت ، والرسامين الايحائيين و « Manete » بنوع خاص وقد لفت ملارميه الانظار لفتة جديدة ، فيها بهاء الجديد ، وفيها غرابته في آن معاً ، ونعني بهذا الاتجاه الجديد الشعر الرمزي . بل ان ملارميه نفسه كاد يعجز عن نظم الشعر كما ينبغي ان يكون الشعر في رأيه، فحتى تلاميذه كانوا على نمطه في هذا ، فهم يحدثونك عن المذهب الرمزي الجديد فاذا الحديث خلاب ، وهم يفكرون في امر المذهب الرمزي الجديد . فاذا التفكير ناضج جذاب ، اما ان يكتبوا على اساس ما يقولون فذلك ما لم يصنعوه على الوجه الاكمل في رأي المذهب الجديد الذي بشر به ملارميه .

والشعر عند ملارميه—هو الشعر الذي ينفذ الى عالم الارواح— ولا يكون ذلك الا بالرمز فيما يكتب وينظم . «يريد ملارميه ان يكون الشعر صحيحاً ، هو ان نكتب ما يرمز الى شيء لا ما يدل على معنى . فهذه الدنيا التي نرى مشاهدها، ونسمع اصواتها ونتذوق طعومها ونشم روائحها ، ونلمس اشياءها. هذه الدنيا التي نسميها بالعالم الواقع ، ان هي في الحقيقة الا تشويه للعالم الحقيقي الذي نستطيع ان نستشفه من وراء هذه الحجب. فاذا كتبت ادباً صحيحاً ، فينبغي ان ترمز بما تكتب الى العالم الكامل الابدي الدائم الذي تنفذ اليه خلال الشقوق والفجوات من عالم الواقع العابر الى العالم الابدي الخالد اننا نريدك ان تستخدم الالفاظ نوافذ تطل منها على عالم الروح لا عالم العقل. والشعر وحده هو الطريق المؤدية الى عالم الروح .»

ان خصائص الرمزية ومميزاتها السابقة الذكر ، جعلت من الصعوبة بمكان تحديدها بمفهوم شامل كامل ،ولا غرو ان نذكر هنا آراء ، ووجهات نظر بعض الفلاسفة في اعطاء تحديد للرمزية « فالصورة الرمزية بحسب ما يحددها « كانت » توحي الشيء الذي ترمز اليه ، وهذا الايحاء لا يتأتى بواسطة تشابه في المظاهر المحسوسة بين الصورة المجردة ، والشيء بل بواسطة علاقات داخلية بينها ، مثل النظام ، والانسجام ، والتناسب وغيرها » .

اما عند « برغسن » فالرمز عنده « اداة عقلية » تمكن صورة من الصور ان تنضم الى اخرى بحسب « قانون المطابقة » .

وعند « هيجل » فهو يجعل للرمز « قيمة استنتاجية » بدل القيمة التماثلية او التشابهية التي اختطها «كانت». فالاستنتاج في رأي هيجل يجمع بين مظاهر الكون ، وهو رمز الانسجام الكوني والوحدة الاساسية .

وعند « جورج بونو » في كتابه (الرمزية) في تقسيم الرمز الادبي الى وجهتين : وجهة استنتاجية تنبثق من المثالية الصافية والتجريد البحت ، ومن هذا القبيل كان شعر ملارميه. ووجهة تشابهية تبدو في شعر (بودلير) .

اما عند (بوفيه) وهو افضل من حاول تحديد الرمزية : الرمز هو بغية التصفية الفكرية والجوهر الاقصى في كل تشبيه وان الرمز (يفترض) فكرة . وكل رمزية تفترض شيئاً من وراء الطبيعة ، اي بعض فكرة عن علاقات المرء بالطبيعة التي تحدق به (او بالمجهول) .

واخيراً — لا بد ان نذكر بأن الرمزية اصبحت في الحقيقة وسيلة وعلاج للتعبير ، واللغة العاجزة ولكشف مجاهل النفس التي يعي المنطق والعقل عنها . « فالرمز وسيلة للتعبير عن زوايا غامضة في النفس لا تقوى لغتنا ، وهي لغة الجوامد ان تعرب عنها . والرمز علاج ناجع للغة العاجزة التي لا تفي بكامل شروط الاداء فهو متمم لها يقيلها من عثرتها . وقد برهن الفيلسوف (برغسن) ان قسماً غائراً من النفس لا يكشف عنه المنطق ، والعقل الذي يعي نفسه بل هو منوط بالقوة «الحدسية في الانسان».

وفي الختام — ارجو ان اكون قد قدمت فائدة الى قراء العربية في هذا العرض الدقيق الموجز للحركة الرمزية ، ولي وطيد الامل بان يكون هذا البحث له صداه العميق في ثلاث انواع من الجماعات المثقفة . الجماعة الاولى التي قد سمعت بالرمزية وتريد التطلع الى دراستها، ومعرفة اسسها وقواعدها. وخصائصها ومميزاتها ، والجماعة الثانية التي قد سمعت ودرست عنها بعض الشيء فحملت في نفسها روح النقد والاشمئزاز ، والجماعة الثالثة التي تعتقد في اعماق نفسها انها فهمت الرمزية ، وعرفت تماماً اصولها وقواعدها فاعتقدت بها ، وامنت برسالتها ، وهي على استعداد تام لان تتكلم عنها وتشرح مذهبها وتذكر زعماءها وحاملي لوائها . ولكنني اخشى على هذه الجماعة الاخيرة ان تكون كتلامذة (ملارميه) تقول ما لا تفعل .! فالى هؤلاء جميعاً ارجو ان يكون موضوعي هذا له اثره في نفوسهم .

بغداد — عواد مجيد الاعظمي

حاملة الجرة

*

.. وكالنور حين سرى بغتة   على الشاطىء الأخضر ، المزدهرْ :
تهادت ، على ضفة ، حفّها   طريّ النبات ، وغضّ الشجر
ومن حولها الفاتناتُ الملاح   على شفة النبع ، زهرٌ ، وعطر
تظلّلها كرمةٌ ، أوقرتْ   عناقيدها ، بشهيّ الثمر !
كأني بها نسمة رفرفت   على صفحة الماء ، وقت السحَر
تدور كأغرودة ، في الحقول   تأبّى الحنين بها ، فاستتر
ينام على خطوها المستهام   رفيفُ الشذى ، وضياءُ القمر
مرنّحة ، والدلال الشهيّ   يكاد على خصرها ، ينكسر !!
تسير على خفقات القلوب   قلوبٍ ، معذبةٍ ، تستعر
تعانقها لهفة العاشقين   وتلثمها في اشتباك البصر
فتلمحها في حنان العيون ،   وشوق الجفون ، ونجوى الفِكَر
وتبصرها في جموح الخيال ،   رؤى شاعرٍ ، عبقري الصور !
وفي صدرها فتنة ، عربدَتْ   كما عصفت موجة ، تنحسر
ويهتزّ مرتعشاً ، نهدُها   يدمدم في نشوة المنتصر
وينفر محتدماً ، صارخاً   من الظمأ الخالد ، المستعر
فتحسبه من لهيب الشباب ،   وشوق الصبا ، موشكاً أن يفر !
وفي وجهها ، جنّة الملهمين   وعرس الجمال ، وحلم البشر
وفي شفتيها لهيب الغروب   تألّق ، بين إطار الزّهَر
وأهدابُها ، أسبلت في فتور   وأجفانها ، أطرقت ، في خفر
ومرّت ، وساعدها يحتمي   « بجرّتها » من حريق النظر
وعشاقها فوق صمت الطريق   عبيد الهوى ، وأسارى القدر
وتمضي ، وقد سحبت خلفها   قلوباً ، على خطوها تنتحر !!
و « جرّتها » ، وقفت في دلال ،   تحدّق ، مسحورة بالشجر
وترنو إلى موكب المغرمين ،   وقد سكروا بالأريج العطر
ورقّتْ لهم ، في صباباتهم   وكادت من الوجد ، أن تنكسر
تهمّ ، وقد هزّها شوقهم   ويمنعها الحسن ، أن تعتذر
فتنفض أدمعها في الطريق   وتُغرق ، في صمتها المستمر !!

القاهرة

محمد فوزي العنتيل
من رابطة النهر الخالد

خيوط العنكبوت

بقلم محمد روزنامجي

قصة



كل شيء يدور في رأسه . أضواء . وجوه فيها عيون تحدق . أفواه تتحرك بلا شيء . شفاه يابسة ، وأصابع وجمرات تلتمع ، ودخان وضجة ودوار .

— هالو عيوني ! — أنا عيونك ؟ ! قاه ، قاه ، قاه ! وحدق في عينيها ، أجفانها متورمة ، وأغمض عينيه .

— آه ! عيناها خاليتان ، خاليتان بلا معنى .

— ليش تشرب كثير .. عيوني ؟ والتفت اليها . — أشرب ، أشرب كثير ؟ — عرق ! ورآها تلوي شفتيها بامتعاض . — آه ! عرق ! ويحس ثقلاً فظيعاً يطبق فوق عينيه . وفي رأسه لا شيء ، لا شيء الا الدوار والثقل الفظيع .

وأحس بها تلتصق به . وحاول أن يفتح عينيه ، ولكنه عاد يحس بالثقل فوقها ، فوق الاجفان . وعادت تنق بصوتها الخشن في اذنيه . أنت كثير شارب . — شارب ؟ وفي رأسه لا شيء ، لا شيء ، الدوار والثقل الفظيع ، وحوله العيون تحدق بلا معنى ، والجمرات تلتمع ، والاصابع والوجوه والدخان وصوت يأتي من لا مكان .

— ما يكفي دمع العين يا بويه !

وسمعها تهمس لنفسها . — آه ! تام ، تام ، تام ، يا لها من اغنية ، اغنية على الجروح .

وحدق في عينيها الباردتين ، وشيء يومض ويتلاشى .

— الدمع والعين والجراح ، وشيء غامض يهمهم في اعماقه . وعاد يحدق فيها ، والتصق بها . شفتاها يابستان ، ووجهها والصفرة الفظيعة ، والعينان يحيط بهما السواد ، ويكمن فيها لا شيء ، لا شيء .

أنت تتألمين .. اتألم ، لماذا لا اتألم ؟ وظل يحدق فيها . — لماذا لا تتألم ؟ صحيح ! لماذا ؟ وشيء ما في داخله ينوح ، ينوح ! وعاد يحس بالثقل الفظيع على اجفانه . والدوار في رأسه لا شيء ، لا شيء . اوه ! وأشياء يحسها تنبعث من اعماقه ، اعماق نفسه .

دقات ساعة السراي الكبيرة تعلن الثالثة بعد الظهر . المعطف والاندفاع من الغرفة ، وضجة الموظفين . ويطوي السلم الطويل وظله الهزيل ينزلق على درجاته .

— واحد ، اثنين ، واحد ، اثنين ، انتهينا ! انتهينا ؟ بضع ساعات لفظت انفاسها ، كما تلفظ أيامه واعوامه انفاسها . بقايا المطر تتراكم في الساحة الكبيرة . بائع الشاي يعد دخله . بائع «الكبة» لا يزال في مكانه . وابناء السبيل ، والعيون الذليلة ، والوجوه التي يأكلها الشحوب ، وعربة بائع السجاير لا تزال في محلها ، وبائع اليانصيب وضجيجه ، الخميس السحب . ستميت دينار ، الاولى عندي ، السحب الخميس .

— اوه ! اوه ! أيام باهتة ، باهتة بلا لون ، تمر في تشابه غريب ، ممقوت ، ممل .

— باهتة ؛ بلا لون ؟ وانتبه على صوتها الخشن البارد ينق في اذنيه . — باهتة ؛ آه ! ايامي ! — ايامك ؟ والدخان يتراكم على وجهها ، وعيناها الباردتان تستفهمان .

— ايامك ، باهتة ، بلا لون ؟ وماذا اقول عن ايامي ، عمري ، حياتي ؟

— حياتها ؛ حياتي ؛ حياتي ؟! الساعة التاسعة موعد ذهابه الى الدائرة ، الدائرة ؛ الزنزانة الانيقة . ساعة السراي تدق بين حين وحين . الساعة تمر بسأم الساعة الكبيرة تدق الثالثة موعد الانطلاق ، انطلاقه من الزنزانة ، الزنزانة التي يشاركه فيها آخرون ، آخرون ينطلقون .

— آه ! كأننا عبيد ، مجرد عبيد ، عبيد يترقبون الانطلاق . ولكن ، انطلاق ، وعاد شيء يدور في اعماقه . — انطلاق ؟ أحقيقة هناك انطلاق ! انطلاق ! ها ، هه ! ها نحن عبيد ، عبيد يتحكم في مصيرنا الزمن . الزمن ، المارد الذي لا عمر له .

— عبيد ؛ وتهمس بصوتها الخشن ، والدخان الكثيف يلف وجهها وعينيها الباردتين . — عبيد ، وعيناها الباردتان يتحرك فيها شيء دافئ .

— اوف ! سكران ! — سكران ؟ تفو ! ألسنا عبيداً ؟ عبيد هو ، وهي ، والآخرون ، والزنزانة السوداء ، زنزانة الزمن ، تقتنص اعمارهم يوماً بعد يوم . آه ، آه ، كأن حياته مجرد خيوط خيوط عنكبوت ، يظل ينسجها لعله ، ماذا ؟ يرتفع ، يرتفع الى اين ؟ اين ؛ حيث تسطع الشمس . ثم تهدر الرياح فتتمزق خيوط العنكبوت ، والشمس ، وحياته . آه ! المستنقع ، المستنقع . بقايا المطر تتراكم بركاً زرقاء داكنة ، والوحل الأدكن يلوح في كل مكان وحل ، مرآة حياتي ، الصورة الموحلة لحياتنا .

حياتنا ، الايام التي تمضي واهنة ، قاحلة من المعاني ، المعاني التي تملأ حياة الناس الآخرين . الغرفة المعتمة ، الكتب تتناثر على المنضدة ، والحيرة الفظيعة ، والفراغ والتفاهة .

ويرمي بنفسه على الفراش ، وفي رأسه اشياء تدور ، وعاصفة من الضجر تملأ نفسه غثياناً . يوم من عمره ، من حياته قد مضى ، مضى . اوه ! مضى بلا معنى ، بلا معنى ، كغيره من الايام التي مضت بلا معان . كيف كان يومه ؟ يومه كيف يكون ؟ يكون كالايام ، الايام الاخرى المتشابهة التي ماتت . تختنقه الغرفة في دائرته ، تواجهه الوجوه المألوفة كل يوم ، الموظفون الآخرون والدواليب الحديد ، والسجلات القديمة ، والمراجعون . ثم ماذا ؟ جيرانه سكان الغرف الاخرى ، والساعة الضخمة التي تعلن مرور الزمن بدقاتها العالية . الزمن يمر بهم ليسرق من عمرهم ساعة بعد اخرى . ثم ماذا ؟ لا نزال نعيش .

نعيش وكفى ؟ ! همس في اعماقه ، والظلمة تغرق كل شيء ، والأشعة الباهتة ، ورذاذ الشمس الآفلة ، ترف في كلل على زجاج النافذة . وتثاءب في ملل واشياء تدور في رأسه ، وهي لا تزال بجانبه ، عيناها الباردتان ، ووجهها يأكله الشحوب . ـ آه ! آه ! كأنها بلا روح ! بلا روح . اوه ! لماذا جئنا ؟ اجئنا نتعذب ؟ نتعذب . وعيناه تحملقان في لا شيء .

ـ نتعذب ؛ وصوتها الخشن ، وعيناها الباردتان ، والشيء الدافيء يومض .

ـ نتعذب ؛ والضجة التي لا تنتهي تطرق اذنيه من وراء الجدران ، وانفاسها ورائحة الدخان تزداد اقتراباً منه ، والصمت يثقل على نفسه ويثير أعصابه ، وفي عينيه وميض غامض لا يهدأ .

ـ تكلمي ! ـ اتكلم ! ماذا ؟ ـ اي شيء ، اي شيء ، مجرد ان تحركي شفتيك ، مجرد لغوة .

ـ لغوة ؛ واغتصبت ضحكة جافة ، وحدقت فيه بعينيها الباردتين والشيء الدافيء يطفو على حدقتيها ، وانفاسها ورائحة الدخان .

ـ اي شيء ؟ ـ هل تحبين ؟ ونفث دخان سيجارته ، وهي تجيبه ونظراتها تتبعثر على لا شيء .

ـ احب ؛ وضحكت ضحكتها الخشنة ، ورآها تشير الى جنبها الأيسر .

ـ احب ؛ هنا شيء مات ، مات ! نصف هذا الصدر ، هذا الجانب الايسر ، أحسه بارداً ، بارداً كالموت ! انا نصفي ميت !

ـ نصفك ميت ؟ وحملق فيها بغرابة . وجهها الاصفر ، عيناها الباردتان ، شفتاها اليابستان .

ـ ها أنت تراني احمل الموت وبقايا الحياة !

ـ الموت وبقايا الحياة ؛ ولكنك ميتة ، ميتة ، ميتة كلياً منذ زمن !

ورآها تنظر اليه بعينين باردتين ، وعادت تنظر الى لاشيء

ـ تسمح لي لحظة ؛ وخرجت وفي رأسه اشياء تدور .

ـ ميتة ؛ ميتة ، وشيء ينبش في اعماقه . ـ ميتة ؛ وأنا ، انا ؟ وفي رأسه خيال مقبرة .

ـ اوه ! اعوام طويلة ، ثلاثون عاماً ، شاخت واحتضرت ودفنها . ومرت ، مرت ، لم يحس بها ، ولم يحتفل بدفنها ، كأنها ليست منه ، من عمره ، من حياته ، ومضت بلا دموع ، بلا عويل .

وتناول علبة سجايره وأشعل واحدة ، وتأمل الدخان الذي يتلوى ويتطاول ويضمحل .

ـ الدخان ، يضمحل . هذا انا ، ناسج الخيوط ، خيوط العنكبوت ، والشمس ، وحياته ، المستنقع ، والريح . آه ! وتتبعثر خيوط العنكبوت . وتصفق الباب وثدياها يتراقصان ووجهها يأكله الشحوب . ـ لماذا يأسف على اليوم الذي مات . لماذا يأسف ؟ كل ايامه تموت ، وتموت معها مشاعره ، عواطفه ، كل ايامه تموت وتمر ، تمر . ايام تمر رتيبة ، متشابهة باهتة ليس فيها مسرة ولا راحة . آه ! عمر ضايع ، إنه يحس بضياعه . والصخب يأتيه من وراء الجدران . وهي وعيناها الباردتان .

ـ تكلمي ! ـ اتكلم ؟ وابتسامة باهتة تلون شفتيها الرفيعتين .

ـ اي شيء ؟ ! مجرد كلام ! عن حياتك !

ـ حياتي ، وبصقت بامتعاض . ـ مجرد ايام ! مجرد ايام . وحملق فيها ، وعاد الاحساس بالضياع يدور في نفسه ، وهي تضطجع على الفراش ، وتبعثر نظراتها على سقف الغرفة ، والدخان يتلوى ويتطاول ويضمحل ، وهو والاشياء تدور في رأسه .

ـ مجرد ايام ؛ وفي داخله شيء ما ينوح ، ينوح !

وهي وعيناها الباردتان ، والشيء الدافيء الذي يطفو ويغور وحياته ، وحياتها ، وحياة الآخرين ، والأيام التي تموت ، تموت بلا حس ، بلا ضجة !

ـ غريب ، غريب ! كأن هذه الايام ليست من عمره ، من نفسه ، تتبعثر بشكل رتيب ، متشابه ، باهت ، تتبعثر والشمس تسطع ، وهو ينسج من أيامه ، من عمره ، نسيجاً

في الابداع الفني

بقلم محمود السمره

ليسانس في الآداب من جامعة القاهرة

°°°

كثيراً ما نتساءل : كيف يكون الفنان اثناء الابداع الفني* ؟ وما هي الدوافع التي تجعل من ذاك شاعراً ومن غيره قصّاصاً؟ ولمن يبدع فنه؟ وما مهمة الفنان في المجتمع؟ وما قيمة الفن لنا كأناس يعيشون في هذا المجتمع ؟ وغير هذا من الاسئلة الكثيرة. واريد هنا ان أبحث في ماهية الفن عند ثلاثة من الفنانين الموهوبين هم: تولستوي القصصي، ووردسورث الشاعر ، وماتيس الرسام .

ونبدأ بتعريف تولستوي المشهور عن طبيعة الفن والذي يقول فيه : « يمر الفنان بتجربة تثير في نفسه شعوراً معيناً ، ثم يعبر عن هذا الشعور إما بالحركات او الاصوات او الالوان او الاوزان او الكلمات ... فالفن نشاط انساني وجداني يعبر عنه الفنان تعبيراً واعياً بوسائل خارجية ، وهو بهذا يوصل احاسيسه التي عاشها وجربها الى القارىء الذي يتأثر بها بدوره ، فيحس باحساسه » .

وهذه النظرية ، حتى في الطريقة التي عبر بها تولستوي، قريبة جداً من نظرية وردسورث في الشعر التي يقول فيها : « يصدر الشعر عن الانفعال العاطفي المستعاد في حالة الهدوء. فالانفعال يستعاد في حالة الهدوء ، حتى تختفي هذه الحالة تدريجياً ، ويحل مكانها انفعال واع هو الانفعال المبدع الخالق ، الذي يوصل به الفنان أحاسيسه الى القارىء » .

من هذا نرى ان نظرية تولستوي في الفن عامة تشبه نظرية وردسورث في الشعر في ان كليهما يصران على ان الفن هو عملية توصيل الأحاسيس الى القارىء .

وقد وصف وردسورث الشاعر فقال: « إنه انسان يتحدث الى اخوانه في الانسانية فيسمع صدى كلامه في نفوسهم » . وهو رأي تولستوي ايضاً في الفنان الكامل .

وقبل ان اعرض لهذه النظرية بالنقد والتحليل احب ان اذكر نظرية «ماتيس» في الابداع الفني؛ وليست آراء الفنانين في الفن هي الآراء الفاصلة ، اذ كثيراً ما اثبت النقاد انهم اقدر على تقويم الفنون من الفنانين انفسهم، ذلك لأن الفنانين يصعب عليهم ان يجردوا انفسهم بحيث يصفون حالاتهم النفسية اثناء الابداع الفني . ولكن الفنانين المحدثين استطاعوا التغلب على هذه الحالة ، ولعل اضطرارهم الى الدفاع عن انفسهم ضد من يهاجمونهم، هو الذي حدا بهم الى دراسة أنفسهم دراسة موضوعية كما فعل الكاتب الانجليزي المعاصر ت. س. إليوت.

وهذا ماتيس يتحدث عن فنه فيقول: « إن الفن الذي أحلم به هو فن فيه الطهر والصفاء ، خال من الموضوعات المزعجة او المثيرة ... فن اذا نظر اليه رجل الفكر والاعمال شعر بزعجاته تتلاشى ويحل محلها الرضا والصفاء ؛ فن يستريح اليه الانسان ، كما يستريح المتعب عندما يلقي بجسده في كرسي مريح ». ولم يحد ماتيس عن رأيه هذا في جميع رسومه .

وفي سنه ١٩٠٨ نشر ماتيس في مجلة فرنسية مقالاً عن ماهية

* المصدر الاول لهذا البحث هو كتاب The Meaning of Art - by Herbert Read ثم كتاب Famous French Painters-by Herman J. Wechsler

---

كخيوط العنكبوت ، وحياته ، والمستنقع ، والريح تمزق الخيوط ، ويعود العنكبوت الى المستنقع لينسج خيوطه باصرار من جديد ، وهي وعيناها الباردتان، ونظراتها تتناثر على لاشيء.

ـ ماذا ؟ صامتة .ـ ماذا اعمل؟ أحس اني بدأت يوماً جديداً

ـ يوم جديد ، واليوم الذي مات ؛ غريب ! مات ولم يحس به وجاء ولم يحس به . هاه ! يوم جديد ؛ غريب .

ـ غريب ؛ تلك هي حياتنا !

ـ حياتنا ؛ والشمس ، والمستنقع ، والعنكبوت ينسج خيوطه بلا كلل ، والريح تمزقها بلا عناء . ويعود العنكبوت الى المستنقع لينسج من جديد ، والشمس ما زالت تسطع . آه ! المستنقع !

وعاد يحس بالدوار ، والثقل الفظيع ، والتعب ، وعيناها الباردتان تحملقان في سقف الغرفة .

ـ ما زلت ساهرة : ـ ماذا أعمل ؟ شغلي ؛ يأتي النهار ثم يأتي الليل ! وايامي تضيع !

ـ الايام تضيع ؛ واضطجع على الفراش ، واطفأ النور . واشياء تدور في رأسه .

بغداد — محمد روزنامجي

الفن ، ومما جاء في هذا المقال قوله : « التعبير – في رأيي – لا يكون بالعاطفة البادية في وجه الصورة المرسومة ، بل في الصورة ككل ، فكل ما في الصورة يقوم بدور مستقل ، وكلها معاً تكوّن ما يسمى بالتعبير . وأحسن انواع التعبير ما كانت فيه جميع اجزاء الصورة – سواء كانت اساسية او ثانوية – موضوعة في اماكنها اللائقة بها ، والجزء الذي يكون في غير مكانه يسيء الى المجموع ، لأن الفن يتطلب انسجاماً بين جميع الاجزاء » .

ثم يصف ماتيس طريقته في الرسم فيقول : « اذا اردت ان ارسم فكرة فان اول شيء الاحظه هو ان يكون الانسجام تاماً بين الألوان التي اختارها ، بحيث ان كل لون منها يقلل من بروز الالوان الأخرى . فانا أراعي اذن الا يطغى احدهما على الالوان الأخرى . ولتحقيق هذا الغرض لا بد من أن اراعي في الفكرة التي اريد رسمها ان تكون الالوان مجتمعة معبرة عما اريد ، حتى ان ادنى زيادة او تخفيف في احد الالوان ، يفسد الفكرة او يبطلها . وغرضي من كل هذا ان اجعل المشاهد يحس عند مشاهدة الرسم بالتجربة الشعورية التي مررت بها كفنان » .

مما سبق نلاحظ شبهاً كبيراً بين تولستوي وماتيس . ونستطيع ان نحصر الفرق بينهما في كلمة (التوصيل) . فتولستوي يرى ان الفنان لا يكفيه ان يعبر تعبيراً صادقاً جميلاً عن عواطفه بل عليه ايضاً ان يحسن توصيل هذه العواطف .

وهذه النظرية قادت تولستوي الى كثير من المشاكل والاخطاء ، فاذا قلنا معه ان على الفنان ان يحسن توصيل عواطفه فاننا نتساءل : لمن عليه ان يحسن توصيل عواطفه ؟ والجواب على هذا : الى كل قارىء ، كما يرى تولستوي . وعلى هذا يكون الفن – حسب تعريفه – شيئاً بسيطاً ساذجاً ، بحيث ان ابسط قارىء او شاهد يستطيع تذوقه . وطبقاً لنظريته علينا ان نهمل فن يوريبيديس ودانتي وتاسو وملتون وشكسبير وباخ وبيتهوفن وجيته وإبسن الخ ... او على الاصح علينا ان نهمل كل فن عدا القصص الشعبية والاناشيد وما شابهها .

إن النظرية يجب ان تكون دقيقة بحيث لا يكون فيها فجوة او مغمز . ويرى « هربرت ريد » اننا بأدخالنا تعديلاً بسيطاً على نظرية تولستوي تصبح متفقة مع نظرية « ماتيس » ومع ما هو واقع وصحيح . وهذا التغيير الذي يقترحه « ريد » هو ان نقول ان هدف الفن ليس توصيل الشعور بحيث يستطيع الاحساس به والمشاركة فيه كل قارىء ؛ بل ان هدفه التعبير عن الشعور ونقل الفهم او الادراك ، وهذا هو رأي قدماء الأغريق ، وهذا هو ايضاً ما عناه ارسطو عندما قال ان هدف الدراما ان تطهر العواطف .

صحيح ان العمل الفني يثير فينا رد فعل معين كأن نحس مثلاً بالانسجام والوحدة والنغم ، وكل هذه الامور تؤثر في اعصابنا ، ولكنها لا تثيرها بقدر ما تهدئها . واذا كان لا بد لنا من ان نسمي رد الفعل هذا انفعالاً – من الوجهة النفسية – الا انه انفعال مختلف تمام الاختلاف عن الانفعال الذي مر به وعبر عنه الفنان . إن من الافضل ان نشبه هذا الانفعال بانفعال الذي يدرك حقيقة كانت غائبة عنه .

اما العلاقة بين الفنان ومجتمعه ، فلا احد يستطيع ان ينكر الاتصال الوثيق بينهما . فالفنان يستقي انفعالاته على اختلاف صورها من المجتمع الذي هو عضو فيه . ولكن الميزة التي تميز الفنان الملهم عن غيره هي الارادة الخالقة التي هي انعكاس لشخصية الفنان ، ولا يمكن ان يكون الفن فناً ذا قيمة الا اذا توفرت فيه هذه الصفة .

وقد يتراءى هذا مناقضاً لما اسلفنا ذكره ، فان لم يكن الفن كله نتاج الظروف والمؤثرات البيئية ، بل تعبيراً عن نفسية المتفنن ، اذن كيف نستطيع ان نفسر الشبه الكبير بين بعض الفنون رغم نشوئها في ازمنة تاريخية متباعدة ومختلفة ؟

ان هذا الذي يتراءى لنا تناقضاً يمكن تفسيره عقلياً بأن القيم الاساسية للفن تسمو على الفرد وعصره وظروفه لانها تعبر عن تناسق مثالي لا يستطيع الفنان ان يصل اليه الا بما اوهبه من قوى وجدانية . وعندما يعبر عن هذه القوى الوجدانية لا بد له من ان يستعمل وسائل التعبير التي في متناول يده ، والتي تتوفر في عصره وبيئته : ولذا كان في احد عصور التاريخ ينقش على جدران كهفه ، وفي عصور اخرى يزخرف جدران الهياكل والكتدرائيات ، وفي غيرها يرسم على قطعة من القماش .

والفنان الحق لا يكترث للمواد او الظروف المفروضة عليه فرضاً ، فهو يقبل كل مادة يمكن ان تساعده في التعبير عن فنه . وتقلبات التاريخ المتلاحقة ، وان نالت هذه المواد حذفاً واختياراً ، الا انها لا تستطيع ان تؤثر في القيم التي عبر عنها الفنان ؛ لأن هذه القيم هي من تلك الملكات الانسانية الخالدة التي لا ينال منها الزمن .

الكويت

محمود السمره

بائعة الزهور

*

ما تصنعين ؟
سمراء ماذا تصنعين ؟
تتحسسين الشارع الممتد بالنظر الوهين
من عشك «الخوصي» من خلل الثقوب تراقبين
وتتابعين خطى الجموع العابرين تتابعين ..
والقلب يختلج حزين .
وتنقلين الزهر مزدهر الرواء من الشمال الى اليمين
وتبعثرين الماء حول الباقة الحمراء في رفق ولين
وتنسقين
والقلب يختلج حزين !
زهراتك الحيرى تقلبها عيون العابرين
والنسوة المتناثرات هنا ، هنالك والبنين
كم يشترين
ويزرن هاتيك المقابر في حنين ...
خلف الجنائز في الثياب السود والركب الحزين
يحملن باقات الزهور مولولات في جنون
ورؤى كأشباح الظلام تطل فاغرة العيون
ما تسمعين ؟ ،
ملء المكان . وملء آفاق المساء .. صدى أنين
صلوات نُسّاك يعيد رجيعها الجبلُ الرزين
ويقود آلاف الجموع من المقابر مجهدين
وعلى وجوههمُ الكئيبة صفرة الهم الدفين
فتراقبين ..
تلك الحشود اللاهثات تسير في صمت حزين
وتغادرين

... عند المساء تغادرين
وتلملمين سلالك المتناثرات تلملمين ..
والافق تزحمه الطيوف السود والشفق الحزين
والطير اسراباً تعود مغردات للوكون ،
وهناك في كوخ لصيق بالثرى . هرم . زمين !
وكُواه لفّعها الدخانُ كأنها قبوٌ دفين
كانت أماسيك الحزانى ينقضين فتذبلين
وتمر أيام الحياة كحشرجات الجائعين ..
ولوالب الزمن العنيد تدق في كهف السنين
..عرجاء ، مثل خطا البغايا في متاهات الدجون
كم تحجبين ...
لفح الجراحات العميقة والشجون
في بسمة ، قلبية الاشراق ، ساذجة ، حنون
كم تبسمين
وبصدرك المحموم أمنية تموت بلا معين
وتتابعين رواية المأساة شاحبة الجبين
وتواجهين سحابة الآمال دكناء الحواشي والمتون
وتمر أيام الحياة كحشرجات الجائعين
لكنما الغد في ضمير الليل يا سمراء يكبر كالجنين
وغدا تهون
تلك الصعاب غدا تهون
ويطل فجر الكادحين ، يطل من خلف الدجون
ويشق جدران السجون
وتعود أفراح الحياة ، تعود مورقة الغصون

القاهرة — **محيي الدين فارس**
من اسرة الفن الحديث بالسودان

بقلم العلامة السوفييتي بوكروفسكي ، وقد اوضح فيه الاثار التي يحدثها انفجار اربعة انواع مختلفة من القنابل الذرية والهيدروجينية على الانسان والحيوان والنبات .

وقال العلامة السوفييتي في بحثه « النتائج التي شوهدت من تفجير القنابل الذرية والقنابل الهيدروجينية تحت الماء كانت خطيرة في ذاتها ، والعمل التلقائي الذي نجم عن هذه الحالة هو تكوين موجة من الماء ذات ضغط بالغ القوة ، لها سرعة تفوق بمراحل سرعة وضغط اي موجة هواء نظيرة لها ، وان اعظم ضغط يتركز في المقدمة وان عناصر ملوثة بانواع الاشعاعات تنقذف من البحار ومن الارض الى الهواء » .

واضاف العلامة السوفييتي الى ذلك قوله:

واي انفجار هيدروجيني يحدث تحت الماء يكون على اشده ، اذا كان على عمق عدة مئات من الامتار ، وعلى شريطة ان يكون على بعد بضعة امتار من القاع ، ويكون الخطر افظع واقوى ان حدث الانفجار في « احواض » ماء بعيدة الغور ، كالبحار التي تكاد تكون المياه فيها منحصرة بين شواطىء متقاربة .

ثم قال الكاتب : ان اثار التفجيرات الذرية تظهر في موجات متولدة عن الضغط القوي ، كما تظهر في اشعاعات خفيفة وفي اشعاعات ذرية اخرى تظهر في اي مكان من العالم حين تنفجر مثل هذه القنابل .

وقال : ان تفجير القنابل الذرية على بعد عدة مئات الاقدام من سطح الارض وتفجيرها على بعد قليل من سطح الارض يحدثان موجات هوائية عنيفة متولدة عن الضغط القوي ، تقرب في سرعتها من سرعة الصوت ، وان مفعول الضغط الهوائي يشبه فعل العواصف العاتية ويصدع المباني وانها تولد ضغطاً يقدر وزنه بنحو خمسة اطنان على المتر المربع ويقوض الابنية . واذا كان وزنه ٢٠ طناً على المتر المربع فانه يقتل الادميين على ان الناس يستطيعون ان يقاوموا ضغط هواء يقدر وزنه بنحو طنين اثنين على المتر المربع ولا يكون له نتائج خطيرة على حياتهم .

الموجات الصوتية وطرق الاستفادة منها

منذ بضع سنوات ، شرع بعض العلماء في الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا في اجراء التجارب لإستغلال الموجات الصوتية في مختلف الاغراض الصناعية والطبية ، فامكنهم تحقيق كثير من النتائج الباهرة في هذا الميدان ، واكتشاف مصدر جديد للقوى .

وفي مقدمة الاختراعات التي امكن الاستعانة فيها بالموجات الصوتية ، ذلك الجهاز الذي انتجته احدى الشركات الامريكية والذي يمكنه ان يخترق الاشياء المصنوعة من الصلب والحديد ليكشف ما بها من عيوب غير مرئية او ملموسة وتستخدم المصانع الكبرى وشركات سكك الحديد اليوم هذا الجهاز للكشف عن الخلل الذي قد يوجد في القضبان والاعمدة المصنوعة من الصلب والذي يتطلب الكشف عنها وقتاً طويلاً بغير هذا الجهاز فضلاً عن عدم دقة النتائج التي يمكن الحصول عليها .

ويستخدم الاطباء في المستشفيات الامريكية اجهزة اخرى مماثلة ، تعمل هي الاخرى بطريق الموجات الصوتية ، للكشف عن بعض الامراض الموجودة في الاجسام البشرية ، فقد تبين ان بعض الموجات تخترق الانسجة الرقيقة في الجسم دون ان تسبب لها اي ضرر ، ثم يرتد صداها اذا ما اصطدمت ببعض الاورام او حصوة في المرارة او الكلي او شظية من قنبلة .

وقد امكن استخدام الموجات الصوتية في عمليات تفتيت الحصى في المرارة ؛ وفي ازالة الاورام التي تظهر في المخ ، وعلاج مرض التهاب المفاصل وبعض حالات السرطان وغيرها من الامراض الاخرى .

وظهرت اخيراً في الاسواق الامريكية والالمانية آلات تقوم بغسل الملابس بطريقة الموجات الصوتية التي تزيل الاقذار في دقائق قليلة دون الاستعانة بالصابون او غيره من المواد وهي اجهزة ارخص كثيراً من الغسالات الكهربائية العادية الشائعة الاستعمال الآن .

وانتجت احدى الشركات الاخرى الة لمزج المواد الكيمائية والمستحضرات الطبية بطريقة الموجات الصوتية العالية ، وهي تقوم بخلط عناصر هذه المواد بدقة يستحيل على امهر كيميائي ان يقوم بها ، كما تستطيع هذه الآلات لحام بعض المعادن التي كان من المتعذر لحمها معاً من قبل .

واستطاع احد اساتذة جامعة كاليفورنيا ان يستخدم الموجات الصوتية في حفظ الخضر والفاكهة عدة سنوات بعد حفظها في العلب ، كما امكن استخدام هذه الموجات نفسها في طهي الطعام وفتح ابواب الحظائر بطريقة آلية بمجرد اقتراب السيارات منها .

ونجح الدكتور رايموند ولاس بجامعة كونيكت الامريكية في جعل بذور النباتات تنمو في نصف الوقت المعتاد لنموها ، وذلك بعد تعريضها للموجات الصوتية فترة معينة من الوقت !..

في كلمات ...

● استنبط معهد كاليفورنيا لابحاث السرطان طريقة بسيطة وزهيدة التكاليف نسبياً لفحص الدم تعتبر الاولى التي تمكن من اكتشاف السرطان في اطواره الاولى بسرعة. وقد اجريت التجارب في ١٠٠٠٠ شخص فثبت ان الفحص دقيق بنسبة ٩٠ بالمئة . ووصفت الطريقة الجديدة بانها تمكن من اكتشاف السرطان والتمييز بين الأدرنة الخبيثة والعادية ومعرفة مقدار استجابة السرطان للمعالجة ويجري الفحص باضافة محلول من المواد الكيماوية المتبلورة الى عينة من الدم فاذا بقي المزيج بشكل مستحلب يعتبر الفحص سلبياً ، واما اذا ظهرت جزئيات صغيرة واصبح المحلول صافياً فيعتبر الفحص عندئذ ايجابياً .

● قال الدكتور ايفارتز جراهام ، احد كبار الاخصائيين في مرض السرطان واستاذ الجراحة في جامعة وشنطن ، في خطاب القاه في مؤتمر الجراحين بلندن ، ان كل انواع الدراسات والابحاث التي اجريت حتى الآن قد اثبتت ان هناك صلة وثيقة بين الافراط في التدخين والاصابة بسرطان الرئة.

وقال الدكتور جراهام انه بينما كان يقوم بابحاث عن تأثير تدخين السجائر على الرئة ، كانت هناك ابحاث اخرى تجري في بريطانيا عن هذا الموضوع.

وقد كانت النتائج التي امكن الوصول اليها في البلدين متشابهة الى درجة تثير الدهشة .

واضاف قائلاً ان من يفرط في التدخين قد لا يصاب بسرطان الرئة قبل مضي فترة طويلة تتراوح بين عشرين وثلاثين سنة !

● وصرح الدكتور ريتشارد افرهولت اخصائي امراض الصدر في مدينة اتلانتيك سيتي ، بانه اذا كان ولا بد من التدخين فهو ينصح بعدم ادخال دخان السجائر الى داخل الرئة .

● كتب الدكتور الدنمركي جوهانس كليميسن رئيس لجنة السرطان الفرعية بمنظمة الصحة العالمية يقول في تقرير بعنوان : « سرطان الرئة هو احد الاوبئة العالمية » بان احدى كوارث تاريخ الطب الكبرى بدأت تشعر بعواقبها في العالم اجمع وان الخطر الحقيقي لهذا الداء سيكون واضحاً للجميع بعد ١٠ او ٢٠ سنة .

واوصى الطبيب الدنمركي بعد ذلك سلطات جميع البلدان بمنع السكاير التي لا مصفاة في طرفها وذلك لمحاولة تخفيض عدد وفيات سرطان الرئة ، هذه الوفيات التي ستزداد على مر الوقت. وقد اوصى

ايضاً بتربية النشء الجديد بشكل يصونــه من اعتياد الافراط في التدخين كما يفعل الجيل الحالي – واكد كايبيسن في تقريره ان الابحاث التي جرت حتى الان دلت على ان تعاطي التبغ يساعد على انتشار سرطان الرئة .

● صرح السيد روبرت اوديل في مؤتمر نقابة المهندسين في فرجينيا ان استخدام جهاز «بيترون» الذي تبلغ قوته ٢٤ مليون فولت في معالجة اشعة اكس قد جلب املاً جديداً لضحايا داء السرطان وقال ان الاشعة بواسطة هذا الجهاز تدخل الى الاماكن الداخلية المصابة وتطهرها بينما الاجهزة التي تعمل بواسطة الاشعة الخفيفة لا تتمكن من ادخال الاشعة الى الخلايا الداخلية العميقة في الجسم.

● كانت كندا الاولى في معالجـة السرطان بالاشعة الذرية . وقد وصلت الى نتائج عظيمة الأثر بهذه المعالجة .

وطريقة المعالجة ان توضع انبوبة صغيرة مصنوعة من معدن الكوبالت فوق كومة العناصر المشعة وهي لا تزال مخلوطة بمواد اخرى. وتترك الانبوبة شهرين او ثلاثة شهور. وعندئذ يكون الكوبالت قد نفذت اليه ذرات واجزاء ذرات من الكومة فتشبع بها وتصير مشعة .

والانبوبة لا تزيد في الطول ، وكذلك في السعة على ١٢ مليمتراً فاذا تشبعت بالذرات المشعة حفظت في صندوق من الرصاص يبلغ سمك جدرانه ٣٠ سنتيمتراً حتى تحبس الاشعة في الانبوبة .

ووقت المعالجة تخرج الانبوبة من صندوقها وتوضع فوق الورم السرطاني بعد ان يفصل بينها وبين الجلد بالسلوفون وتترك نحو شهرين فيبرأ السرطان

● جهزت لجنة الطاقة الذرية الاميركية للاستعمال الطبي ثلاث نظائر اشعاعية جديدة من منتجات الطاقة الذرية السلمية وهي الزرنيـخ الاشعاعي والجرمانيوم الاشعاعي والثوليوم الاشعاعي .

ويقول رجال الابحاث في مستشفى مساشوستس العام بمدينة بوسطن ان للزرنيخ الاشعاعي قيمة عظيمة في تعيين مكان السرطانات الدماغية . وعند حقنه في مجرى الدم يتركز في الانسجة السرطانية وتركيزه في السرطان يجعل من السهل تعيين مكان الانسجة المصابة بواسطة ادوات خاصة بالاكتشاف.

وتحقن الابر المحتوية على الجرمانيــوم الاشعاعي في السرطانات فيساعد الاشعاع الذي ينبعث من الجرمانيوم على خفض او ازالة نمو هذه السرطانات .

وتدل الابحاث على ان الثوليوم الاشعاعي له مزايا تجعله ذا قيمة كمصدر للاشعاع بالامكان استعماله في اجهزة متنقلة لا تحتاج ادارتها الى قــوة كهربائية كما هي الحال في اجهزة الاشعة السينية.

● تسلم السيد اوسكار ثورسيني مندوب اسوج لدى الامم المتحدة اضخم واقوى (ميكرسكوب) الكتروني الى مؤسسة كارولينكا الاسوجيـة لاستخدامه في التنقيب عن السرطان والمساعدة على مكافحة هذا المرض الفتاك .

● اعلن الدكتور جون كوتلر في اتلانتك سيتي بان بعض الاطباء الذي يدرسون السفلس قد اعلنوا ان ٦٠ سجيناً معتقلين في سجن سنغ سنغ ومن المصابين بالسفلس قد تطوعوا ليقوم الاطباء بتجربة بعض الادوية الخاصة عليهم التي يعتقد انها تساعد على الشفاء من هــذا المرض الخبيث . ويقول الطبيب المذكور ان الاشخاص الذين يصابون بهذا المرض ثم يشفون منه بسرعة هم اكثر الناس مقاومة في المستقبل .

● اعلن وزير زراعة مدراس عن جذور عشب يسمى « بامبوكالافر » يستخدم في صنع مصل ضد لدغات الافاعي . فذكر الوزير بان هذا الدواء قد جرب منذ ٢٥ سنة في مستشفى مدراس الحكومي لمعالجـة حالات ضغط الدم المرتفع فكان ذا اثر فعلي الا انه كان يسبب للمريض المعالج به دواراً في بعض الحالات .

● ابتكر مستشفى جامعة جورجتون والمستشفى العام في كولومبيا طريقة لتسجيل نفس المريض اثناء النوم وذلك ليستمع اليه الطبيب ومساعدته على تشخيص المرض بضبط ودقة وبصورة خاصة الامراض الصدرية .

● قال الكابتن اوزدون سيفر مــن سلاح الطيران الاميركي والدكتور روبرت موريف والدكتور جوزيف جيان في جمعية الطب النفساني الاميركية ان هرمون (الت) له القدرة في بعض الاحيان على ازالة الالام العضوية واعراض المرض . وقد يكون هذا الهرمون من العوامل التي تساعد على الشفاء من الامراض الناجمة عن الانفعالات العاطفية ، ومتاعب الحياة .

وهذا الهرمون مستخلص من الغدة النخامية في المخ وله القدرة على زيادة مقاومة الجسم للآثار الناجمة عن الارهاق والانفعالات العاطفية التي تسبب امراضاً كالقرحة والصداع وغير ذلك من الامراض التي ترجع اسبابها الى حالات نفسية .

غير ان هذا الهرمون لا يقضي على الاسباب النفسية ، فالواقع ان بعض الناس تسوء حالتهم باستخدامه ذلك لانهم يعتمدون على الشكوى من امراض عضوية للمضي في حياتهم .

ويروي الاطباء حالة سيدة تشكو من قرحة معوية واضطراب خطير في وظيفة الامعاء ولم يكن ذلك سوى وسيلة للتنفيس ، والاعراب عن غضبها والحاجة الى الشعور بانها موضع عناية وازال الهرمون اعراض الاضطراب المعوي ولكنها اصيبت باضطراب عقلي عولجت منـه بالصدمات الكهربائية ، وهنا عادت الاضطرابات العضوية من جديد .

● استنبط مستحضر جديد من «الايزونيازيد» يرمز اليه قد يكون له ميزات افضل من ميزات المستحضر المماثل الذي استعمل بنجاح خلال السنتين الماضيتين لمكافحة السل . وقد بحث امر العلاج الجديد في اجتماع الجمعية الوطنية الاميركية لمكافحة السل . ويقول الاطباء الذين عالجــوا مرضاهم بال(رو ٢٤٩٦٩) ان الدم يمتص هذا الدواء ببطء اقل من « الايزونيازيد» ولذا فانه يحتفظ به لمدة اطول ولا يسبب التسمم . اما من حيث فائدته فهو لا يقل عن الايزونيازيد .

● اعلنت ادارة المختبرات الاتحادية في نيويورك نبأ اكتشاف مصل جديد لمكافحة داء الكلب ، وقد علم ان جميع الصيدليات ستجهز بهذا المصل في مدة قريبة جـداً .

ومن المعروف ان الدكتور كورفسي هو الذي يشرف على ابحاث هذه المؤسسة ، كما انه اشترك عام ١٩٤٠ بالابحاث التي دارت في البرازيل لمكافحة داء الحمى الصفراء التي انتشرت هناك .

● اعلن مستر لويس بتيكا مدير قسم البكم والعمي التابع لمؤسسة بروكلين الصناعية المكفوفين في المؤتمر السنوي لجمعية العلوم البصرية بنيويورك انه استطاع ان يجعل ١٣١ شخصاً ممن يعدون في حكم العميان ينعمون بحاسة الابصار بفضــل انواع جديدة من العدسات القوية وانه هو نفسه احد هؤلاء الاشخاص .

وقال ان هؤلاء الاشخاص عرضوا انفسهم على الكثيرين من الاطباء ولكن حالتهم كان ميؤوساً منها واخيراً تحققت امالهم في القدرة على رؤية الاشياء والمطالعة بفضـل عدسات ميكروسكوبية وتليسكوبية ومبتكرات اخرى

● يستخدم العلماء آلات غاية في الدقة ، قد لا ترى بالعين المجردة في بحثهم في ثنايا المــخ عن اسباب الامراض العقلية .

ويسعى هؤلاء العلماء الى التحقق مما يعتقده

بعض الاطباء من ان لتكوين المخ من الناحية التشريحية ، تكويناً غير عادي صلة بالامراض العقلية.

ويقول الطبيب المشرف على هذه التجربة انه بعد دراسة خلايا المخ دراسة وافية في شخص سليم وفي اخر بمرض عقلي يمكننا بالمقارنة ان نثبت ان لتكوين خلية المخ صلة بالمرض العقلي .

● اعلن مكتب « ادارة المحاربين القدماء » الاميركي ، عن بديل جديد للدم يحل محل عملية « بلازما» الدم المعروف وذلك لتعويض المرضى المصابين باصابات شديدة الذين يفتقرون لعمليات نقل دم سريعة . وتقول ادارة المحاربين القدماء ان هذا العقار الجديد في حال ثبوت نجاح تجاربه للهيئات الطبية سيكون له اثره البعيد في انقاذ ارواح المصابين بحروق مميتة اونزيف بالغ الخطورة وما اشبه ذلك من حالات اخرى مماثلة .

● اجتمع في جنيف خبراء ١٢ دولة من دول العالم من اعضاء الهيئة الصحية العالمية التابعة للامم المتحدة ، لاعداد تقرير عن المرض المعروف باسم السعال الديكي الذي يصيب الاطفال في مختلف البلاد .

وقد جاء في التقرير ان هذا المرض يعد اخطر الامراض على حياة الاطفال ، ودلت الاحصاءات الرسمية على ان ضحايا السعال الديكي يبلغون ثلاثة اضعاف ضحايا امراض الاطفال الاخرى وفي مقدمتها شلل الاطفال والدفتريا والحصبة والجدري والحمى القرمزية وغيرها .

وقد توفي في اليابان وحدها اكثر من ٤٠ الف طفل في المدة من ١٩٤٧ الى ١٩٥٠ بهذا المرض الذي يعد اكثر الامراض المعدية انتشاراً اذ هو يعدي حتى في المرحلة السابقة على ظهور السعال . وطالبت الهيئة في تقريرها بالتوسع في استخدام الامصال الواقية من السعال الديكي الذي يصيب ٩٠ ٪ من الاطفال في العالم .

● افاد الدكتور هربرت شامبرلين احد اطباء احدى ولايات اواسط غرب الولايات المتحدة بان تلقيح الاطفال بعد دقائق من ولادتهم قد اثبت انه ضمانة فعالة ضد السعال الديكي والدفتريا.

وقال بانه قد لقح بهذه الطريقة ٧١٧ طفلاً منذ عام ١٩٤٨ لم يصب احد منهم بهذه الامراض الخطرة التي تصيب الاطفال عادة بالرغم من اصابة اخوتهم بهذه الامراض في كثير من الحالات وقال ايضاً انه على العكس من ذلك لقد خبر بين عام ١٩٤٣ و ١٩٤٨ اثناء قيامه بواجبه في المناطق القروية ٤٠ اصابة بالسعال الديكي و ١٠ وفيات لاطفال عمرهم دون السنة .

ولا يلقح الاطفال عادة ضد هذه الاحوال الا بعد ان يكونوا قد تجاوزوا الثلاثة اشهر .

● قال طبيبان في الجمعية الكيميائية الاميركية ان استعمال الماء والصابون لا يقتل عادة الجراثيم الضارة ، واذا حدث ذلك فهو صدفة محض .

وقالا ان الدراسات الحديثة اوضحت ان الصابون العادي غير مضاد للجراثيم ، وان اي تأثير فعال للجراثيم يوجد في الصابون ناتج عن وجود مواد حمضية فيه .

● يقول الدكتور هيوبرت هاو رئيس قسم عيادات علم الاعصاب في جامعة كولومبيا سابقاً

ان الاطباء يجب ان يزودوا المدمنين بالمخدرات باسعار رخيصة ، وكان قد عرض هذا الاقتراح في اجتماع الجمعية الطبية لمقاطعة نيويورك .

ويشترط الدكتور هاو السماح لبعض الاطباء ممن يقع الاختيار عليهم بتقديم المخدرات على نطاق ضئيل يكبح شهوة المريض . وقال لا امل هناك في شفاء عدد كبير من المدمنين شفاء تاماً . ولقد جعلتهم القوانين الحالية يولون وجوههم شطر السوق السوداء لشراء حاجتهم منها . ولما كانت الاسعار التي يفرضها مستغلو السوق عالية اضطر المدمنون الى السرقة لكي يجدوا الاموال اللازمة لشراء المخدرات .

● اجرت جمعية طب الاسنان البريطانية في اجتماعها السنوي عرضاً لطريقة جديدة وفق الى ابتداعها قسم طب الاسنان في سلاح الطيران الملكي لايشعر المريض بفضلها بالألم اثناء اجراء الطبيب عمليات حفر الاسنان . وقد وصفت هذه الآلة بانها تدور بحركة ثنائية تأتي بذبذبات ميكانيكية تفوق سرعة الصوت فهي تتحرك ذهاباً وجيئة بمعدل ٢٥ الف مرة في الثانية وهي سرعة لا يستطيع بشر ان يشعر بها او ان يسمع لها صوتاً وبذلك يزول ما كان يشعر به المريض من آلام خلال عملية الحفر .

هذا وللآلة خاصية فائقة للقطع فهي تستطيع النفاذ حول مسطح كافته ١/١٢ من البوصة وقطعه في اي شكل مطلوب .

● جاء في تقرير لمصرف العيون لاعادة البصر في نيويورك ان المصرف تسلم خلال الثماني سنوات التي مرت منذ تأسيسه ٤٠٠٠ عين ارسلت الى جراحين استعملوها لاعادة البصر . وقد قدم العيون هذه اشخاص كانوا على وشك الموت . ويطعم الجراحون المدربون عين الاعمى بقرنية احدى العيون الجيدة . والقرنية هي نافذة العين الشفافة .

ويقول الدكتور تارتلي باتون ، نائب رئيس مصرف العيون ، ان تطعيم العيون كان ناجحاً في ٩٠ ٪ من العمليات .

● ابتكر طبيب في الجيش الاميركي ميزاناً للحرارة (ترمومتر) يعمل بواسطة الالكترونات بدلاً من الزئبق . والميزان الجديد اسرع واضبط من ميزان الزئبق المستخدم حالياً .

● اعلن الدكتور ادوارد كنيلنغر ، رئيس جمعية علماء الحشرات الاميركية ، ان الد.د.ت كان السبب في منع ٥ ملايين وفـاة وشفاء ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ شخص مصاب بمرض خطير منذ ان اكتشف قبل عشرة اعوام . ويستعمل الد.د.ت كمادة رش للقضاء عـلى البعوض الذي يسبب الملاريا .

● تتداول الاسواق الان احد المنتجات السلمية الذرية التي تباع بشكل برشامات وهو « اليود المشع » وقد تم تجهيز هذا الصنف من قبل معامل ادوية ابوت في شيكاغو الينويز ويستعمل لمعالجة خلل الغدة الدرقية .

وقد ادى استعمال اليود المشع في بعض الحالات الى الاستغناء عن العمليات الجراحية كما يفيد العلاج في الذبحة الصدرية ، وهو مرض اليم في القلب ، وفي امراض القلب الاخرى .

وهذه اول مرة تستخدم فيها مادة مشعة «حارة» هي من نتاج القوة الذرية بطريقة سليمة للاطباء والمرضى ويجري التعامل بها بالطرق الاعتيادية .

● اعد الجيش الاميركي مشروعاً لخمس سنوات يقضي باجراء تجارب واسعة لاستخدام الاشعاعات الذرية من اجل حفظ الاغذية .

● صرح احد اساتذة جامعة كولومبيا الامريكية ان استخدام الاشعة الذرية في تعقـيم الاغذية يقضي على كثير من الفيتامينات التي تحتوي عليها هذه الاغذية في نفس الوقت الذي يقضي فيه على الجراثيم الموجودة بها ، وبهذا تفقد هذه الاطعمة جانباً كبيراً من قيمتها الغذائية .

● نجح العلماء في تعقيم اللحوم بواسطة احد المنتجات الفرعية للطاقة الذرية . وتجري العملية بواسطة الكوبلت ٦٠ الذي يرسل اشعة غاما التي تقتل البكتيريا . وباستعمال هذه الطريقة يصبح بالامكان حفظ اللحم تحت التبريد في الاسواق مدة تعادل خمسة اضعاف المدة التي يحتفظ فيهـا اللحم غير المعالج بهذه الطريقة . ويقول علماء مؤسسة معهد اللحوم الاميركية ان اللحم يعقم بوضعه في وعـاء مبطن بالرصاص حيث يعرض لاشعة غاما . وتقدم لجنة الطاقة الذرية الاميركية الكوبلت ٦٠ اللازم لهذه المعالجة .

● نشر ثلاثة من الاطباء تقريراً اوضحوا فيه اثار الاشعاع الذري على الاطفال الذين كانوا في بطون امهاتهم في الوقت الذي القيت فيه القنبلة الذرية الامريكية على نجازاكي في اليابان خلال عام ١٩٤٥ .

وقد عنى الاطباء الثلاثة بفحص وملاحظة ثلاثين من النساء الحوامل ممـن ظهرت عليهن اثار الاشعاع الذري بوضوح .

وولد ثلاثة من الاطفال ناقصي التكوين ومات اربعة على اثر ولادتهم مباشرة ، كما توفي ثلاثة آخرون قبل ان يتموا العام الاول من عمرهم ، اما الطفل الرابع عشر فقد لفظ انفاسه الاخيرة بعد ان اكمل عامين ونصف عام .

وبقي على قيد الحياة ١٦ طفلاً تبين فيما بعد ان اربعة منهم يعانون نقصاً في قواهم العقلية . وقد لاحظ الاطباء ان هؤلاء الاطفال بصفة عامة قد تأخر نموهم اكثر مما ينبغي ، كما انهم كانوا اصغر حجماً ، ومحيط رؤوسهم اقل قليلا من اقرانهم الذين كانت امهاتهم خارج منطقة الاشعاع الذري في نجازاكي .

ودرس الاطباء ايضاً حالة ٦٨ اماً كن يعشن داخل منطقة الاشعاع الذري ولكنهن لم يصبن بشيء وتبين انه لم يولد غير طفل واحد ناقص التكوين ، ولم يولد سوى طفلين ميتين وتوفى بعد ذلك ثلاثة اطفال فقط خلال الشهر الاول. ولم يكن بين الاطفال جميعاً سوى حالة واحدة نقص في القوى العقلية.

وذكر الاطباء الثلاثة في تقريرهم — الذي نشرته الجمعية الامريكية الطبية — انه ليس من السهل التأكد من اثار الاشعـاع الذري نظراً لوجود عوامل اخرى قد تؤثر على الجنين في بطن الام كالجروح الشديدة والحروق والعدوى ببعض الامراض . على انه من الثابت ان الاشعاع الذري كان له تأثير مباشر او غير مباشر على الجنين اثناء فترة الحمل .

● يقول اتحاد اطباء اليابان في رسالة وجهها الى منظمة الصحة العالمية انه من الصعب ايجاد علاج صحيح للمصابين بالاشعاع الذري ويذكر الاتحاد ان هذا القول هو نتيجة التجارب التي قام بهـا العلماء اليابانيون في المصابين بالاشعاع الذري . وتذكر هذه الرسالة ان العلماء اليابانيين نصحوا السكان بعدم شرب المياه التي تكون ملوثة بالاشعاع الذري بكميات كبيرة ، كما انهم نصحوهم بغسل الخضار عدة مرات قبل اكلها .

● تقوم المصانع الاميركية الان بانشاء محرك ذري للطائرات وهي على وشك الانتهاء من صنعه اما المصانع التي تقوم بصنع هذا المحرك فهي مصانع شركة اتحاد الدوني في كاليفورنيا ، كما ان اول قاطرة ذرية هي ايضاً على وشك الانتهاء .

● ابتكرت شركة جنرال الكتريك طريقة لاخذ اشعة اكس بطريقة ارخص واسرع من الطريقة المعروفة ويمكنها بالاضافة الى ذلك ان تأخذ صورة ذات ثلاثة ابعـاد حسب الطريقة الجديدة .

● اعلن السيد دايفيس مدير مصنع الآلات الحاسبة المعروفة باسم جيجر بان بعض الامطار الملونة بالاشعاع الذري قد سقطت على سيدني . ومن المعروف ان هذه الآلات التي تعرف بالآلات الحاسبة تتنبأ بتطورات الاحوال الجوية .

وذكر السيد دافيس ان سقوط الامطار يجعل هذه الآلات تعمل بمعدل مئة حركة في الدقيقة ، الا انها اخذت تعمل بسرعة ٣٠٠ حركة ، الامر الذي يدل على وجود شيء غريب في المياه ، وهذا الشيء لم يكن غير الاشعاع الذري نتيجة التجارب الذرية التي اجريت في الباسيفيك . ومن المعروف ان حادثاً مماثلاً قد وقع في السنة الماضية في استراليا بعد موعد اجراء التجارب الذرية باسبوع .

● إستطاع العلماء البريطانيون في مراكز الابحاث الذرية اختراع آلة فوتوغرافية تستطيع اخذ رسوم للنور وتصويره مع العلم بانه يسير بسرعة هائلة تعتبر ٣٠٠ الف كم في الثانية . وهي تستخدم الان في اخذ رسوم الانفجارات . وهكذا اصبح بالامكان تصوير مجرى التيار الكهربائي ذي الفولتاج العالي عبر خطوطه واسلاكه وتصوير البرق ومرور الضوء وشرارات النور وانتقالاته من نقطة الى اخرى وجميع مظاهر الاضواء والاشعة في الطبيعة .

واصبح باستطاعة العلماء اليوم درس مظاهر النور وخصائصه ومعرفة ميزاته وطبائعه وكشف معمياته وحل الاحاجي والالغاز التي لا تزال تكتنف هذا العلم العظيم واسرار الكهرباء التي لا تزال حتى الان مجهولة مبهمة.

ويدور الجهاز الفوتوغرافي الجديد بسرعة ٢٥٠ الف دورة في الثانية ويلتقط المشاهد التي لا تثبت امام عدسة الجهاز الفوتوغرافي سوى عشر من المليون من الثانية .

● انتجت شركة هايكون للصناعة في بوسطون بامريكا آلة تصوير فوتوغرافي الكترونية هي اسرع الآلات التي استنبطت حتى الان في اخذ الصور ذلك ان باستطاعة هذه الالة ان تأخذ الصورة في عشر المليون من الثانية وان سرعتها لعظيمة جداً بحيث ان باستطاعتها من الوجهة الفوتوغرافية قطع شعاع من النور الى اجزاء منفصلة ، وتسمى هذه الالة (هايكون سايبكرو كميرا) وتجمع بين علمي الفيزياء والالكترونات .

● بمناسبة مرور ١١٠ سنوات على اختراع التلغراف من قبل صموئيل مورس كشفت شركة الاتحاد الغربي التلغرافي النقاب عن آلة جديدة تدعى «انترافاكس» تستطيع ارسال ٥٠٠ كلمة في الدقيقة . والمعروف ان سرعة الجهاز الذي اخترعه مورس لم تكن لتزيد على كلمتين في الدقيقة بينما ينقل الجهاز الحالي صفحة من ٥٠٠ كلمة وينقل الانترافاكس الصفحة كاملة بشكل اوتوماتيكي اذ تدخل الصفحة في الالة ويكبس على زر فتقوم عين كهربائية بقراءة الرسالة وتطبع نسخة طبق الاصل منها في مركز الاستلام .

● اخترع استاذ الفلسفة في كلية مونت اوليوك بالولايات المتحدة آلة جديدة «للتفكير» . بامكانها ان تحل عمليات «منطقية» ، ولا يزيد ثمن هذه الالة عن ١٢٠ دولاراً ، وبامكانها ان تدقق الحجج المعروضة عليها ، وهي لا تستطيع ان تتجاوز في تفكيرها نطاق الانسان الذي نستعملها ولكنها تفكر بصورة مستعجلة .

● قدمت الشركة العالميـة للشؤون التجارية بنيويورك الالة العجيبة الجديدة التي تستطيع ان تحل اصعب القضايا الرياضية في عدة ثوان وتتألف هذه الالة من وحدة حاسبة تستطيع القيام بعشرة ملايين عملية حسابية في الساعة ، وتتصل هـذه الوحدة بعدد من الآلات الصغيرة الاخرى بخيوط رفيعة كهربائية .

● جرى مؤخراً في بوسطن تجربة جهاز يمكنه قياس مسافة تقل عن واحد تريليون من الانش . وهذا الجهاز هو احدث موديل للسبكتروسكوب الذي يقيس عناصر المادة .

● انزل اثنان من قدماء المحاربين الامريكين الى السوق سيارة صغيرة ثمنها ٥٧٥ دولاراً اي ما يعادل ثلث ثمن السيارات الدارجة وتسلم هذه السيارة الجديدة الى المشتري اجزاء غير مركبة والمقول ان تركيبها غير عسير لان اياً كان يستطيع تركيبها اذا كان يعرف كيف يستعمل المفك والملزمة.

واسم السيارة الجديدة «كنغ مدجيب» ويبلغ طولها ٨ اقدام ووزنها ٢٢٥ كيلو غرام وهي تدار بواسطة محرك قوته ثمانية احصنة ونصف الحصان.

● اذاعت وكالة تاس بان علماء الفلك السوفياتيين سيقومون في اول الشهر الحالي برؤية المريخ والقيام بدروس عليه وذلك لان هذا الكوكب سيكون اقرب الى الارض من مسافته الطبيعية بـ ٦٤ مليون كلم .

وسيدرس العلماء حركات بعض الغيوم القليلة والشفافة في سماء المريخ وسيقيسون حرارة الارض فيه وضغطه الجوي كما ان هذه الدروس ستستخدم لتحديد سرعة واتجاه اهوية هذا الكوكب.

● اعلن الدكتور ليز رئيس قسم التنقيب في شركة البترول الايرانية انه في العشرين سنة المقبلة عندما تبلغ قيمة استهلاك البترول في العالم اكثر من ١٤٠٠ طن ستكون نصف هذه الكمية من انتاج الشرق الاوسط وان الاستهلاك الان يبلغ ٦٥٠ مليون طن حيث يبلغ انتـاج الولايات المتحدة اكثر من ٤٩ بالمئة من الانتاج العام ، الا انه في ظرف عشرين عاماً تصبح الولايات المتحدة احدى الدول التي تستورد البترول وذكر الدكتور اخيراً ان مناطق الكويت ستنتج اكثر من خمسين مليون طن في العام في معادلة الانتاج الاتحاد السوفياتي باجمعه .

● وضع علماء شركة ماركوني ومهندسوها جهازاً الكترونياً للتليفزيون المـلون عرضت بواسطته لاول مرة فصول اليوم في لندن على الجمهور ، واصبحت اجهزة التلفزيون اللاقطة تعطي المشاهد الملونة بالالوان البيضاء والسوداء وتعرضها كاملة صحيحة .

ويعتبر هذا النجاح فاتحة عهد جديـد في العلوم التلفزيونية .

● اعلن الدكتور التريد ، وهو عالم فلكي في محاضرة له ان الشمس ستنفجر يوماً وتدمر المجموعة الشمسية كلها ، ولكنه طمأن مستمعيه قائلاً ان هذا لن يحدث قبل الفي مليون عام .

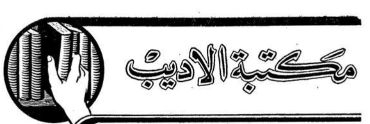
وفسر العالم نظريته قائلاً ان الهيدروجين في الشمس يتحول بالتدريج الى هيليوم كلما تقدم هذا الكوكب في العمر ، فاذا بلغت نسبة الهيليوم ١٢ في المئة اشتدت حرارة الشمس وانفجرت ودمرت جميع الكواكب .

● اعلنت البحرية الاميركية ان صاروخـاً جديداً قد سجل رقماً قياسياً جديداً في الارتفاع اذ انه ارتفع مسافة ١٥٨ ميلاً في الفضاء بسرعة ٤ الاف و٣٠٠ ميل بالساعة .

● اطلق بامريكا بالون ضخم من البلاستيك مملوء بمادة هيليوم للحصول على معلومات هامة تتعلق بالاشعاعات الكوزمية ومدى تأثيرها على الطقس والطيارين . وقد ارتفع البالون ٢٢ ميلا وسجل بذلك رقماً قياسياً لارتفاع البالونات من نوعه .

● صرح علماء منظمة الاونسكو ان تجارب الامطار الاصطناعية في الباكستان ستستمر طوال الصيف القادم .

ويقول هؤلاء العلماء انهم يأملون كثيراً بنجاح هذه التجارب التي تهدف الى تأمين المطر لقسم كبير من الاماكن الجافة في البلاد .



على الطريق

للدكتور فؤاد صروف — ٢٤٤ صفحة — مطبعة قلفاط بيروت

كل منا يسير على الدرب فتنحرف عيناه ذات اليمين وذات اليسار ، تتخطف المرئيات على درجات من التأمل والتدقيق ، بعضها يخطف البصر فيزيغ ، وبعضها تمر عليه العين مراً سريعاً كريماً ، وبعضها يستأثر من السائر بابلغ اهتمام ، فلا يعود يرى الا هذا الشيء .

والناس من حيث ميولها ومنازعها اشكال وصنوف . بعضها يحب ما زها من الوان ذات نصاعة وبريق ، وبعضها يحب ما تحشم من الوان ، والبعض الثالث — وهو خير الناس — لا يستهويه بريق ولا يستوقفه لون محتشم ، بل يستعين بالبصيرة ليرى بها حقائق الامور ويتفرس في جوهرها ، فيستخرج المعاني الخالدات والقيم الباقيات من مظانها ولو اختفت وراء اطباق واطباق من ركام ورماد .

وفؤاد صروف من ذلك الصنف الثالث من الناس . رجل سار على الدرب شأن غيره وتلفت يمنة ويسرة ككثيرين غيره ، فرأى ما رأوا ، ونظر ما نظروا . ولكنه وقف وقفة العالم النافذ النظرات امام ظواهر ومظاهر دقق فيها وانعم ، واستجلى خبرها واجتلى سرها ، وتابعها وركض وراءها ، مجهره في يمينه وكتابه بيساره وذهنه في كد وانكباب ، فعرف كيف يتقصى ما غاب على غيره تقصيه ، واستدر من بطون الايام عبراً لمن شاء ان يعتبر ، واعلى مشاعل لمن رام ان يرفع المشاعل ونشر حكماً لمن تستميله الحكمة ، واستقصر علماً لمن يود رفع راية العلم ، وادباً مجلواً رصيناً لمن نشد الادب في ازهى صوره واجملها ، واضاف الى كل ذلك صفوة ما تواضع عليه الناس من مبادىء خلقية تجعل الحياة حقيقة بان نحياها .

فاذا اجتمعت لفؤاد صروف هذه الثروة النفسية التي التقطها وهو سائر على الدرب ، افرغها في كتاب جديد ليس له صنو ، هو من امتع ما استضافته المكتبة العربية اخيراً ، واسماه « على الطريق » ، ومن سار على هذا الطريق هداه العلم .

هل ينشد العالم سلاماً ورخاء وتعاوناً بين الجماعة البشرية ؟ ان في كتاب فؤاد صروف جواباً شافياً لهذا التساؤل . هل كتب للانسان الفوز في صراعه مع الطبيعة مسخراً قواها في انتاج مزيد من الطعام له ، صادماً بجناحه الفضي متون الجو ، ناقلاً الخطوط والمرسوم آلافاً من الاميال بجهاز جديد ، مستعيناً بالاشعاع في مكافحة ما استعصى من ادواء ، متحكماً في الذرة يقضي بها مطالب الحياة الهدارة الدوارة ؟ إن في كتاب فؤاد صروف حكمة مقطرة تلقى ضوءاً على وفرة من هاته المسائل ، مما لا يقوى على مثله الا من دانت له وسائل المعرفة ، ومن احتمل عناء القراءة اكثر من ربع قرن طولاً وعرضاً ، ومن كابد مشقة التفكير ، وهي اكبر المشاق جميعاً .

يقف فؤاد صروف مع شاعر الهند العظيم رابندرانات طاغور على ربوة شامخة يطل منها على العالم من عل ويلقى عليه نظرة مشارفة مستعلية ، فتتبدى له الحقائق في سفور ، « اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » . فلا ترى صروف الا وقد تصدى لامهات المسائل دون صغرياتها ، يجيل فيها بصيرته وبصره ، ويمسك بيده ميزان حق يزن به القيم الانسانية . فاذا وقع على واحدة منها ، اشار اليها بابهامه قائلاً : « هذا منهاج في الحياة فاتبعوه » .

ولئن حاولنا احصاء آي الحكمة في الكتاب ، فالعجز حليفنا على اليقين ، لان كتاب « على الطريق » صفوة الصفوة وخلاصة الخلاصة وعصارة العصارة .

ولكن يُحسبنا سرد بعض ما احتواه من آراء ، ففيها نضج تفتقت عنه تجربة عمر ، وفيها تلميح الى ما تقدمها من شرح مستفيض .

« ان اعظم التدهور في حياة الناس انما هو ان تتدهور مثلهم العليا » .

« قد نختلف كل يوم على عشرات من مسائل الحكم ، وقد نكتب كل يوم الوفاً من الكلمات في التأييد والمعارضة ، فلا تلبث الايام حتى تطويه ، ولا يبقى سوى ما نعمله من عمل نافع يذكي في نفوس الشباب ايمانهم الصادق بانهم يستطيعون ، وانهم لن يستطيعوا الا اذا اخذوا انفسهم وعقولهم بأدق رياضة وأشدها

على القدرة وعلى الخير » .

« الصلصال بين ايدينا ، ونحن الخزافون ، واكبر جريمة نقترفها هي ان نستهتر وان لا نبالي » .

« خير للانسان ان يبني جسوراً تصله بالناس من ان يبني جدراناً واسواراً من حوله تفصله عنهم » .

« ان المعلّم في عصرنا هو الرجل الذي أُلقي على منكبيه وشاح الهداة والشعراء » .

« نحن الذين يشتغلون بالنشر والكتابة والصحافة جنود في الجيوش لتشن حرب الصحة على المرض ، وحرب العلم على الجهل وحرب الوفر على الفاقة ، وحرب الخير العام على المأرب الضيّق الصغير » .

« فالتعاون على الوفر والخير اجدى كثيراً على جميع الناس من التحارب عليها » .

« عندي ان الاصطدام بكوكب يفتت الارض ويبيد من عليها في لحظة من الزمان ، خير من تناحر لا حد له ، اوحرب ذرية تشن من اجل اشياء ومغانم نيلها بالتعاون اضمن وابقى » .

« الفيلسوف لا يهمه ان تخلد مدينته التي ولد فيها اذا أُتيح لمآتيه ان تُنقل من جيل الى جيل حتى تصبح جزءاً من الارث الانساني العام » .

« كما ربطت الكتابة الاجيال المتعاقبة ، تربط الطباعة الحضارات وتلاقح بينها » .

« عقدة هذا العصر ان في وسع البشر ان يستمتعوا بالحرية بغير ان تنتشر الفوضى ، وفي وسع الحكومة ان تمارس السلطان بغير ان يعم الاستبداد ولكن كيف السبيل الى تطبيق هذا المبدأ على شؤون الناس ؟ » .

« ان الحضارة القائمة على الزهو بالرخاء والقوة تصرف الناس عن الفضائل العريقة وعن معاودة النفس بان هذه الفضائل هي النبع الذي ترتوي منه الحضارة ، فان غاض ذبلت ومشى اليبس في اطرافها » .

« نحن نعيش في عصر قد وحد بين اجزائه ما طُبق من اصول العلوم ، فان لم يستكشف الناس اخلاق الناس وعاداتهم وتقاليدهم واسرار نظمهم الاجتماعية وطرائق تفكيرهم ، عجزوا عن ان يستطلعوا البواعث التي تحملهم على قول مايقولون وعمل ما يعملون ، اي انهم يقصرون عن فهمهم والتفاهم معهم ، وهذه هي الطامة الكبرى في زمن غدت فيه القدرة على التدمير ما غدت .

« أفيستطيع الانسان ، الذي يزداد معرفة على الايام ، ان يزداد حكمة في الانتفاع بها على وجه لا ينتهي الى القضاء عليه؟ » .

« هل جسم الانسان آلة ؟ هل هو معمل كيميائي ؟ هل هو مولد كهربائي ؟ هو كل هذا واكثر منه . فاسرار الحياة والروح والعقل لا يزال معظمها محجوباً عن انظارنا » .

وبعد ان العُجب ليستولي على القارىء وهو يغوص بين دفوف هذا الكتاب ، الذي جاء مساهمة مشكورة في رفعة الانسانية ونصرة الخير والحق وتقدم المعرفة والعلم . وما هذا بغريب من فؤاد صروف الذي تفتحت فيه عبقرية باكرة نفع بها هذا الشرق كله ، بما نشره بالكتاب آناً وبالمجلة العلمية الرشيدة آناً وبالمجلة المختارة آناً وبالصحيفة آناً وبالمذياع آناً ومن اعواد المنابر وقاعات العلم في آونة كثيرة . فقد سبق فؤاد صروف سنّه ، وسبق عصره ، وكان ولا يزال رائداً في تبسيط العلوم وتقديمها لقراء الضاد ، وهو كسب لاي هيئة انتسب اليها لانه حصل في حياته العملية ذخيرة من زاد المعرفة لم يطوها بين جوانحه ، بل بسّطها وبسّطها واشاعها واذاعها غير مترقب الا سكينة تغمر نفسه ورضا يعمر به قلبه ، وما اوفر حظه من سكينة النفس ورضا القلب والضمير .

القاهرة وديع فلسطين

ازمة الفكر العربي

للدكتور اسحاق موسى الحسيني — ١٥٢ صفحة — منشورات دار بيروت للطباعة والنشر

صدر هذا الكتاب في بيروت منذ حوالى ثلاثة اشهر ، ومؤلفه يعالج اولاً موضوع ازمة الفكر العربي ويستطرد في الفصول الاخرى الى بحث العروبة والاراء المتضاربة حول الاستبدال بالحروف العربية حروفاً لاتينية ثم يختتم الكتاب بفصل « تعريب العرب » الذي يرى فيه ضرورة تثقيف سكان البلاد العربية ثقافة موحدة شاملة تزيد شعورهم بقوميتهم وحبهم لبلادهم .

والفصل الاول هو اهم ما في الكتاب من حيث معالجته لأزمة الفكر العربي ، ويبدأه المؤلف بالرد على اولئك الذين يشكون في حقيقة الوجود العربي ثم يتخلص من ذلك الى اثبات ان الوجود العربي يقوم على اسس سليمة . وهو استمرار لوجود سابق راسخ في اعماق التاريخ . وان اكثرية سكان هذه المنطقة

ترجع الى اصول جنسية – او على الاقل لغوية – واحدة او متشابهة . وقد مضى عليها ما يزيد على اربعة عشر قرناً . وهي تتفاعل بالتربة والمناخ واحداث التاريخ ، وقد توحد لسانها وامنت قلوبها وتقاربت عقولها وتشابكت حدودها واختلطت مياهها .

ويرى المؤلف ان مظاهر الازمة عندناهي : الحيرة ، والارتجال ، وفقدان العقلانية ، وفقدان الجرأة والحرية الفكرية وفقد الذات واحترام القديم الى درجة التقديس . ثم يتعرض المؤلف الى اختلاف العرب حول نوع الدولة التي يجب ان تضطلع بالمسؤولية فينادي البعض بالحكومة الدينية ، والبعض ينادي بالحكومة الطائفية والبعض الآخر يدعو للحكومة العلمانية (المدنية) . وهو لا يتردد في تفضيل الحكومة العلمانية ،ويبين ميزاتها واسباب تفضيله على الانواع الاخرى. واهمها ان القومية تترعرع في ظلها ، كما ان « القومية الايجابية تستند الى العدالة التامة بين المواطنين . وتعمل على صهرهم في مجموع واحد، وهي تحتم الاخذ باسباب الحضارة الحديثة والانسجام معها » .

ويتطرق الى بحث الحياة المادية في بلاد العرب فيقول انه لا بد من تحقيق التصنيع واصلاح الريف واستثمار الثروات الطبيعية ، من انسانية ومائية وزراعية وحيوانية ، على اسس علمية حديثة ، لاقامة حياتنا المادية على اساس سليم . ففي بلادنا قوى طبيعية غزيرة كالنفط والماء والمعادن والتربة الخصبة والمناخ المتنوع ، ولا يعوزنا سوى الخبرة الفنية ورأس المال. ثم يقول ان الشركات الاجنبية استفادت من ثرواتنا الطبيعية ولم نعد نحن انفسنا لاستثمارها .

واخيراً يبحث المؤلف موقف العرب من الشرق والغرب ويقول ان ازمتنا السياسية ذات صبغة داخلية وخارجية. « اما الداخلية فلا اخوض فيها الآن » . وعندما يتحدث عن الاخطار الكثيرة المحيقة بكتلة الدول العربية يقول « ويحار المرء في تبرير الجفاء والتدابير الواقعين بين اعضاء هذه الكتلة » .

واود ان اناقش المؤلف الكريم فيما ذهب اليه من انه لا يعوزنا سوى الخبرة الفنية وراس المال ، وهو يعلم دون شك ان الاموال التي تجنيها بعض الاقطار العربية من عوائد النفط وحده تكفي لان تكون رؤوس اموال لاضخم المشاريع التي يمكن القيام بها في البلاد العربية . ولا اغالي اذا قلت ان نصف عوائد النفط في السعودية والعـــراق والكويت ومشيخات الخليج الأخرى – مدة خمسة اعوام فقط – لو انها رصدت للقيام بمشروعات اقتصادية في البلاد العربية ، لرفعت مستوى الشعوب العربية كلها من عدن الى شواطىء المحيط الاطلسي .

ان رأس المال لا ينقصنا . والخبرة الفنية يمكن التوصل اليها خلال عدة اعوام . ولكن الذي ينقصنا حقاً هو ما خشي المؤلف الكريم من التطرق الى بحثه – الازمة الداخلية التي لم يرد ان يخوض فيها – ولا حيرة عندي في تبرير الجفاء بين دول العرب (......) والشعب ما يزال في معظم اقطار العرب كماً مهملاً سائباً يعيش بقوة الاستمرار كما كان يعيش قبل الفي عام.

ثم ان المؤلف الكريم تجنب الخوض بشأن القوى الاستعمارية التي ترهق مجتمعنا بالاغلال وتعمل على ابقائه ضعيفاً متدابراً متقطع الاوصال ، لا رابط بين حكوماته وشعوبه ، وهـذه القوى الاستعمارية التي تتعاون مع المصالح الشخصية لبعض الفئات الحاكمة ، وتخلق بتعاونها هذا ازمتنا الاقتصادية ومعها ازمتنا السياسية ،وعن كليهما تنبثق ازماتنا الاخرى من فكرية واجتماعية.

ويتحدث المؤلف عن العروبة في الفصل الثاني فيحلل هذه الكلمة علمياً وينفي شمولها للعرب عنصرياً ، اذ ان معظم شعوب البلاد العربية لا تستطيع ان تثبت انها من اصول عربية خالصة وينفي شمولها دينياً بسبب ثبوت عروبة كثيرين ممن لا يدينون بالاسلام ، ويخلص الى ايثاره اطلاق صفة العروبة على العرب وغير العرب « ممن وحدتهم اللغة والتاريخ والشعور » ويرى ان العروبة تقوم على ثلاثة اركان لا تتجزأ : عروبة اللسان وعروبة العقل ، وعروبة القلب . ويفصل هذه تفصيلاً منطقياً يغبط عليه.

ويرى المؤلف اننا نسير في ثلاث مراحل (١) مرحلة التحالف بين دول العرب (٢) توحيد ثلاثي : مصري في افريقيا. سعودي في شبه الجزيرة . سوري في بلاد الشرق العروبي (٣) ارتباط هذه الوحدات الثلاث بروابط قوية راسخة حتى نتمكن من القول مع ابي تمام :

فالشام اهلي ، وبغداد الهوى ، وانا بالرقتين ، وبالفسطاط اخواني

اما في الفصل الثالث فيرد المؤلف رداً مفحماً على اولئك الذين يفضلون الكتابة باللهجات العامية بدلاً من الفصحى ، وهو يرى ان تعليم الشعوب العربية يرفع مستوى تفكيرها ، وتبعاً لذلك ترتفع اللغة وتنمحي اللهجات العامية المختلفة رويداً رويداً كما ان المؤلف يوافق دعاة التيسير في علم اللغة .

ويتبسط المؤلف في الفصل الرابع في بحث قضية الحروف

العربية وما يراه البعض من ضرورة الاستبدال بها حروفاً لاتينية، فيأتي بحجج وبراهين علمية ومنطقية يدلل بها على صعوبة، بل استحالة، اللجوء الى الحروف اللاتينية، ويخلص الى ان الاولى بنـــا «ان نصلح الحروف العربية نفسها على نحو لا يطمس معالم اللغة ولا يوري بنهضتهـــا الفتية ولا يورثنا الانحلال والتفرقة».

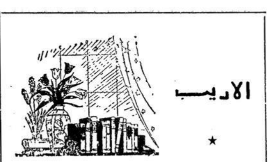
وبهذه المناسبة لا تفوتني الاشارة الى مقال ممتاز جداً ظهر في مجلة الاديب الغراء، عدد نيسان، كتبه الدكتور اديب ابو غزاله، وشرح فيه فكرة الكيان المجرد للاحرف العربية، وتوصل الى ايجاد ٢٨ شكلاً تدل على جميع اشكال الحروف العربية ارخص كثيراً مما هي عليه الآن. وحبذا لو اهتمت الجامعة العربية بدراسة هذه الفكرة دراسة جدية ايجابية واولتها ما تستحق من عناية.

وقد يكون الفصل الخامس من الكتاب بحثاً لغوياً علمياً اكثر من ان يمت بسبب لازمة الفكر العربي، اذ يتحدث فيه المؤلف من اشتقاق الكلمة في لغتنا من جذور اساسية، مما هو معدوم في اللغات الاوربية، ويتطرق ايضاً الى اسس العروض العربي وبحور الشعر.

وننتقل بعد هذا الى الفصل الاخير الذي خصصه المؤلف لبحث «تعريب العرب» ذلك انه يرى ان عروبتنا «اشبه بالطلاء على سطح المعدن واقل حك يزيله» لاننا لم نتشرب الثقافـــة العربية والروح العربية، فشعوبنا تتألف من عناصر عديدة، والامية متفشية بيننا، ونحن بروحنا قد ابتعدنا عن التعاليم الدينية الصحيحة التي تهدف الى الحق والخير والتعاون والتسامح. وعليه فالمؤلف يرى ان واجب الحكومات العربية واهل الرأي بيننا، يحتم على الجميع العمل على تقوية ايمان العرب بعروبتهم، ذلك بان ندرس ونعرف احوالنا وشؤوننا، كما يجب الاكثار من عقد المؤتمرات لبث روح العروبة. ويجب ان يشمل التعريب الجماهير العربية من حضر وبدو بجميع الوسائل.

وبعد، فهذا كتاب ثمين يضاف الى المكتبة العربية، واثمن ما فيه الروح العلمي المنطقي الذي املاه. ولو انني كنت اتمنى ان يتسلح المؤلف الكريم بالجرأة الكافية لمعالجة العوامل الاساسية التي تقف حجر عثرة في سبيل تقدم العروبة، تلك العوامل التي تنبع منها جميع الازمات التي يعانيها مجتمعنا.

المفرق - الاردن **سليمان موسى**



الاديب

★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي:

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة

في الخارج: جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا: ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج: ١٤ جنيهاً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

★

المقـالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

ادارة الاديب: باب ادريس، شارع الكبوشية

تليفون: الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél.: Direc: 23819 — Dle.: 25139

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها: **ألبير أديب**

سكرتير تحرير مكتب القاهرة: **محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

أشياء صغيرة

للآنسة سميرة عزام – مجموعة قصص – ٩٦ صفحة – منشورات دار العلم للملايين ببيروت

كثيرون من القصاصين ، الناشئين ، وغيرهم ، يقدمون على نشر قصصهم قبل ان يحكموا صناعة القصة ويدركوا سر التأليف فيأتي نتاجهم مرتجلاً ظاهر الضعف .

وليس هذا شأن سميرة عزام في مجموعتها القصصية فقد شعرت حين قراءتها ان صاحبتها توفرت على درس القصة العصرية . ففي سبك قصصها اثر واضح من طريقة اساتذة الفن الذين يجيدون السرد والحوار وربط اجزاء القصة وتصوير الاشخاص وابراز التأثير الموحد .

هذا الى جانب محافظتها على شخصيتها التي تبرز واضحة في كل من الاقاصيص .

تستقي المؤلفة موضوعاتها من الواقع المحسوس ولا تنساق مع الخيال . فهناك الامومة واثرها في حياة المرأة ، واثر المرأة في حياة الرجل ، والمكانة التي يحتلها موضوع الزواج في اذهان النساء وحلقاتهن . ثم وصف الحب الاول وتلاعبه بعقول الفتيات وحكايات البؤس وما يجره البؤس من مآس . لكنها تعرف كيف تخلع على الواقع وشاحاً من الفن . فقصصها تغريك بقراءتها وتستأثر انتباهك منذ البداية حتى النهاية ، لانها ترتكز على قوة الاسلوب وطرافة الوصف . فليس هناك قصص درامية تتميز بقوة الحوادث واصطراع الاهواء وغرابة الاشخاص . لكن الكاتبة تستغني بوصف الصراع الداخلي عن خلق مواقف الصراع الظاهر للعيان . ولها في عرض الاجواء النفسية واجواء الامكنة براعة ظاهرة نلمسها في قصص « على الدرب » و « في المفكرة » و « عقب سيجارة » . فكل من هذه القصص الثلاث تترك في نفس القارىء اصداء لحن موقع او صورة منسجمة الخطوط .

ولا تقل براعة في تحليلها لبعض الظواهر العاطفية مثلاً في قصة « الاشياء الصغيرة » تشريح لهذه العاطفة الغامضة التي نسميها الحب ، التي تتغلغل تدريجياً في نفس الفتاة ، فتخشاها وتتمسك بها ، وقد تحتقر نفسها لاجلها فتسمي وقوعها فيها ضعفاً . وهي مع هذا تستسلم لها استسلاماً يخيل لها انها حولت صحراء حياتها الى واحة وبدلت منها شخصاً آخر . ولا تغفل المؤلفة عن شرح اثر الغيرة والتقليد في خلق عاطفة الحب ، كما في خلق كل شيء آخر .

ومثل ذلك تحليلها لنفسية الطفل في قصة « مات ابوه » حين يعرف الولد بموت ابيه ويراه مسجى على الفراش بلا حراك وحوله النسوة في ندب وعويل . « انسلّ فزعاً مرتجف الاوصال . وجلس في العراء على حجر خشن ، لذعته الشمس فلم يشعر وعضه الجوع فلم يبال . وظل يتلفت يمنة ويسرة خشية ان يرى احداً جاء يطلبه . فهو يخشى العودة ولا يريد ان يموت كابيه ، وظل هكذا حتى المساء ، حتى لم يعد بوسعه ان يحتمل جوعه وصبره وفزعه من اشباح المساء التي خالها مختبئة وراء الاشجار » .

تنجح الكاتبة في إثارة عطفك على اشخاص قصصها فكل منهم يحتم عليك ان تفهمه وتشاركه في احساسه لأنك رأيت من يشبهه او شعرت بمثل شعوره في بعض ظروفك الماضية . وليس فقط الاشخاص بل كل كائن في قصصها ، حتى ادق الاشياء واصغرها ينبض بالحياة ويثير المتعة : «علامات الاستفهام في المفكرة تحن الى الجواب فاذا ما عز عليها ماتت فيها اللهفة وان ظلت على انحناءاتها » و « الصحيفة تستقر في يد واحد يحدق الى صورها ثم يحشوها في جيبه وفي يد آخر يأكل حروفها اكلاً » و « زجاجات البيرة الفارغة تستطيل حتى تصبح الواحدة منهن طول المارد » .

تلك واحدة من مزايا اسلوبها الذي نتبين فيه الاناقة على غير اسراف وتوفيقاً في انتقاء الالفاظ ثم مقدار من الايحاء في عبارات مقتضبة وخواتم تثير الفكر والخيال . واحياناً اشارات ولفتات ساخرة ينطوي فيها نقد اجتماعي بالغ الدقة .

اما البيئات التي تجري فيها القصص فيغلب ان تكون بيئات المدن الشرقية القديمة الحافلة بالصور المثيرة ، لا سيما صور النساء من بائسات ومترفات ، وفيهن الفتاة التي تحلم والمرأة التي تتألم والام التي تضحي وغيرهن التي تسعى وتدبر وتثرثر .

وبعد فلست بحاجة الى القول ان سميرة عزام تملك العدة الكاملة للانتاج القصصي الموفق : القالب والاسلوب ودقة الملاحظة ، والاطلاع الذي لا يقتصر على الكتب . وليس عليها سوى ان توسع افقها الفكري وتنوع منابع إلهامها في عصر تتعدد فيه منابع الالهام لذوي الموهبة من القصاصين الناشئين .

روز غريب



٤٥ ألف بعثة « للدراسة في الخارج »

Etudes à L'Etranger

منشورات اليونسكو باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية — ٧١٠ صفحة — مطبعة كريتيه بفرنسا

اصدرت اليونسكو نسخة جديدة منقحة من كتاب «الدراسة في الخارج» تسرد بيانات مفصلة عن البعثات الدراسية المتوفرة في عامي ١٩٥٤ — ١٩٥٥. ويشير البيان الى ١٩٨٢ برنامجاً تضم بينها ٤٥ الف بعثة فردية للدراسة والتدريب في مختلف المعاهد المتخصصة في اكثر من ٦٠ بلداً. واما هذه البعثات فتمنحها مؤسسات عامة تنتشر في اكثر من مئة بلد في العالم، ويستطيع الحصول عليها افراد من مختلف البلاد.

ويتضمن هذا الدليل الجامع فصلاهاماً يستعرض تقرير اليونسكو السنوي عن الطلبة الاجانب الملتحقين بالجامعات والمعاهد العالية في مختلف انحاء العالم. ويشير التقرير السنوي لعام ١٩٥٣ ان ١٠٧ الف طالب اجنبي قد التحقوا بحوالى ٢٠١٤ جامعة في سبعين بلداً. وقد زود التقرير بقوائم اربع تحصر عدد الطلبة الاجانب في كل معهد مع الاشارة الى بلادهم الاصلية، وموضوع الدراسة التي يقومون بها.

ومن اهم خصائص هذه النسخة الجديدة انها صدرت باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية معاً، مما جعلها تغني عن الطبعات المنفردة السابقة، ومما عزز بالتالي من قيمتها الدولية.

الصحة العقلية في رياض الأطفال

L'Hygiène Mentale à l'Ecole Maternelle

منشورات اليونسكو — باللغة الفرنسية — ٥٠ صفحة — مطبعة سنترال بلوزان

اصدرت اليونسكو بهذا العنوان كتيباً صغيراً يتضمن تقريراً وضعته لجنة من الخبراء اجتمعت في عام ١٩٥١ بدعوة من اليونسكو وهيئة الصحة العالمية، توطئة لمؤتمر اوروبي للمعلمين انعقد في باريس في ديسمبر ١٩٥٢.

ويقع الكتيب في ٤٥ صفحة مع مقدمة للدكتور بروك شيزهولم، المدير العام للهيئة الصحية العالمية. والتقرير موجه على الأخص لمدرسات رياض الاطفال والقائمين بتكوينهن، وهو الى هذا يرتبط ببرنامج لليونسكو خاص بالصحة العقلية وتطور الاطفال من الناحية الاجتماعية.

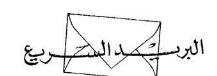
ويقول الخبراء في هذا التقرير: « يجب ان تكون رياض الاطفال حلقة تصل على الدوام الام والعائلة من ناحية، والنشاط المدرسي وغير العائلي من ناحية اخرى ». ثم اخذ الخبراء يحللون مساعدة الاهداف الكبرى التي تقصد اليها هذه التربية « قبل المدرسية »، ويعنون بهذه الاهداف:

مساعدة الطفل على تكوين شخصيته مع تكييفه بالبيئة، واعداده سيكولوجياً للحياة، والتعاون الوثيق مع مراكز الصحة العقلية والبدنية للوقوف على اعراض عدم التكيف والنقص عند الاطفال.

ولما كان تحقيق هذه الاهداف يقتضي العناية باختيار وتكوين مدرسات رياض الاطفال، فقد كرس الخبراء لهذه المشكلة الشطر الاكبر من تقريرهم. كما يتضمن التقرير تحليلاً لحاجات الطفل ودور الام في نشأته، ثم الدور الذي يمكن ان تلعبه مديرات رياض الاطفال ومفتشات هذا النوع من التربية.

***

- السلطة والفرد — تأليف برتراند راسل ترجمة محمد بكير خليل — ١١١ صفحة — حجم كبير — منشورات الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.
- ملكة الجمال — رواية — لمحمد حاج حسين — ١٥٦ صفحة — منشورات الرواد — المطبعة العمومية بدمشق.
- نفائس المخطوطات — المجموعة الثانية — بتحقيق محمد حسن آل ياسين — وهي تتناول: ديوان ابي الاسود الدؤلي المتوفي سنة ٦٩ هـ، ورسالة ابي غالب الزراري في آل اعين، والاصول الاعتقادية للشريف المرتضى المتوفي سنة ٤٣٦ هـ، والتذكرة للصاحب بن عباد المتوفي سنة ٣٨٥ هـ. — ٩٦ صفحة — حجم كبير — منشورات دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر ببغداد.
- الاب فلانفن منشيء مدينة الاولاد — تأليف فولتون اورسلار و ويل اورسلار ترجمة عيسى سابا — ٩٤ صفحة — المطبعة البولسية في حريصا لبنان.



● من الآنسة برشنك سعيد – الموصل ، العراق

ارجو اخباري عن اسماء المجلات الطبية التي تصدر في لبنان وسوريا وعن قيمة الاشتراك السنوي فيها .

– في لبنان مجلة طبية خاصة تصدرها نقابة الاطباء ، ولا توجد مجلة طبية غيرها على ما نعلم . وتصدر في سوريا مجلة «الصحةوالتعليم» وعنوانها صندوق بريد ١٠٠١ بدمشق .

● من الشاعرة الآنسة ترينا مركايز – تطوان ، المغرب

● الى الاستاذ الشاذلي زوكار – تونس

لقد سررت كثيراً لقيامكم بالدعاوة العميقة للادب الجديد الذي تجندتم لخدمته فبارك مجهودكم الجبار ، كما اعجبت برابطتكم «القلم الجديد» التي دعوت الله ان تمد للاشعاع الحق والجمال وآمل ان يزدهر الادب التونسي ، ويخرج من التقليد الى الابداع والابتكارعلى يدهذهالرابطة الفتية.

● الى السيد منير جبرائيل – الموصل ، العراق

لا نعلم عنوان الدكتور جاكسون دينس ، بوسعكم الاتصال بمكتب المعلومات الامريكي في بغداد فقد يستطيع افادتكم . على كل يحسن بكم الانتظار فالدواء لن يحضر للبيع قبل عام ولا فائدة من الاتصال الآن بالدكتور المذكور .

● الى الاستاذ نجيب سرور – القاهرة

هذه القصائد ضعيفة قليلا ، لذلك لن تنشر ، نرجو ان يكون حظ غيرها اكثر توفيقاً فالى الامام دائماً مع خير تمنياتي لك .

● من الاستاذ عبد المجيد لطفي – بغداد

● الى الاستاذ رشاد دارغوث – بيروت

قصتك « وثيقة خطيرة » [عدد مايو من الاديب] قصة فــذة ، ولا اجاملك في هذا . وكأنها قصة اوربية مكتوبة بامهر قلم لقاص... واقول الحق ان مثل هذه القصة قليل جداً في ادبنـــا العربي . ولو اعدت قراءتها مرة اخرى لكشفت انت نفسك فيها مواطن الجمال والفن المتفوق ولتذوقتها كقطعة فنية عظيمة القيمة .

وفيها عبارات مختارة : « ... حتى رأيت الارض تميد باعليها كأنها غربال بين يدي بطل من ابطال الالمب ! » . اما النهاية ففنية رائعة ، تخلق لدى القارىء مشاركة حقيقية .. ومع ان كل شيء خيالي فان الانسان ليشعر بتلك الكآبة التي شعرت بها وانت ترى بلادك ولو عبر التاريخ ... خرابا يباباً !

● الى السيد حسن يزبك – لوجا ، السنجال

تطلب مجموعة « اباريق مهشمة » للاستاذ عبد الوهاب البياتي من مكتبات العراق ومن الاستاذ البياتي وتجد عنوانه في عدد ابريل الماضي .

● الى الاستاذ ميشيل موسى سنداحة – الظهران ، العربية السعودية.

هذا المقال عن جبران خليل جبران سبق ترجمته الى العربيـــة ونشره عدة مرات .

● من الاستاذ عبد المجيد الراضي – بغداد

وقع خطأ في قصيدتي « الا تذكرين » المنشورة في العدد السابق فقد اثبت احد الابيات هكذا: تعالِ اريدك لا تسكتين...والصحيح: تعالَ اريدك لا تستكين .

● الى الانسة سعاد غ . – اللاذقية ، سوريا

اكثر العناوين المطلوبة سبق نشرها في باب البريد السريع فنرجو الرجوع اليها . وهذه هي سائر العناوين التي نعرفها والتي لم يسبق ان نشرناها :

الاستاذ عادل الغضبان – مصر – القاهرة – ٥ شارع مسبيرو – دار المعارف بمصر .

الاستاذ محمد ابراهيم دكروب – لبنان – بيروت – مجلة الثقافة الوطنية او مجلة الاديب .

الاستاذ ابو القاسم محمد كرو – ليبيـــا – طرابلس الغرب – صندوق بريد رقم ١٤٦ .

الاستاذ بهيج عثمان – لبنان – بيروت – دار العلم للملايين ص.ب ١٠٨٥

الاستاذ ايليا ابو ماضي :

AS - Sameer — 144, Livingston St. — Brooklyn 2, N. Y. U. S. A.

اما الاديب فلها عدة مشتركين في اليمن وهي تطلب من وكيلها الصديق العلامة الاستاذ السيد عبد الكريم ابراهيم الامير رئيس تحرير جريدة الايمان الغراء في صنعاء .

اطلع دائماً على مجلة الغد التي تصدر في اللاذقية وهي ذات نزعة تقدميـــة جديرة بالاعجاب فنرجو لها الازدهار .

● الى السيد مصطفى احمد – الاسكندرية ، مصر .

صديقك هو الذي ربح الرهان يا سيد مصطفى..فانا الذي اقوم بجميع اعمال الاديب واشغالها من تحرير وادارة لا يعاونني احد مطلقاً في هذه الاشغال الشاقة...وليس ذلك عن غرور واعتداد بل عن تقصير مادي لا يسمح لي بالاستعانة بموظفين ومحررين كما هو مفروض ان يكون ...

● من السيد محمد احمد حسين – القاهرة .

نطالب الاستاذ الدكتور علي سعد بأن ينشر لنا بحثاً في كل عـدد من اعداد الاديب يتولى فيه تعريفنا بادباء وشعراء لبنان على نسق البحث الذي نشره عن الشاعر الياس ابو شبكة وله منا الشكر .

جولة الأديب في شهر

الدكتور طه حسين يقدم توفيق الحكيم

من رضوان ابراهيم مراسل الاديب بمصر

*

حفل المجمع اللغوي المصري بالقاهرة في ١٧ مايو الماضي بحشد من رجال الادب واللغة لاستقبال الاستاذ توفيق الحكيم العضو الجديد ، وقد قدمه الى المجمع صديقه وصفية الدكتور طه حسين ، وانا انقل الى قراء الاديب ما استطعت ان التقطه من خطاب الدكتور الجليل . وهو يكشف عما استسر وراء عبقرية توفيق الحكيم :

زميلي المحترم : خطر لي ان اصطنع في استقبالك مذهب الجاحظ حين عرض لخصمه احمد بن عبد الوهاب ، فقد قال : « إنه كان مفرط القصر ، ويزعم انه مفرط الطول ، وكان مربعاً ويزعم انه مدور ، وكان قديم الميلاد كبير السن ، ويزعم انه حديث السن والميلاد » .

وإذن فقد خلق احمد بن عبد الوهاب لنفسه شخصية ، كما قال الجاحظ . ولا اجد ما اقدمك به الى المجمع الا ما قاله الجاحظ في خصمه ، وانت لست خصمي بل صديقي ، ولكني سأقدمك كما قدم الجاحظ ابن عبد الوهاب ، فلقد خلقت من نفسك شخصية كما خلق من نفسه شخصية ، فانت تتكلف من الخصال ما ليس فيك ، انت جواد وتزعم انك بخيل ، مداور مناور وتزعم انك ساذج .

ولك علي دين قديم لا بد ان اوفيك اياه ، ولا تفرح فهذا الدين ليس نقداً ولكنه دين معنوي ، فقد قدمتك الى الناس يوم ظهر اول كتاب لك ، وقد شرفت بتقديمك الى الجمهور ، واليوم اشرف مرة اخرى بتقديمك الى المجمع ، فهذا الدين شرف وليس نقداً ، ارأيت كيف تصاب في هذا الدين بخيبة الامل ، لانك لن تتقاضى نقداً ولا عرضاً ؟

ولا أدري بعد ذلك هل اشكوك الى المجمع او الى نفسك ، فالمفروض — وانا اقدمك الى المجمع كما قدمت زملاء لك من قبل — ان استقصي ما تبطن ، واعرف عن خباياك وخفاياك ما لا يعرف الناس ، وقد سألتك ، واعتمدت على ان تجيبني بالحق ولا شيء غير الحق ، واستحلفتك اليمين البرة التي لا احنث فيها كما كنت تحلف المتهمين يوم كنت عضواً في النيابة على ان تقول الحق ، ولا شيء غير الحق ولكنك لم تقل شيئاً .

نعم استطيع ان اعرف بالضبط متى ولدت ، وحين سألتك قلت : اتريد مولدي بالضبط ام تاريخ شهادة الميلاد ، وقد عرفت تاريخ شهادة الميلاد وهو لا يدل على شيء فبين تاريخ الشهادة وبينك فرق شاسع ، والذي لا شك فيه انك قد تجاوزت سن الشباب واصبحت شيخاً ، وحق عليك قول ابي العلاء :

وما بعد مر الخمس عشر من صبا ولا بعد مر الاربعين صباء

والذي استطعت ان استيقنه انك لم تدخل التعليم الابتدائي الا بعد العاشرة ، وقد اتممت تعليمك الابتدائي والثانوي ثم كلية الحقوق في سن الرابعة والعشرين او الخامسة والعشرين ، وكنت في اوربا سنة ١٩٢٥ اي منذ حوالي ثلاثين سنة ، وبعملية حسابية نستطيع ان نعرف عمرك الحقيقي ، وإذن فقد جاوزت الخمسين وقد نضجت كل النضج لتصبح شيخاً من شيوخ هذا المجمع .

ولم استطع ان اعرف اكنت تلميذاً نابهاً بارعاً في دروسك ام متكاسلاً محباً للعب كزميلنا توفيق دياب ، ولكن الذي الحه من كتبك ان حب الصبا وغرام الفتيان قد شغلك حتى اضاع عليك سنة في التعليم الثانوي ومع ذلك نجحت في الشهادة الثانوية نجاحاً لا بأس به ، فلم تكن في العشرة الاولى بل كنت في المئة الاولى .

ولم تكن نموذجياً في كلية الحقوق ، فقد استطعت ان تتخرج فيها على قدر ما استطعت فامنت لوم والدك رحمه الله ، ولوم من هو اقسى من والدك اطال الله بقاءه .

ولم تفلح في المحاماة لانك شغلت بشيء آخر كنا نعبث به وقت الفراغ ، شغلت بتمثيل عكاشة عن المحاماة وجدها والحياة وجدها ، حتى يئس ابوك ويئس اصدقاؤه فنصحوه ان يبعدك عن مصر ، فابعدك الى باريس تدرس فيها القانون ، لتعود فتسلك طريقك في القضاء .

ولكنك لم تفلح في القانون ، تزعم انك درست فاطلت

الدرس ، ولكن المحقق انك لم تعد بالدكتوراه . او ما يشبه الدكتوراه ، وعنيت بالقانون فيما تقول ، ولكنك عنيت بشيء آخر غير القانون ، عنيت بتلك البيئات التي ترتفع عن بيئة التمثيل في مصر ولكنها بيئة تمثيل وبيئة فن ، تفيد بتضييعها للوقت اكثر مما تضر ، كنت تختلف الى الحي اللاتيني فتغشى دور التمثيل وملاعب الموسيقى واشياء اخرى لست في حل من الحديث عنها .

وعدت وقد نشأت لك شخصية اخرى جديدة ليست شخصية رجل القانون او صاحب الجد ، ولكنها شخصية الرجل الذي يحب الفن ويألفه ، ويطغى الفن على حياته فيسخره لخدمته حتى لا يترك منه شيئاً يصلح لغير الفن .

عدت فلم تجد بدأ من الاشتغال بالقانون ، فرض عليك ان تكون موظفاً في النيابة ، وقد صورت لنا في غير كتاب من كتبك انك كنت تؤدي واجبك في النيابة كما كنت تؤدي واجبك طالباً ، تعرض عنه وتشغل بغيره ، كحياتك في كل المناصب التي شغلتها ، تؤدي واجبك فيها لتتخلص من الاداء ، ولتعفي نفسك من التبعة ، ولكنك تحتفظ بما عندك للفن منذ شغلك عكاشة واصحابه ، ولم يكن هذا بداية اشتغالك بالفن فاني لأحسبك حاولت الكتابة قبل سفرك الى باريس ، فقد قدمت رواية من قبل الى فرقة عكاشة ، ولكنها لم تمثل .

لقد اخفقت في اول رواية قدمتها الى عكاشة ، لكن الاخفاق لم يثن همتك ، بل زادك اقبالاً على الفن والتمثيل ، واظنك شغلت بالفن حين كنت طالباً في باريس ، ففي انتاجك اشياء لا اشك انها كتبت هناك .

رجعت من باريس اذن لا تحمل الدكتوراه ، ولكنك تحمل بعض الكتب ، وقد عرفك الناس حين ظهر كتابك « اهل الكهف » الذي عرضت فيه لأول مرة لمشكلة خطيرة وهي مشكلة الزمن بالقياس الى وطنك مصر ، ولاول مرة ظهر بيننا كاتب يحاول ان ينشيء فن التمثيل باللغة العربية ، لا يترجم ولا يقلد ولا يتكلف ما يتكلفه غيره ، بل يقبل عليه ، ويتصرف فيه كأنه خلق ليكون كذلك ، لا يظهر فيه الجهد ولا التعمل ، وكأنما ارغمت على ان تكتب فكتبت ، وكنت ميسراً لذلك حتى كأنك كنت بدأ تُلقَّى ويملى عليها ويوحى اليها فتكتب ، وكنت كاتباً ممثلاً مطبوعاً ، فنحن نعجب بك ونحمد لك هذه القصة التي تدل على انك خلقت لتدخل فن التمثيل

في العربية ، وتجعله فناً اصيلاً من فنونها بعد أن كان دخيلاً يحيثها في التقليد او النقل .

وحسبك هذا عذراً يغتفر لك كل عيوبك ، لقد كنت طالباً لاعباً ، ولكنك كاتب جاد لم تتكلف ولم تقلد .

واخص ميزاتك انك في فنك مسير لا مخير ، فأنت متأثر بقوة خفية لا تملك لها دفعاً ، فلا تكاد تتوجه لشيء حتى تنتج فيه بلا كلفة ولا تعمل ما لم يكن شيئاً غير جدير بك ، ولا ملائم لطبعك .

ولم تكد أهل الكهف تظهر للناس حتى ظهرت « عودة الروح » وهي قصة اكثر منها تمثيلية الا أنها قصة حية الاشخاص لا نتحدث عنها بالفعل الماضي ، بل بالمضارع الذي يدل على حاضرنا ، فأبطالها يروحون ويجيئون ويحيون كما يحيا أبطال التمثيلية . فأنت في قصصك يمثل اكثر منك قصاص ، وكانت عودة الروح هي التي حببتك الى الشعب ، لأنك اقتطعت هذه القصة من حياة الشعب كما يحياها الاوساط الفقراء من المصريين ، وصورت الحياة المصرية في كثير من الشغف بها والفناء فيها كأنما كنت تصور نفسك ، لأن اشخاصها يتصلون بك من قريب أو من بعيد ، ثم لأنك صورت الحياة المصرية في وقت دقيق ، حين الثورة بالانجليز ، والطموح الى الحرية وإصرار المصريين على استقلالهم ، عامدين اليه عنوة ، يرسلون ابناءهم يطالبون به خارج مصر ، أو يثورون داخل مصر ، فمنهم من يسجن ومنهم من ينفى والشعب من ورائهم جاد كاد ، يحاول بمارس لهذا اللون من العناد الذي يحتمله الشعب حين يطلب استقلاله من دولة قوية ، وليس له من سلاح الا إيمانه بماضيه المجيد الذي لا يعرفه ولكنه يحسه ، ومستقبله المجيد الذي لا يعرفه ولكنه يتوقعه ويترقبه .

واشهد لقد صورت هذا الشعب فاحسنت تصويره ، بل اضفت الى هذا التصوير شيئاً من ذات نفسك ، فهذا شعب يجهل نفسه ويقدرها ، يجهلها في ضميره الشعوري ، ويعرفها في ضميره الخفي .

ثم اسرفت من بعد هذين الكتابين في الانتاج حتى لا اكاد اجد القدرة على احصاء ما انتجت ، ولو قد ابطأت او استأنيت بفنك ، ورويت فيه لاعطيتنا شيئاً من الانتاج يضارع اهل الكهف وعودة الروح .

وفي عودة الروح اصطنعت لغتين : عربية وعامية طبيعية ، ولكنك آثرت نفسك بالفصحى ، فاذا تكلمت أفصحت ، واذا

تكلم اشخاصك اوسلتهم على سجيتهم ، ولك في هذا خصوم ، كما لك في هذا زملاء ؛ فالأستاذ تيمور اصطنع هذا الاسلوب في اول امره ، ثم اعرض عنه فاتخذ الفصحى اسلوباً ، ثم عاد فاصطنع الفصحى لنفسه ، ثم كتب باللغتين معاً في وقت واحد ولم تبعد انت ، فانك تصطنع الفصحى احياناً والعامية الحلوة الطبيعية اخرى ، وما عليك بأس في ذلك ، فما نطالب الفنان بأكثر من ان يزجي الينا فنه خالصاً من ذات نفسه صادقاً نابضاً .

ما عليك من بأس فيما مضى من انتاجك ، فانت حر فيما كتبت ، ولكنك منذ اليوم لست حراً ، اذ يبدأ تقييد حريتك منذ دخلت هذه الدار ، فانت مطالب ان تصطنع اللغة التي يكتب بها اعضاء هذا المجمع ، وهي الفصحى التي يقرها الاعضاء وترتضيها المعاجم .

ثم دعني اتحدث قليلا عن الصورة التي اعطيتها من نفسك للناس . فالذي لا شك فيه ان احداً من الناس لا يسمع اسمك حتى يبتسم ، مع انهم يسمعون الى اسماء كثير من اعضاء هذا المجمع فلا يبتسمون ، بل على العكس قد يقابلون اسماءهم بانفعالات مختلفة ابعد ما تكون عن الابتسام ، فما سر هذا الابتسام الذي يقابل اسمك دون اعضاء هذا المجمع ؟

ذلك لانك اعطيت الناس من نفسك صورة توشك ان تكون مضحكة ، فهم لا يتحدثون عنك الا بأنك بخيل متهالك على المال اكثر من بخلاء الجاحظ ، ولست تجلس في مجلس الا اخذ الجلاس يحدثونك عن البخل والجود ، وانت ترضى عن حديثهم كل الرضا ، وتحاول ان تدخل على نفسك من البخل الواناً لا اعرفها فيك على طول ما عرفت منك .

واعطيتهم من نفسك صورة من لا يحسن ان يتصرف في امور الحياة فلا يستطيع سفراً بلا معين ، ولا يركب السيارة حتى يحسب ويقدر ويستثير ، فانت تشفق وتخاف وتصيح بلا حاجة الى الصياح .

وانت لا بد تذكر كيف دعوتك الى قمة جبل في فرنسا لتقيم معي اياماً في هذا الجو الجميل الممتع ، فامتنعت وتعللت وكتبت الي مرتاعاً ملتاعاً مشفقاً وحرمت نفسك هذه المتعة ، وقلت انك تحب لوناً من طعام باريس لا ترضى به بديلا ، وانك تشفق ان تصعد الى قمم الجبال ، وتحرص على حياتك التي يعرضها الصعود للخطر .

وتذكر كيف اتعبتنا وغيرنا ونفسك حين اجبرت على ركوب الطائرة لتشهد تمثيل احدى رواياتك في (سالزبورج) كأنك تشفق على الحياة ان تنتهي في ركوب الطائرة ، ولقد ركبت وذهبت ثم عدت معافى موفور القوة ، ولم تكن في حقيقة الامر خائفاً ولا مرتاعاً ، وانما تكلفت هذا كله ، فانت اذن طائفة من المتناقضات .

انت حين تعالج الفن طبيعي لا تتكلف ولا تتعمل ، ولكنك في حياتك الاجتماعية مصنوع متكلف متعمل بعيد عن الحياة الطبيعية ، والناس لذلك يعرفون منك صورة ليس بينها وبينك صلة .

وانت من ذلك قد جعلت نفسك موضوعاً للتندر ، وانت راض قرير العين بذلك مرتاح له ، مستزيد منه فلماذا ؟

اتريد ان ادلك على سبب التكلف ؟

انت تحب ان يعرفك الناس ، وان يحبوك ، وان يشغلوا بك ، وان يتحدثوا عنك ، وهم يعرفونك بالبخل ، ومن عادة الناس ان يعرفوا البخلاء الاشحاء ، وان يتحدثوا عنهم ويتندروا بهم اكثر مما يصنعون بالكرماء ، إذ الكرم شيء كثير في الناس ومتوقع منهم .

والناس كثيرو الحديث عن السذاجة والسذج والبله ، وقلما يتحدثون عن العقلاء والحذاق ، ويتحدثون عن الجبناء والذين يهربون من مشكلات الحياة اكثر مما يتحدثون عن العاديين المألوفي السلوك من الاشخاص .

وانت تحب ان يعرفك الناس وان يألفوك ، وان تكون

— بقية المنشور في صفحة ٥ —

مزمنة) . لقد اضحت طريقة يستطيع بها الانسان غوامض حياة اخيه الانسان في همس مستمر لا تستطيع السينما او غيرها التعويض عنه .

ولذلك ، سواء اكان الفن الروائي وسيلة لاختراق معنى الشر والرفع من قيمة الانسان ، ام وسيلة لتفهم الحرية وتحدي الظلم ، ام وسيلة للتهكم على حماقة الانسان وغروره او للعبث بقواه الحالمية : سواء أكانت الرواية سجلا لنمو العواطف البشرية ، ام سجلا لبحث الانسان عن الله او الحب ، فانها ستبقى فناً يتطور في اشكاله ، ولكن مضمونه أبداً مضمون النفس ، وهو مضمون كثير الشعاب ، كثير التلافيف ، وهو دائماً في انتظار من يجيد استخراج طرف منه .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

شعبياً محبوباً ، مشهوراً بالظرف والفكاهة ، موضعاً للتندر والمسامرة ، وقد نجحت كل النجاح في ذلك حتى كدت تخلق لنفسك شخصية كشخصية « جحا » .

ولست ادري ما الذي ستصنعه ويصنعه بك هذا المجمع ؟ فنحن هنا اصحاب جد مُرّ لا هزل معه ، ويكفي ان تنظر الى الرئيس ، فليس من التكلف والتصنع ، ولا من محاولة رضا الشعب في شيء ، وانما هو الرجل الصارم الجاد ، وهو السمح السهل ، يريد ان تكون الاشياء كما ينبغي ان تكون وكما يريدها ارسطو ان تكون ، وهو يسوس المجمع هذه السياسة صارم في سماحة ، حازم في رفق ولين .

وحين تشاركنا جلساتنا لن تستطيع ان تلفت الناس الى نزواتك هذه ، فكن ما شئت ان تكون خارج المجمع ، ولكن اعمل في داخله ، وانشط وجد كل الجد ، وانظر الى اكثرنا حزماً وصرامة ، انظر الى الرئيس عن يمينك ، وانظر الى العقاد مثلاً عن يسارك ، ودع التكلف والتعمل عند باب المجمع .

كن في الخارج ما شئت ان تكون ، اما هنا فكن طبيعياً واضحاً ، كن كالرئيس سماحة ، وصرامة ، ويسراً ، وانبساطاً مع ذلك .

وبعد فلست ادري ايها شرف بصاحبه : انت ام المجمع ؟

اما انت فلا شك انك شرفت بهذا المجمع ، فاعترف بأننا نمنح شرفنا لك الآن ، وان هذا الشرف ليس يسير المنال ، والدليل اننا انظرناك عامين بهذا الباب تلتمس إذننا فلا يؤذن لك ، حتى تكرمنا فاضفينا عليك شرف زمالتنا .

واما اننا شرفنا بانضمامك الى مجمعنا فلا اشك في ذلك ، فانت كاتب نابه نابغة ، نفخر به ، لا يجادل في ذلك الا الحمقى ، وانت تعلم ان ليس بين مجمعنا هذا وبين الحمقى صلة او نسب .

وقد اجمع العرب كلهم في مختلف اقطار العروبة على اكبار فنك بل اجتزت حدود العالم العربي بهذا الاكبار والتقدير ، فانت تقرأ في الانجليزية والفرنسية والالمانية والايطالية ، واعلم انك ستقرأ في اللسان اليوناني قريباً ، ومن يكن هذا شأنه لا شك يشرف به المجمع كل الشرف .

ونحن لم نختر بيننا لترضيك ولكن لنرضي انفسنا ، ولنكمل مجمعنا ، ولنفيد بفنك وعملك ، فكن عضواً نافعاً متعاوناً موفقاً في مهمتك من اجل اللغة العربية .

طه حسين

مع القافلة

١ ـ لا التزام في الادب ...

وقفت امس عند هذا السؤال :

ـ ترى ، هل في قضية الالتزام او التوجيه بالاصل ما يقتضي كل هذا الخوف والحذر والاحتياط ، الذي دلت عليه محاضرات مؤتمر الدراسات العربية الرابع ومناقشاته ؟ (الاديب عدد يونيو ٥٤ صفحة ٧٣) .

واري اليوم ان وضع القضية على هذا الوجه ، يحتاج الى تصحيح ، فقد حان ان نتجاوز الظواهر السطحية الى اللباب والجوهر من هذه المسألة .

فالواقع انه ليس هناك اديب ملتزم واديب غير ملتزم ، بل ليس في الادب الحق ، اعني الادب المستكمل كل عناصر الفن وشرائطه ، ما يسمى التزاماً او عدم التزام .

وانما الامر كله ان هناك اديباً يعكس حياة الشعب ويعبر عن احساس الجمهور ، واديباً آخر يعكس نفسه وحدها ويعبر عن ذاته بمفردها كأنما تعيش في عالم منعزل عن حياة الناس والجمهور .

ومصدر الفرق بين هذا الاديب وذاك ، ليس كما يتراءى لنا من ان ذاك الاديب ملتزم ، وان هذا الاديب غير ملتزم ، فكلاهما انما ينشيء الادب استجابة لعوامل تؤثر فيه ، اثرها البالغ ، وتصرف احساسه ووجدانه وفنه جميعاً الى وجهة في التفكير وطريقة في التصور واسلوب في التعبير ، تضعه حيث يراه الناس من خلال ادبه الذي يقرأون او يسمعون .

فالاديب الذي يكتب المقالة ، او يحبك القصة ، او ينظم القصيدة ، فيراها الناس تعبيراً عن طماحهم او اشواقهم ، او آلامهم ، او مشكلات عيشهم ، ليس هو اديباً التزامياً في الواقع كما استقر في اذهاننا حتى اليوم ، اي ان هذا الاديب لم يلزم نفسه الزاماً ، ولم يفرض على مقالته او قصته اوقصيدته فرضاً ، ان تخرج للناس هكذا بقصد ان يرى فيها الناس طماحهم او اشواقهم او آلامهم او مشكلات عيشهم .

لا ، هذا غير واقع قطعاً عند الاديب الاصيل ، الموهوب المستكمل عناصر الادب الحق وشرائطه جميعاً .

فما مصدر الفرق ـ اذن ـ بين هذا الاديب وبين اديب يقف فنه على « ذاته » ، على عواطفه الفردية واحلامه الخاصة

وهواجسه ذات المنحى « الانطوائي » الانعزالي ؟.

مصدر الفرق هذا ، انما هو موقف كل واحد من الاديبين حيال الحياة ، فذاك يعيش حياة الجمهرة الغالبة فهو — اذن — يعيش احساس الجمهور بحسه ولحمه ودمه ، وهو — اذن — يصدر في ادبه الاجتماعي ، او « الشعبي » عن استجابة قاهرة ، وفن اصيل لا عن « التزام » يفرضه على نفسه وعلى ادبه فرضاً والزاماً كما نتوهم .

واما ان يكون عائشاً حياة الجمهور بعامل اخر من ثقافته وطريقة تفكيره ووجهة نظر اجتماعية او سياسية او فلسفية يتجهها وهو — في هذه الحال — لا بد ان يكون احساسه الفني مساوقاً لاتجاهه الفكري : بحيث يتأثر كل منهما بالآخر ، ويتكيف به حتى يتحد مجراهما — اتحاداً تلقائياً ليس معه شيء من الفرض والالزام كذلك .

وهنا يكون الاثر الادبي ايضاً ، مجرد استجابة لهذا التساوق البدهي بين الفكر والرأي وبين الاحساس ومصادر الخلق الفني .

وهكذا الحال في الاديب « الذاتي » او « الانطوائي » . .

فانه هنا يعيش بعيداً عن الجمهور ، اما لانه من فئة في الناس ليست تحيا حياة الجمهور واما لان في ثقافته ومفاهيمه العقلية ونظرته الى الحياة والكون ، رواسب ومفاهيم متصلة بالعقلية « المثالية » او ما يشبهها .

وهذا الاديب ليس يقصد قطعاً ان يكون « غير التزامي » بل ليس يصح ان نسميه « غير التزامي » ، لانه — واقعاً — انما ينشيء ادبه الذاتي الانطوائي عن استجابة قاهرة ايضاً لطريقة عيشه ووجهة تفكيره .

فالامر — اذن — يرجع الى طريقة العيش ووجهة التفكير وليس يرجع الى « التزام » او « غير التزام » .

ومن هنا لا نرى ما يقتضي الخوف والحذر والاحتياط من اتجاه الادب العربي الى مضطرب الحياة العربية في مسرحها الوطني الانساني ما دام الادب يصدر في هذا الاتجاه عن استجابات من اصالة الاديب وموهبته ومصادر الخلق الفني عنده .

٢ — احمد امين

فوجئت وانا القى الاصحاب ، بعد غيبتي عن الوطن العربي ان العالم الاديب الباحث احمد امين قد مات ، فوجمت واكتأبت ، على رغم انني كنت ممتلىء القلب فرحاً بلقاء الاهل والاصحاب .

وحق لاحمد امين ان يعترينا لموته الوجوم والاكتئاب ، لأنه كان نمطاً من رجال الفكر عندنا ما اشد ما نحتاج اليه في مرحلتنا العقلية الحاضرة .

فلقد كان احمد امين يكتب في تاريخ العرب وتاريخ الادب ويكتب في شؤون الفكر وشؤون الحياة والناس ، وهو يقصد من كل ذلك ان ينتهي الى حقيقة يكتشفها باجتهاده وكده ، ثم لا يعنيه ان تكون هذه الحقيقة التي ينتهي اليها ، قد خالفت امراً مشهوراً ، او وقعت على الناس بامر جديد غريب .

وما كان احمد امين متطرفاً بطبعه ، بل كان اقرب الى المحافظة والترصن ، ولكنه كان — الى ذلك — مفكراً حر التفكير مستقل الرأي ، مشوقاً ابداً الى المعرفة ، وكانت طريقته الى ذلك ، طريقة العلم ، فهو يبحث القضية من وجهها الموضوعي الخالص ، لا يتأثر بعرف شائع ، ولا رأي مألوف ، ولا عاطفة مسيطرة ، وبذلك اهتدى الى آراء يصح ان نسلكها في آراء المفكرين التقدميين في وقتنا الحاضر .

وقد اضاف احمد امين الى هذه الميزة ، ميزة الاستقصاء العجيب في معالجة موضوعه ، سواء اكان الموضوع ادباً ام علماً ام تاريخاً ام قضية من قضايا المجتمع ، فهو يغلغل في نواحيه حتى يبلغ الزوايا والخفايا ، وحتى يصل الى القرارة في ابعد الاعماق .

ولقد ترك ، بفضل ميزتيه هاتين ، آثاراً في الادب والفكر والتاريخ والاجتماع ، تعد في روائع التفكير العربي الحديث ، لما تحتويه من نفيس الرأي ، وطابع الابداع ، وسعة الافق .

واكبر الفضل في ثروة احمد امين الفكرية انها ثروة عربية ، انتظمت في ثناياها حضارة العقل العربي في ازهى عصوره واخصب مواسمه ، وكان الرجل خير من وضع هذه الحضارة العربية في صيغة التاريخ المنظم تنظيماً علمياً حديثاً محققاً .

واذا لم يكن ادب احمد امين ، من الادب المستكمل كل عناصره الفنية ، لانه كان ادب فكر لا ادب فن ، وادب تركيز لا ادب تبسيط فان عنصري الاستقلال والابداع فيه ، يقربانه الى منزلة الادب القيم الرائع .

فاحمد امين — اذن — نمط من المفكرين قد خسرناه وان يكن لنا في جيل المفكرين الذي ينشأ اليوم ، عوض صالح نرجو ان تقر به عين الفكر العربي الحديث .

« الحياة »

حسين مروة



١٨ مايو ١٩٥٤ - توفي امس الاول في قرية شوانجو في المانيا الجنرال هانز جودريان قائد فرق المصفحات الشهير في عهد هتلر .

١٩ - غادر الامبراطور هيلاسيلاسي امبراطور الحبشة اديس ابابا الى نيويورك في زيارة رسمية للولايات المتحدة .

٢١ - عين المسيو فرنسيس لاكوست مقيماً عاماً لفرنسا في مراكش خلفاً للجنرال جيوم الذي استدعته الحكومة الفرنسية .

٢٢ - نفت نظارة الخارجية الاميركية الانباء القائلة بان الولايات المتحدة ستشترك مع بريطانيا في تقديم مشروع جديد الى الحكومة المصرية لتسوية قاعدة السويس .

٢٤ - اصدرت الحكومة الاردنية بلاغاً اكدت فيه ان سياسة الحكومة تجاه مناقشات مجلس الامن وطلب الجهود التفاوض على اساس المادة ١٢ من اتفاق الهدنة لم يتغير عما كان عليه. وان الاردن متضامنة مع الدول العربية الاخرى في السياسة العامة .

- بدأ اليوم في مؤتمر جنيف اسبوع قد يكون فاصلاً في مصير هذا المؤتمر الدولي الذي تتجه اليه الانظار املاً في نجاة العالم من لغم حرب جديدة قد تبدأ في الهند الصينية .

٢٦ - نشب قتال في كثير من انحاء دلتا النهر الاحمر بالهند الصينية وقد اخلى الفرنسيون مركزين امامين جنوب شرقي مدينة هانوي .

- صرح مسؤول في وزارة الخارجية المصرية بان الحكومة المصرية ابلغت بان بريطانيا اصبحت على استعداد لاستئناف المحادثات بقضية قناة السويس اذا شاءت مصر .

٢٧ - صرح ناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية قائلاً انه في خلال الاسبوعين الاخيرين لم يطرأ تطور جديد حول استئناف المحادثات المصرية البريطانية نافياً ما اذيع في مصر حول هذا الموضوع .

٢٨ - قررت الحكومة السودانية تعيين اللواء احمد محمد قائداً عاماً للقوات المسلحة في السودان محل الجنرال سكرتز الانجليزي .

- اقر مجلس النواب السوري قانوناً يهدف الى منع وقوع انقلابات عسكرية في المستقبل ويقضي هذا القانون بمحاكمة كل موظف ينفذ اوامر صادرة عن اية فئة تغتصب زمام الحكم بالقوة باعتباره شريكاً لمغتصبي السلطة .

٣٠ - عزل السيد غلام محمد حاكم الباكستان العام السيد شودري خليق الزمان حاكم البنغال الشرقي [الباكستان الشرقية] من منصبه وعين الجنرال اسكندر ميرزا وزير الدفاع في الحكومة المركزية خلفاً له وعزل السيد غلام محمد ايضاً جميع اعضاء الوزارة في الباكستان الشرقية وقد اعلنت حالة الطوارىء في الولاية . اما التهمة الموجهة الى الحكومة التي اقيلت فهي الخيانة وطلب الانفصال .

٣١ - عدل المجلس الاعلى المؤقت لحركة التحرير المصرية فاصبح البكباشي جمال عبد الناصر رئيس الوزارة وسكرتير عام الحركة رئيساً واما رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب الذي كان يرأس حركة التحرير فلم يرد اسمه في لائحة اعضاء المجلس .

اول يونيو ١٩٥٤ - عاد من موسكو الى جنيف الرفيق مولوتوف بعد ان امضى هناك مدة ٤٨ ساعة فقط اجرى خلالها مباحثات مع المسؤولين بصدد المشاكل المتعلقة باعلان الهدنة في الهند الصينية .

٣ - في حفل اقيم تكريماً للماريشال تيتو في اليونان اكد ملك اليونان في كلمته الترحيبية ضرورة تحويل حلف البلقان الى حلف عسكري وقد اشار الماريشال تيتو بالتعاون القائم بين بلاده وبين اليونان وتركيا .

- سافر الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي بمصر الى الرياض للاجتماع بالملك سعود واجرى مباحثات تتعلق بقضية فلسطين والاعتداءات على البريمي وموقف العرب من مساعدة اميركا العسكرية للعراق .

٧ - غادر نيويورك عدنان مندريس رئيس الوزارة التركية عائداً الى تركيا بعد ان اجرى محادثات مع الرئيس ايزنهاور وموظفي الحكومة الاميركية وقد صرح قبل سفره بان تركيا مصممة على زيادة فعالية ميثاق البلقان المعقود مع اليونان ويوغوسلافيا بتحويله الى تحالف حقيقي وان تركيا ستوسع نطاق ميثاقها مع الباكستان. وقال ان اميركا وتركيا تعملان على رفع مستوى القوات التركية المسلحة بموجب حلف شمال الاطلسي .

٨ - اعلنت الحكومة الفرنسية انها اعتبرت الزعيم اديب الشيشكلي لاجئاً سياسياً في بلادها وهي لا ترى اي مانع من السماح له بالاقامة اينما اراد ضمن الاراضي الفرنسية .

٩ - جرت عملية الاقتراع لانتخاب مجلس النواب الجديد في العراق وقد وقعت بعض الحوادث الدامية .

١١ - استقال السيد صبري العسلي رئيس الوزارة السورية .

- اجتمع في انقرة السيد محمد علي رئيس وزراء الباكستان بالسيد عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا وقد بدأ الرجلان يستعرضان جميع نواحي الدفاع عن الشرق الاوسط وخاصة على ضوء الميثاق التركي الباكستاني والمحادثات التي قام بها مندريس اثناء زيارته لواشنطن .

١٢ - قدم المسيو جوزف لانيال استقالة وزارته الى رئيس الجمهورية الفرنسية على اثر خذلان المجلس الوطني لحكومته .

- اعلن الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي في مصر ان مصر والعربية السعودية اتفقتا على توحيد قيادتي جيشيهما بمقتضى ميثاق الضمان الجماعي العربي . واكد الوزيران مصر والسعودية لن تنضما الى اية منظمة دفاعية للشرق الاوسط تتزعمها الدول الديموقراطية الا بعد تسوية المشكلتين العربيتين: قاعدة قناة السويس والجلاء عنها ، وقضية فلسطين .

١٣ - وصل الملك سعود الاول ملك المملكة العربية السعودية الى عمان في زيارة رسمية للاردن تستغرق اربعة ايام .

١٤ - اعلن في طرابلس الغرب ان الملك ادريس الاول ملك ليبيا سيزور تركيا زيارة رسمية في شهر يوليو القادم .

- سافر الدكتور عبدالله اليافي رئيس الحكومة اللبنانية الى عمان للاجتماع بالملك سعود، كما وصل اليها الدكتور خالد شاتيلا الامين العام للقصر الجمهوري في سوريا حاملاً رسالة خاصة الى الملك سعود من رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي .

١٦ - طلب المستر ايدن وزير خارجية بريطانيا تأجيل جلسات مؤتمر جنيف بسبب الازمة الوزارية في فرنسا .

دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان
تلفون ٢٨٧٥٧